مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٧٢

ذو الحجة ١٤٢٧هـ - جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ

السنة الحادية والثلاثون

كانون الثاني - حزيران ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحیم

ISSN 0258 - 1094

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٧٢

السنة الحادية والثلاثون

الحجة ١٤٢٧هـ – جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ

كانون الثاني – حزيران ٢٠٠٧م

هيئة تحرير المجلة

الفهرس

أولاً: البحوث

النقد الأدبي في المراسلات
(بين نازك الملائكة وإبراهيم العريض)

الدكتور أحمد مطلوب

(١)

عـرف العرب الرسائل منذ القديم، وكانت رسائل النبي محمد – صلى الله علـيه وسـلم– إلى هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشي – التي دعاهم بها إلى الإسلام– من أشهر الرسائل بعد البعثة المحمدية.

وتوالت رسائل الخلفاء والولاة، وبلغت أوج ازدهارها في العصر العباسي الذي أخذت فيه كلمة "الرسالة" عدة مناح:

١– الرسائل اللغوية التي أصبحت فيما بعد أهم موارد المعاجم اللغوية.

٢– الرسائل التي كانت كُتباً موجزة، ومن أشهرها رسائل الجاحظ، وإخوان الصفا، وابن حزم الأندلسي.

٣– الرسـائل الديوانـية التي يصدرها الخلفاء والأمراء والولاة فيما يخص شؤون الدولة، وهي كالمراسيم والقرارات في العصر الحديث.

٤– الرسائل الإخوانية والأدبية التي يتداولها الأدباء والمحبون بينهم، ومنها رسائل الشريف الرضي وأبي إسحاق الصابي.

وعُرفت الرسائل في الأدب العربي الحديث، وتبادل الأُدباء والمفكرون والعلماء الرسائل، ومنها الرسائل المتداولة بين: أحمد تيمور والأب أنستاس ماري الكرملي، ومي زيادة وجبران خليل جبران، ومحمود أبو رية ومصطفى صادق الرافعي، وفدوى طوقان وأنور المعداوي، وعبدالخالق فريد والأُدباء، وغيرها من الرسائل المنشورة، أو التي ما تزال طيَّ الكتمان.

وفي هذه الرسائل مساجلات لغوية وأدبية وفكرية تُلقي ضوءاً على كثير من القضايا التي كانت تشغل بال المتراسلين، وقد أصدر (نادي العروبة) في البحرين سنة ١٩٩٦م "مراسلات إبراهيم العريض الأدبية ١٩٤٣-١٩٩٦" في مجلد كبير احتوى على (٦١٨) صفحة من القطع الكبير، وفيه مئات الرسائل التي تبادلها مع الأدباء والأصدقاء.

في هذا المجلد خمس رسائل متبادلة بين نازك الملائكة (من العراق) وإبراهيم العريض (من البحرين) ففي الثاني عشر من كانون الأول سنة ١٩٥١م أرسلت نازك الملائكة برسالة إلى إبراهيم تشكره على إرساله "أرض الشهداء" إليها، وأجابها برسالة في الثاني والعشرين من كانون الأول، وردّت عليه برسالتها في السابع والعشرين من الشهر نفسه، وكتب إليها رسالة ثانية في الخامس عشر من كانون الثاني سنة ١٩٥٢، وأجابته نازك برسالتها الثالثة في السابع والعشرين من الشهر نفسه والسنة نفسها.

وتُعدّ هذه الرسائل الخمس ثروة نقدية، إذ أبدى الأديبان الرأي في مسائل ما زال الخلاف عليها قائماً في ساحات النقد والبحث والتأليف.

(٢)

تتمثل المسائل التي تَعَرَّضَ لها الأديبان في أهمية النقد الأدبي؛ لأنه يكشف عن روعة الأدب أو زيفه، ويفتح الطريق ويمهده للدارس، ويبعث على التأمل والتفكير. وقد أوضحت نازك تلك الأهمية بقولها: "سَرَّتني رسالتك الممتعة، وشكراً جزيلاً على عنايتك بشعري ونقداتك التي وجهتها، وهو أمر زاد في قيمة الرسالة، وقَرَّبها إلى نفسي لسببين مهمين:(١)

---

(١) سيذكر كلام نازك وإبراهيم كما جاء في الرسائل، وكذلك النصوص التي ترد في البحث منقولة من المصادر الأخرى.

أولهمـــا: أنَّ نقدك لشعري يُعَرِّفني إليك، فأنا أُؤمن بأنَّ النقد الواعي إيجاب فـــي شخصية الناقد على عكس الإعجاب والمديح، فهما – غالباً– سَلْبٌ لا دلالة لهما.

وثانـــيهما: أنَّنـــي أُحب أن أسمع آراء الإخوان النقاد في البلاد العربية في شعري، فهذه الآراء هي الظل الوحيد للذي ألقيه، أو قل: هو الظل الأهم.

ولهـــذين الـــسببين أشـــكرك، وأُعلن استمتاعي"[٢]. ولكنها على الرغم من ذلك – كان لها رأيها الذي يخالف رأي إبراهيم، قالت: "ويبدو أنَّ مذهبي في نقد الـــشعر يُخالـــف مـــذهب الأستاذ كثيراً، فالشعر –عندي– قبل كل شيء عاطفة مـــوحَّدة مـــنغمة، ولا مانع من أنْ تحتوي على صور ذهنية ما دام الإطار غنياً بالـــشعور، أمـــا أنْ يكتب شاعر قصيدة عاشها بعقله فأمْرٌ لا أستطيع أَن أتخيل نتيجته – والعياذ بالله".[٣]

وسبب هذا الخلاف أنهما لا يتفقان على مدلول المصطلحات الأدبية والنقدية، قالـــت: "فالظاهـــر أننا لا نتفق على مدلول بعض الألفاظ كالموسيقى، والعقلية، لذلك سأحتفظ برأيي، وأترك الأخ الكريم يحتفظ برأيه الذي أَحترمه؛ لأنني أعتقد أنَّ الآراء الأدبية لا يمكن أن تكون خالية من الصحة كلياً، ولا صحيحة مطلقاً، ثـــم أنَّ تـــضارب الآراء دلـــيل على حيوية الأُمة وآدابها".[٤] ولكنها اتفقت مع إبراهيم على أنَّ الموسيقى الشعرية "لا تنبع من الألفاظ وإنما من امتزاجها بسياق المعاني وأصدائها وظلالها".[٥] ثم قالت: "وقد سَرَّني رأيك حين عثرت عليه في

---

(٢) مراسلات إبراهيم العريض الأدبية من ٧٤، وسيشار إليها باسم (المراسلات) في هذا البحث.

(٣) المراسلات ص٧٦، وتنظر ص ٨٣.

(٤) المراسلات ص٨٦.

(٥) المراسلات ص٩١.

الكـتاب،[٦] حتى وضعت تحته خطا، ووجدت في شعرك نماذج كثيرة من هذا الامتزاج الذي هو أعلى ما يصله التّعبير الشعريّ".

وقـد يشير هذا الرأي إلى أن إيقاع القصيدة مرتبط بمعناها وغرضها، وهو ما ذهب إليه اليونانيون والرومانيون حين ربطوا بين الوزن وغرض القصيدة، ومـا ذهـب إليه الفلاسفة المسلمون كالفارابي وابن سينا، وما تَعرَّضَ له حازم القرطاجنـيّ مـن العـرب القـدماء، والدكـتور عـبدالله الطيب من العرب المعاصرين. [٧]

وأبـدى إبراهيم رأيه في المذهب الشعري الذي سلكته نازك وبشّرت به في مقدمة ديوانها الثاني (شظايا ورماد) حين تحدثت عن أوزان الشعر، وقالت: إنّ ترتيب تفاعيل الخليل الجديد "يُطلق جناح الشاعر من ألف قيد" وإن تغيير القافية يفتح الطريق للتّعبير عن المشاعر والمعاني بحرية واسعة، مهما طالت القصيدة واتسعت آفاقها. [٨]

وأنكر بعض الأدباء والنقاد هذه الدعوة، وكتب إبراهيم إلى نازك ذاكراً ما تحـدَّث به في مجلس ألبير أديب ببيروت، وقائلاً: "تحدثنا عن أُسلوبك وأسلوب أُخـتك الشاعرة فدوى طوقان فقلت: إني غير مرتاح لهذا المذهب الجديد الذي أخذت تدعو إليه نازك – كما جاء في ديوانها الأخير –[٩] وهو وجوب الانطلاق مـن كل قيد في الفنون، بينما الفن –كل فن– لا يقوم – في رأيي أنا– إلاّ على القـيود، وضـربتُ مثلاً فقلت: هل يجوز لمصور – مثلاً– وقد شرع في رسم صـورة كاملـة أنْ يرسم على لوحته الصدر ونصف الوجه ولا يجد متسعاً في

(٦) تقصد كتاب إبراهيم (الأساليب الشعرية).

(٧) تنظر هذه الآراء في (فصول في الشعر) ص٨٧ وما بعدها.

(٨) ديوان نازك الملائكة ج١٢ ص١١ وما بعدها، وسيطلق عليه اسم (الديوان).

(٩) يقصد شظايا ورماد الذي صدر سنة ١٩٤٩م.

اللوحة للنصف الثاني من الوجه، ويعتذر ويقول: إنَّ اللوحة ضاقت عن صورته ولـــذلك فالأحسن ألاّ تكون للوحة أمامه حدود حتى ينطلق تماماً في مجالي فنه. إنَّ لمـــثل هذا يقال: "ارسمها في حدودها يا أحمق" هذا إذا لم يكن هو فناناً، أما إذا كـــان بطبيعـــته فناناً فهو لا يحتاج إلى هذا القول؛ لأنه يدركه بفطرته. فقال بعـــض مَـــنْ حضر: إنَّ النماذج الجديدة هي التي تثبت هذه النظرية. فقلت: إنَّ الـــنماذج الجديدة إنْ تثبت شيئاً فإنما تثبت أنَّ الشعر يصح أنْ يكون في الوزن والقافـــية، كما يصح أنْ يكون بدون وزن وقافية – كما ألفها الناس– ولكنها لا تثبت، ولا تستطيع أنْ تثبت أنَّ الشعر – أو أي فن جميل– يجب أن يأتي مطلقاً من كل قيد".(١٠)

وأنكرت نازك أن تكون قد دَعَت إلى التحرر الكامل من الوزن والقافية في الـــشعر، كمـــا جـــاء في رسالة إبراهيم– ولذلك كتبت إليه قائلة بعد أنْ ذكرت عـــبارته: "هذه عبارتك– يا أخي– ويُؤسفني أنْ أقول: إنها مخالفة للحقيقة، ولن أُطيل في الكلام وإنما سيصلك (شظايا ورماد) قريباً... وسترى حين تُعيد قراءة المقدمة أنَّ هذا الحكم مبالغ فيه، ولن تجد في شعري قصيدة واحدة غير موزونة أو غيـــر مقفاة على كل، وأنا معك في أنَّ القيود تفيد الشاعر كثيراً إلاَّ إذا ثقلت ثقـــلاً غيـــر طبيعـــي.(١١) وأجابها بقوله: "أفلا يَسرُك أنْ تعلمي رأي أخيك في اتجاهك هذا الجديد؟".(١٢)

(٣)

أُعجب إبراهيم بشعر نازك، وقال في أول رسالة بعث بها إليها: "إني قرأت لـــك كثيـــراً وكثيراً، وأُعجبت بروحك، ولم يفتني مؤخراً أن ألاحظ هذا الاتجاه

---

(١٠) المراسلات ص٧٠.

(١١) المراسلات ص٧٨.

(١٢) المراسلات ص٨٤.

الجديـــد الـــذي نحوتهِ في أدبك، فقد ذكرتني قصيدتاك الأخيرتان المنشورتان في (الأديب) بعد عودتك من أميركا بأسلوب إدغار آلن بو، وبصورة خاصة ترجيعاتك فـــي قـــصيدتك الأولى[13]، فقد جاءت على غرار ترجيعاته في قصيدته (الغراب) فوددت لو ألفت نظرك أن هذا الشاعر – رغم كونه كاتباً مفكراً من الطراز الأول – كـــان يعيش لهزات روحه قبل أن يعيش بومضات عقله، وكان – دائماً – يؤمن بالموســـيقى الشعرية أكثر من إيمانه بالرمزية. فأنشدك الله ألاّ تخمدي هذه الجذوة المتوقدة في نفسك وراء حجاب من دخان. وما كان أعظمك في قصيدتك "أنا":

الليل يسأل مَنْ أنا؟
أنا سرّه القلق العميق الأسود
أنا صمته المتمرد
قنّعت كنهي بالسكون
ولففت قلبي بالظنون
وبقيتُ ساهمة هنا
أرنو وتسألني القرون
أنا مَنْ أكون؟.[14]

هذا رأي إبراهيم في شعر نازك، وذكر أنها متأثرة في قصيدتها (لعنة الزمن) بقـــصيدة (الغـــراب) -The Raven- لإدغـــار آلن بو – Edgar Allan Poe– وقـــال: "إن الشعراء إذا عارضوا بعضهم بعضاً في القصائد، أو قلدوا بعضهم بعضاً في الأوزان فإنما يفعلون ذلك لفرط إعجابهم بالأثر الذي يُعارضون. ولا أريد أنْ أزيد على هذا شيئاً فتفهمين منه ما أقصد إليه".[15]

---

(١٣) يقصد قصيدة (لعنة الزمن)، تنظر في الديوان ج٢ ص٢٤٢ (قرارة الموجة).

(١٤) المراسلات ص٧٠، والديوان ج٢ ص١١٢.

(١٥) المراسلات ص٨١.

ووضّحت نازك ذلك بقولها: "أما حكمك على قصيدتي (لعنة الزمن) فلا أظنني أُريد التعليق عليه، ذلك أنَّ هذا حكمك، وأنا أحترمه وأحترم حريتك في الحكم، ولا أظن أحكامي على شعري ذات قيمة في تقييم هذا الشعر على كل حال، على أنني أودّ أنْ ألفت نظرك إلى أن (لعنة الزمن) لا تحتوي على مجرد شبه بقصيدة بو (The Raven) وإنما هي في وزنها تتفق كلياً مع وزن (الغراب) وهي في الواقع إحدى محاولاتي في تطبيق الأوزان الإنكليزية على شعرنا العربي، ولا بدَّ أنْ تكون لاحظت أنّ أسلوب القوافي الذي استعملته هو عين أُسلوب التقفية في (الغراب) وقد استعملت أنا قافية (القاف) مكان (الراء) عند بو لسبب يتعلق بكيان قصيدتي.

هذا كل ما لقصيدة (لعنة الزمن) من علاقة بـ (غراب) بو، وأرجو ألاّ يكون حكمك مخالفاً لحكمي، والحقيقة أنني أُحب – جداً – أنْ أسمع حكمك – أيها الأخ النبيل – في هذا، وسأنتظر أنْ أسمعه إنْ أنت رأيت أنْ تكتب رسالة طويلة جواباً على رسالتي الطويلة. إن لاح لي أنني في (لعنة الزمن) أُشْبه بو، فسأسف على القصيدة؛ لأنني – كما قلت – لا أُحبه كثيراً"[١٦]. وقالت: إنّ إبداء رأيه في شعرها ليس تطاولاً عليها إذ "ما قيمة النقد – إذن – إنْ هو سَمَّى الرأي الأدبي تطاولاً؟". ثم قالت: "أنا – والله – على العكس شاكرة لك أجمل الشكر رأيك الصريح الذي أعتز به، ولا شيء ألطف وأنفع –عندي– من أنْ أسمع ملاحظاتكَ المفصّلة على ديوانيَّ اللذين أُرسلهما إليك مع هذا، وهما أقل ما ينبغي".[١٧]

وكان إبراهيم قد انطلق في إبداء رأيه من إيمانه بالانتفاع بالآداب الأجنبية، وقد أوضح ذلك بقوله: "وأنا بعد من الذين يؤمنون بالتلقيح في الأدب لا التقليد أو المعارضة، والنفس الإنسانية عالم في ذاتها، وهي هنا غيرها هناك. ومع

---

(١٦) المراسلات ص٧٧.

(١٧) المراسلات ص٧٨، وتقصد ديوانيها (عاشقة الليل) و(شظايا ورماد).

إيماني بحاجة أدبنا إلى هذا التلقيح فلا زِلْنا في دور التجارب، وما كل تجربة – يا أختي– فرض عليها أن تكون ناجحة، والثمرة لا تأتي بدء اللقاح، وإنما تكون غاية غاياته، وعلى الرائد ألاّ يكذب أهله".[١٨]

(٤)

ذكرت نازك أنَّ لقصيدتها (لعنة الزمن) شبها بقصيدة بو، وأنها في وزنها، وأُسلوب تقفيتها.

بدأ بو قصيدته (الغراب) –The Raven– بقوله:

في منتصف ليلة موحشة
بينما كنت منهمكاً ومرهقاً
أتأمل العديد من كتب الحكايات القديمة الغريبة العجيبة
بينما كنت أنوس برأسي أكاد أغفو
فجأة إذ بنقرة
كأنَّ أحداً يطرق الباب بخفَّة
يطرق باب غرفتي
هَمْهَمْت: هذا زائر

ثم قال:

هكذا دفعت المصراع بقوة
وإذا بغراب مهيب الطلعة من عصور الورع الخالية
يندفع بكل خيلاء ورفرفة
لم يُلْقِ بأي تحية إجلال
ولم ينتظر أو يتوقف للحظة ما

---

(١٨) المراسلات ص٨٤.

بل بجبروت السيد أو السيدة

جثم فوق الباب

ثم قال مخاطباً الغراب:

أيها الغراب المتجهم العتيق

القادم من شاطئ الليل

قل لي ما اسمك الكريم هناك في شاطئ الليل البلوتوني؟

رَدَّ الغراب: لم يَعُدْ لي اسم أبدا.

وختم بو القصيدة بقوله:

وما زال الغراب جالساً جالساً دون حراك
فوق تمثال (بالاس) الشاحب فوق باب غرفتي
عيناه عينا شيطان يحلم
والضوء: من فوقه يصب ظله فوق أَرض الغرفة
وروحي الملقاة في الظلال
السابحة فوق أرض الغرفة
سوف تنقذ: أبدا أبدا (١٩)

وبدأت نازك قصيدتها (لعنة الزمن) التي نظمتها سنة ١٩٥٠م بقولها:

كان المغربُ لونَ ذبيح

والأُفْقُ كآبة مجروح

والأشباح الغامضة اللون تجوس الظلمة في الآفاق

واستمرت في رسم هذا الجو الكئيب، ثم قالت:

لكنَّا إذْ كنا نحلم

أَحسسنا شبه صدى مبهم

---

(١٩) ينظر إدغار آلن بو ص٣٢٠، و : Poe: Tales and Poems p,17

في الأمواج الداكنة الصمت سمعنا شبه صدى خفاق
الجنيات المنتقمات
يصعدْن إلينا في عَربات
فأجاب رفيقي: لا، هيهات
ذلك صوت الموج الرقراق
الريح الحالمة البيضاء تمرُّ على الموج الرقراق
وتخادع أسماع العشاق
لأيَن وتبينا الحركة
ثمة وإذا جثة سمكة
طافية فوق الموج ميتة والشاطئ في إشفاق
وصرخْت! رفيقي أين نسير؟
لنعُد، فالجثة هَمْسُ نذير
أرسلها عملاق شرير
إنذارَ أسى ودليل فراق؟

فأجاب رفيقي: نحن هنا: يحرسنا الحبُّ فأيّ فراق؟

وغرقت هي ورفيقها في (صمت براق) ومشيا، وظلت السمكة تتبعهما، وهي تكبر حتى عادت في حضن الموجة عملاقاً، وصرخت الشاعرة: "رفيقي أي طريق يحميـنا مـن هـذا المخلوق، والدرب يضيق ويضيق، والظلمة محكمة الإغلاق". وهـربت هي ورفيقها، والسمكة تتبع أرجلهما المرتبكة، وزعانفها السود سدَّت في وجهيهما الأرجاء، وأصبح كل شيء حولهما سمكة.

وانتهت القصيدة بهذا المقطع:

حتى الأغصان المشتبكة
عادت تُشبه عين السمكة

وتروع خُطانا المرتبكة

والأنجم عادت كالأحداق

والغد والماضي والدنيا وهوانا في تلك الأَحداق

رسبت وتوارت في الأعماق(٢٠)

لقد اتفقت القصيدتان في:

١- رسم جو حزين بدأت به قصيدة بو: "في منتصف ليلة موحشة" وبدأت قصيدة نازك بعبارة "كان المغرب لون ذبيح". واستمر تصويرهما لهذا الجو الكئيب حتى ظهر (الغراب) الذي دق باب بو، وظهرت (السمكة) في قصيدة نازك.

٢- اتخاذ (الغراب) رمزاً للشؤم في قصيدة بو، واتخاذ (السمكة) دليلاً على الزمن الذي يطارد الإنسان ويفرق الأحباب، وهو ما أشارت إليه الشاعرة في مقدمة ديوانها (قرارة الموجة) حيث قالت محدثتها: "إن السمكة في قصيدتك رمز للزمن، أي الفراق بين الصديقين، أليس كذلك؟".وأجابتها بقولها: "إني أعتقد أنَّ فراق عشرة أَشهر بين الأصدقاء يجعل من المستحيل أن يعودا أصدقاء". وقالت الشاعرة عن (السمكة): "إنها إنذار أسى ودليل فراق" وما كان للغد والماضي والدنيا إلاّ التواري في الأعماق.

٣- استعمال بو ونازك الألفاظ والقوافي التي توحي بالمعنى، إذ كرر الشاعر: nothing more ست مرات، و nevermore إحدى عشرة مرة، وكررت الشاعرة الكلمات: الاستغراق، الأوراق، الأشواق، الأعراق، الأنفاق، التوّاق، الألآق، الرقراق، الفراق، الإغلاق، المحاق، الأحداق.

---

(٢٠) الديوان ج٢ ص٢٤٢ (قرارة الموجة) وهو ديوانها الثالث.

وقـد جـاءت بهـذه القافية لسبب يتعلق بكيان قصيدتها، أي التعبير عن المعنى الذي أرادت إظهاره في القصيدة. (٢١)

٤- الـوزن الـذي استعملته نازك هو بحر الخبب، ولم تكن محتاجة إلى أن تطـبق "الأوزان الإنجليـزية على الشعر العربي" ما دامت بحور الشعر العربـي تفـي بالغـرض. وتأثرها بقصيدة بو يبدو في عدد تفعيلات كل سطر، كما يلاحظ في القصيدتين.

(٥)

ويتصل بهذه المسألة الكلام على إدغار آلن بو، فقد قال إبراهيم في رسالته الأولـى إلى نازك: "ذكرتني قصيدتاك الأخيرتان المنشورتان في (الأديب) بعد عـودتك مـن أميـركا بأسلوب إدغار آلن بو، وبصورة خاصة ترجيعاتك في قـصيدتك الأولى فقد جاءت على غرار ترجيعاته في قصيدته (الغراب) فوددت أن أَلْفِـتَ نظرك أن هذا الشاعر - رغم كونه كاتباً مفكراً من الطراز الأول - كـان يعيش لهزات روحه قبل أن يعيش بومضات عقله، وكان يُؤمن بالموسيقى الشعرية أكثر من إيمانه بالرمزية".(٢٢)

لقد اعترفت نازك بتأثرها بقصيدة (الغراب) ولكنها لم تُوافق إبراهيم على ما قالـه عن بو، وناقشته في رسالتيها الأخيرتين، وقالت: "وأنا أستخلص من هذه الجملـة بـضع فكـر مفروزة أودّ الوقوف عند كل منها لحظاتٍ، وسألخصها بأُسلوب مدرسيّ بما يأتي:

---

(٢١) ينظر في الشعر العربي الحديث ص٢٤٧.

(٢٢) المراسلات ص ٧٠.

١- أنَّ إدغار بو كاتب مفكر من الطراز الأول.
٢- أن الشاعر ينبغي أنْ يعيش بعقله لا بروحه.
٣- أن إدغار بو كان لا يُؤمن بالرمزية.
٤- ويبدو من علاقة هذه الفقرة بما قبلها أنك تعتقد أن قصيدتي (لعنة الزمن) موسيقية خالية من المعنى.

ورأيي فيما يتعلق بالنقطة الأولى أن إدغار بو ليس من الطراز الأول في أيّ شيء... حتى أنَّ بعض الأدباء قد قال مرة: "الإعجاب العنيف بإدغار بو دليل على ذهن من الدرجة الثانية" وهذا لا يمكن دحضه بحقيقة مثل كون شاعر كبودلير قد أحب إدغار بو، وترجمه إلى الفرنسية، وعرَّف القراء الأوروبيين بشعره؛ لأن تعليل هذه الحقيقة واضح، فبودلير فرنسي على كل حال تشدهه موسيقى بو العذبة وأجواؤه المسحورة دونما داعٍ لمعرفة عميقة باللغة الإنجليزية. هذا هو ملخص السر كله، وهو – أيضاً- يمكن أنْ يكون تعليلاً لحبنا نحن لإدغار بو – أعني بكلمة (نحن) العرب- فأنا كما تلاحظ لست مولعةً بالشاعر، وإنْ كنت أحب أجواءه وموسيقاه، وهو كل ما تعلمت منه حتى هذه اللحظة".(٢٣)

وقالت إنَّ بو ليس كاتباً مفكراً من الدرجة الأولى فقصصه "مجموعة انطباعات منحرفة تنم عن مزاج شاذ، وملكة قصصية ضعيفة، تلتمس التأثير في القراء باستعمال المخوفات الصبيانية كنهوض امرأة ميتة من قبرها بعد دفنها بأسابيع، وكقط ينقلب إلى شبح – فيما أتذكر. أرجو مراجعة قصة(The blache cat)،(٢٤) وكغرفة لا باب لها ولا نوافذ، وأُفق أصفر يجري فيه نهر من دم،

(٢٣) المراسلات ص ٧٤.

(٢٤) تنظر القصة في: Poe: Tales and Poems p296.

وتمـــرُّ الـــرياح على أزهار تعول كلما لامستها الريح، ومثل لايجيا Ligeia [٢٥] ذات العينين اللتين كانتا غير بشريتين في سعتهما. وأظنك تُقرني على أن السبك فـــي هـــذه القصص يقربها من المقالة essay – غالباً–، وأنها بمجموعها أشبه بالقصص البوليسية لولا الأسلوب الشعري الذي صاغها به بو، أما أنَّ بو مفكر فـــلا أظننـــي أملك دليلاً عليه، كل ما أعرف لبو بضع مقالات في النقد لا قيمة كبيرة لها".[٢٦]

وقالت: إن بو لم يكن من شعراء المذهب الرمزي؛ لأنه لم يكن موجوداً عند ظهـــور الرمزية، إذْ وُلِد سنة ١٨٠٩م ومات سنة ١٨٤٩م،[٢٧] في حين أن نشأة المدرســـة الرمزية مقترنة بطبع (أزهار الشر) لبودلير سنة ١٨٥٧م، أي أنَّ بو ماتَ قبل هذا التاريخ بثلاثين عاماً.

وقالت: "لا أدري كيف يمكن أنْ تقول إن إدغار بو "كان لا يؤمن بالرمزية" على أنَّ الذي يمكن أنْ نقوله في تخريج هذه العبارة إنَّ الرمز كان موجوداً منذ القديم، وشعر بو يحتوي على عناصر رمزية كثيرة"،[٢٨] وانتهت إلى:

١- أنَّ بو مات قبل وجود المذهب الرمزي.

٢- أن الرمز غير الرمزية.

٣- أن شعر بو يحتوي على عناصر رمزية.

---

(٢٥) ينظر ثلاثة قرون من الأدب ج١ ص١٩٤، و: Poe: Tales and Poems P225.

(٢٦) المراسلات ص٧٥.

(٢٧) ينظر ثلاثة قرون ج١ ص١٩٠، وإدغار آلن بو ص٢٧، ٣٨٦ ومقدمة حكاياته وقصائده: Poe: Tales and Poems.

(٢٨) المراسلات ص ٧٦.

وناقشت عبارة إبراهيم وهي أنَّ بو "كان يعيش بومضات روحه قبل أنْ يعيش بعقله"، وقالت: "الذي يلوح لي من هذه العبارة التي جاءت في سياق تحذير الأخ لي من اتخاذ بو نموذجاً أنه يقصد أنْ يقول إنّ الشاعر ينبغي أنْ يعيش بعقله، وهنا -أيضاً- أقف مخالفة. ويبدو أن مذهبي في نقد الشعر يخالف مذهب الأستاذ كثيراً. فالشعر - عندي- قبل كل شيء عاطفة مُوَحَّدة منغمة، ولا مانع من أنْ تحتوي صورة القصيدة على صور ذهنية ما دام الإطار غنياً بالشعور. أما أنْ يكتب شاعر قصيدة عاشها بعقله، فأمرٌ لا أستطيع أنْ أتخيل نتيجته والعياذ بالله". ثم قالت: "لا أظن عيب شعر بو أنه كان عاطفياً لا عقلياً" وإنما "هو سطحية تفكيره وإحساسه، كأنه يفقد أحاسيسه في التماسه للأجواء المثيرة، وهو التماس متعمل - كما تعلم-. وقصة قصيدة (الغراب) مشهورة فقد بقي ينقحها وينقحها طيلة زمن ممتد حتى انتهت إلى صورتها الأخيرة التي نعرفها اليوم.(٢٩) ومن هذا يبدو أنني أرى عيب شعر بو نقص العاطفة من حيث تراه أنت انشغالاً بالعاطفة عن التفكير".(٣٠)

واستدرك إبراهيم ما قاله عن بو من أنه كان "كاتباً مفكراً من الطراز الأول..."، قال:"وأنا لا أغفر لنفسي كيف وقع هذا الاشتباه فقد استخلصت من هذه الجملة بضع فكر مفروزة لخصتها لأخيك". وذكر النقاط الأربع التي ذكرتها نازك في رسالتها، ثم قال: "فإذا كان هذا هو ما استخلصته من عبارتي فإني آسف على قصور بياني عن تعبير ما أردتُ، ولولا أنك علقت عليها نتائج كبيرة - بله حكمي على شعرك- لما كان يهمني الموضوع كله، فالذي كنت أقصد بثه من وراء تلك العبارة هو:

(٢٩) يقال إنه أعاد نظم القصيدة في ستة عشر شكلاً، وطبعت بأربع صيغ مختلفة. (ينظر ثلاثة قرون من الأدب ج١ ص٢٧٠).

(٣٠) المراسلات ص٧٦.

١- أنـــك تحاولين تقليد إدغار آلن بو – ليكن في الأوزان – فلا بدّ أنّكِ معجبة به.

٢- أن هذا الشاعر جدير بالإعجاب حقاً، ففي شعره موسيقى خاصة ينفرد بها عن سواه.

٣- لا أســتطيع الحكـــم على مدى توفيقك في تقليد هذه الأوزان، ولكني أرى ومضات العقل في شعرك الأخير طاغية على هزات الروح.

٤- التوفيق في مباراة هذا الشاعر –لا غيره– يجب على من يباريه أنْ يُؤمن بالموسيقى الشعرية –مثله– أكثر من إيمانه بالرمزية، وإلاّ كانت المجاراة باطلة.

٥- وهـــذا يـــستتبع حتماً أنّ الأوزان تجعل للقصائد كياناً خاصاً، فلا يصلح كل وزن لكل شيء.

كـــنت آمل أنّ هذا هو رأيك – في رسالتك الأُولى– ولذلك بنيت عليه"، ثم قـــال: "أمّا كون اعتقادي بهذا الرأي –في إدغار بو ككاتب– يجعلني عند بعض الأدبـــاء صاحب ذهنية من الدرجة الثانية، فهذا مما لا أهتم له؛ لأني ما أخذت على نفسي فرض رأيي على أحد".

واستمر في مناقشة نازك وقال: "أين أنت عن قصصه في عالم الإجرام التي فـــتح فـــيها هـــذا الكاتب الباب على مصراعيه لكتاب هذا العصر من الإنكليز والأميركان... أفيقال في كاتب مَهَّد السبيل لمن جاء بعده:

١- في أوزانه الشعرية.

٢- في قصصه الزاخرة بالعناصر الرمزية.

٣- في قصصه الإجرامية التي تأتي –على قلتها– على رأس كل ما يكتب في موضوعها حتى الآن...

أفيقال فيه: إنه كان ذهناً من الدرجة الثانية...؟ ثم إذا كانت هذه تهمة يُؤاخذ بها بو، فما قولك في بودلير الذي ترجمه إلى نفسه قبل أنْ يترجمه إلى الأوروبيين، ألم يكن كل شعر هذا الأخير "مجموعة انطباعات منحرفة تنم عن مزاج شاذ" فلماذا أفسح له المكان على رأس المدرسة الرمزية؟ ثم تقولين في صدد تعليل حب الإنكليز لإدغار بو بأنَّ موسيقى بو العذبة هي التي تشدهم دونما داعٍ لمعرفة عميقة باللغة الإنكليزية. فهل تعلمين أنَّ الإنكليز كان عليهم أنْ ينتظروا عشرات السنين حتى جاءهم ناقد ألماني فعرَّفهم بحقيقة عظمة شاعرهم شكسبير، ومعنى هذا أنَّ الإنكليز مدينون للأجانب بالفضل في كل شيء حتى في تقرير أدبهم الذي هو روح الأمة"(٣١)

وعاد إلى الرمزية التي قال: إن بو يؤمن بها، ورأى أنَّها "لا تلتئم بحال من الأحوال مع الومضات الفكرية، وإنما تنهض بجمالها الموسيقي"، وأنَّ "الشعر الذي يقتصر على الرمزية دون الموسيقى لا يكون –يا أختي– إلاّ جافا... لأنَّ الرمزية في حقيقتها موسيقى صور، ورقص أشباح".(٣٢)

ولم تتوقف نازك عن مناقشة إبراهيم في شاعرية بو، إذ عادت إليه في رسالتها الثالثة، وقالت: إنّ حكمها على بو من أنه كان "ذهنا من الدرجة الثانية" ليس حكمها وحدها وإنما هو "حكم النقاد الإنكليز، وقد أشار إليه هارفي آلن في تصديره للطبعة الكاملة التي أصدرتها إحدى السلاسل الأدبية في أميركا من أعمال بو شعراً ونثراً، وهو –أيضاً– الحكم العام على بو حتى في أميركا".(٣٣)

---

(٣١) المراسلات ص٨١.

(٣٢) المراسلات ص٨٣.

(٣٣) المراسلات ص٨٧.

وأعادت بعض ما قالته عن بو في رسالتها السابقة، ولتؤيد رأيها في شعره، ترجمت قصيدته (الأجراس): (The bells)(٣٤)

كل صوت يطفو من حناجرهم الصدئة أنّة
والناس – آه الناس– أولئك الذين يعيشون في البرج وحدهم
الذين يقرعون يقرعون يقرعون
بتلك الرتابة الغامضة
ويحسون بالمجد وهم يلقمون القلب البشري حجراً هكذا
إنهم ليسوا رجالاً ولا نساء
إنهم ليسوا وحوشاً ولا بشراً
إنهم أغوال وملكهم هو الذي يقرع
وقلبه المرح يمتلئ بنشيد الأجراس
وهو يرقص، وهو يصرخ ممسكاً: الوحدة الوحدة الوحدة
نشيد الأجراس الأجراس الأجراس
ممسكاً الوحدة الوحدة الوحدة لخفقات الأجراس
للأجراس للأجراس للأجراس
لبكاء الأجراس ممسكاً الوحدة الوحدة الوحدة
وهو يدق يدق يدق لانثيال الأجراس
للأجراس الأجراس الأجراس لدقات الأجراس
للأجراس للأجراس للأجراس للأجراس
لأنين الأجراس وآهاتها

---

(٣٤) المراســلات ص٨٨، وللدكــتور ســلمان الواسطي ترجمة لها (ينظر بحثه المؤثرات الأجنبــية في شعر نازك الملائكة حتى عام ١٩٥٠م، المنشور في كتاب (نازك الملائكة ص٥٧) وينظر نص القصيدة الإنكليزي في: Poe: Tales and Poems P634.

علقـــت نازك على هذه القصيدة بقولها: "لست أدري كيف يمكن أنْ يختلف اثـــنان فـــي قيمة قصيدة كهذه، إنها ليست أكثر من مجموعة مؤثرات صوتية لا قيمة شعرية لها، وقد التمس بو التأثير فيها بالتكرار (٣٥)، وهو – أيضاً- أسلوب صبياني. نعم التكرار رائع في مكانه، وكلنا نتذكر كلمات (لير) الخمس المحزنة:

" never, never, never, never, never" وصـــرخات (ريجـــرد الثاني) ولكن هذا شكسبير، هو هو الحياة كلها في مسرحياته، أما أجراس بو!! إني أذكر فـــي هذا الصدد دعابة رائعة كتبها (كلبانث بروك) – الناقد الأميركي المعاصر في كتاب له وهو يدرس الشعر دراسة تطبيقية- وقد وقف عند قصيدة (أُولالوم) وهـــي من أعذب قصائده، وقد استعمل فيها هذا الأُسلوب الصبياني في التأثير، وكان حكمه قاسياً على بو كالعادة.

نتـــسائل لو أنَّ بو نظم قصيدة (ملتون) (٣٦) Paradise Lost ماذا تراه كان يصنع منها؟ وقد أجاب عن السؤال بأن كتب مقطعاً منها على طريقة بو فكانت فكاهة بليغة وقفت عندها طويلاً مفكرة". (٣٧)

وأرادت أنْ تخفـــف مـــن قوتها على بو فقالت: " وختاماً أرجو ألاَّ تعتقد أنني أمقـــت شـــعر بو، فقد قلت وسأقول إنه أحد الشعراء القلائل الذين عنوا بخلق الجو الـــشعري في قصائدهم – أُستاذه في هذا (كولردج) في رأيي – وهو يحس بوحدة القـــصيدة إحـــساساً لذيذاً ينقص أكثر شعرائنا العرب – قديمهم وحديثهم- ولو كان أكثر عمقاً لكان له في إعجاب هذا العصر مكان أبرز". (٣٨)

---

(٣٥) ذكر كلمة الأجراس تسعاً وخمسين مرة..

(٣٦) الفردوس المفقود.

(٣٧) المراسلات ص٨٩. وقد جاء في كتاب إدغار آلن بو ص٣٤٩، أن قصيدة (الأجراس) تـــركت أثـــراً كبيـــراً في نفس الموسيقار رخمانينوف حيث استند إليها في تأليف إحدى سيمفونياته الكورالية.

(٣٨) المراسلات ص٩٠.

ولـــتدفع تلك القسوة قالت: إنها تحب قصيدة (أولالوم)، وإنها تأثرت بها في كتابة قصيدتها (الجرح الغاضب) التي نظمتها سنة ١٩٤٨م، وهو ما ذكرته من قبل في مقدمة ديوانها (شظايا ورماد) الصادر سنة ١٩٤٩م، قالت: "وإن كان لا بـــدَّ مـــن إشارة إلى قصيدة (الجرح الغاضب) فلأقرر أنَّ الأسلوب الطريف في تقفيـــتها مقتبس مباشرة عن الشاعر الأميركي إدغار آلن بو في قصيدته البديعة Ulalume".[٣٩]

وقـــصيدة (أُولالـــوم) تـــرنيمة لزوجته فيرجينيا Virginia التي توفيت في الثلاثين من كانون الثاني سنة ١٨٤٧م، وكانت السنة نفسها عام نظم القصيدة:

كانت السماء كالحة وقاتمة
وكانت أوراق الشجر يابسة وذاوية
كانت أوراق الشجر ذابلة وذاوية
كان الوقت ليلاً في تشرين المستوحد
تشرين سنتي الأشد غوراً في الماضي السحيق
القسوة بالغة قرب بحيرة (أوبر) [٤٠] الممتعة
في عمق منطقة (فير) [٤١] الضبابية
والهبوط بالغ قرب بحيرة (أُوبر) المرطبة
في غابة (فير) التي ترودها الغيلان

ثم قال:

أَيَّة ليلة ليلاء من تلك السنة
لم نلحظ بحيرة (أُوبر) المعتمة

---

(٣٩) الديوان ج٢ ص١٨.
(٤٠) Auber.
(٤١) weir

لا، ولا غابة (فير) التي ترودها الغيلان
ذلك لأن قبر حبيبتك (أولالوم) يرقد هنا
ثم أن قلبي قد أصبح كالحاً وقاتماً
كأوراق الشجر اليابسة الذاوية
كأوراق الشجر الذابلة الذاوية
ثم صِحتُ: لا بدَّ أنه تشرين
تشرين تلك الليلة نفسها من السنة الماضية (٤٢)

وقالت نازك في قصيدتها (الجرح الغاضب):

أغضب أغضب لن أحتملَ الجرح الساخر
جرح قد مرَّ مساء الأمس على قلبي
جرح يجثم كالليل المعتم في قلبي
يجثم أسودَ كالنقمة في فكر ثائر
جرح لم يعرفْ إنسان قبلي مثله
لن يشكو قلبٌ بشريٌّ مثله

واستمرت في رسم هذا الجو الكئيب، ثم قالت:

ومن الأعماق تصاعد صوت مخنوق
يهتف في حزن في جزع: كيف أبوح؟
ليت الجرح المظلوم إلى الليل يبوح
قد يثأر لي، مطرٌ ورعودٌ وبروق
ورأيتُ على الأفق المخضوب بفيض دمي
شبحاً تفتَرُّ على فمه قطرات دمي

---

(٤٢) إدغار آلن بو ص٣٤٥، Poe: Tales and Poems p 624.

عيناه الزرقاوان مساء أهوال
ويداه السوداوان ذراعا عفريت
وأحال دياجيري أُحْجِيَّةَ عِفْريت[٤٣]

يُلاحظ في قصيدة نازك:

١- أنّ الـــروح القانطـــة من كل شيء ترسم الكآبة في القصيدة، وهي جو قصيدة بو.

٢- التكـــرار في مطلع القصيدة وهو ما فعله بو حيث كرر بعض العبارات والكلمات.

٣- تكرار الكلمة نفسها في بيتين، وهو ما فعله بو في قصيدته.

٤- شبح نازك عفريت، وشبح بو الغيلان.

فالجو العام لقصيدة نازك وتقفيتها من تأثرها بقصيدة بو، وقد أشارت هي إلى ذلك في مقدمة ديوان "شظايا ورماد".

(٦)

ضَـــمَّت الرســـائل الخمـــس آراء قيمة، وكانت بداية المساجلة رسالة نازك الأُولى، التي شكرت فيها إبراهيم الذي أهدى إليها (أرض الشهداء) وتطرقت إلى قصيدته التي نشرها في مجلة (الأديب) البيروتية، وقد لاحظت وزنها الذي يندر اســـتعماله في الشعر على الرغم من أنّه أحد البحور الستة عشر، وقالت: "ولو حدثـــتك بـــتأريخ هـــذا البحر الشعري في نفسي لأدركت سبب سروري بقراءة قـــصيدتك"[٤٤]. وقالـــت: إنّ البحر المديد - الذي نظم به قصيدته- من البحور الموحـــية المملـــوءة إمكانيات تعبيرية، وقد أدهشها أنّ "كثيراً من الناس - غير

(٤٣) الديوان ج٢ ص٦٧ (شظايا ورماد).

(٤٤) المراسلات ص٦٥.

المثقفين شعرياً خاصة- يرونه خلوا من الموسيقى" وأنّها "تعرف" عشرات من الناس يقرأون القصيدة منه فيعدونها مجموعة أخطاء قُصِد بها وزن البحر الخفيف".

لقد أحبت قصيدة إبراهيم وراقها المطلع:

فـي جـوار الأرز ديـرٌ مُطِـلٌّ	شـبه خـالٍ في بياض الجبالِ
قمـمٌ فـي الـنور أمّـا المـرايا	أسـفل الـسَّفح فنـبع الظـلالِ
فـإذا الـشلال أولُ لحـن	عبقـري عـرفته الليالـي

وهذه المقطوعة:

ركعـت فـي الليـل ذاتُ مُـوح	ردَّ عـنها فـي الصلاة النقاب
فـي خـشوع فهـي بالليل طيفٌ	ماثـلٌ مـثلك لـولا الـشباب
وَخْـدَها للـنور بـين يـديها	زهـرات لا تـرى وكـتاب
يـا لـه وجهـاً كزهـر الأقاحي	وجبيـنا غـام فـيه اكتـئاب

وعلّقت على القصيدة بقولها: "إني أرى باختصار أنَّ الوزن في هذه القصيدة ناجح مناسب لانسياق القصة. وأودّ لو عرفت ما رأي قراء الشعر فيها، فأنا أعرفهم يبغضون البحر المديد، ولا يستسيغون قصيدة تتبعه. ولا أكتمك أنني قد كتبت قصائد كثيرة منه لم أجْرؤ على نشرها على إيماني بأن وظيفة الشاعر أنْ يقود لا أن يتبع ذوق الجمهور البدائي، ولهذه كله أُهنئك، وربما أَعَدْتُ النظر في قضية نشر قصائدي المديدة التي لم أسمح لها بالظهور بعد".(٤٥)

كـان لهذا الرأي وقع حسن على الشاعر، قال: "وقفت طويلاً عند قولك إنك تـرين بحـر المديد بحراً موحياً مملوءاً بالإمكانيات التعبيرية، وأنا أُوافقك على ذلك، ولا يدهشني أنَّ كثيراً من الناس يرونه خلوا من الموسيقى؛ لأن ما وضع

(٤٥) المراسلات ص٦٦.

للمواقف الخطابية التي ألفوها في سواه من الأوزان وبخاصة في الخفيف الذي لا يخـتلف عنه في الظاهر إلاَّ بسبب واحد في التفاعيل، فلو حذفت – مثلاً– كلمة (قد) من بيت المعري:

" رُبَّ لَحْدٍ قد صار لحداً مرارا"

لتحول الشعر حالاً من الخفيف إلى المديد[٤٦]، ولذلك يعدُّه مَنْ يعدُّه أخطاء قُصد بهـا وزن بحر الخفيف، ولكنّ بين البحرين – رغم هذا كله برزخا لا يبغيان– فللمحافظـة علـى النغم الموسيقي في بحر المديد علمتني التجربة أنه لا يجوز تدويـر البيت أي جعل شطريه يشتركان في كلمة واحدة بأنْ يكون بعضها هنا، وبعـضها هناك، كما يجوز في وزن الخفيف الذي يكثر فيه من مثل هذا البيت للمتنبي:

ربما تُحسنُ الصنيع لياليه ولكنْ تكدّر الإحسانا

فالـنغم الموسيقي في المديد يضطر الشاعر بحكم حساسيته الفطرية أَنْ يتجنب هذا التدوير، ويجعل كلا من الشطرين مستقلاً بكيانه".

وعقـد مقارنـة بين المديد والخفيف، وقال: "وليس هذا كل ما هناك، فمن الملحوظ أنّه لا يمكن في ضرب المديد ما يعبرون عنه بالخَبْن[٤٧] – مثلاً– كما نجد في هذين البيتين للمتنبي:

وإذا لـم يكـن مـن المـوت بُـدٌّ فمن العجز أن تكونَ جبانا (نَ جبانا)
ولـو أنَّ الحيـاة تبقـى لحـيٍّ لعَدَدْنا أضلنـا الشجعانا (شُجْعانـا)

فهذا التزاوج في الضرْب بين الحركة والسكون لا يتيسر لناظمه في المديد، ويظهـر فـي أن هـذه القيود وأمثالها – مقابل يسر الأشياء من جواز الزحاف

---

(٤٦) مـع أنهمـا مـن دائـرتين مختلفتين، فالمديد من دائرة المختلف، والخفيف منْ دائرة المجتلب.

(٤٧) الخبن: حذف ساكن في (فاعِلُن) فتصير (فَعِلُن).

والعلل(٤٨) في الخفيف – هي التي جعلت معظم الناس لا يَسْتَسيغون قصيدة تنظم فيه بعكس موقفهم من الخفيف الذي يُطلق لناظمه الكلام على رسْله، ولا يقيم في طريقه العثرات التي لا يستطيع غير الفنان تخطيها. فالخفيف أَسْهل البحور، ولا ينظم ناشئ الفتيان من الشعراء – أول أمره – إلاّ فيه حتى يستقيم عوده، وأطوعها للسانه؛ لأنه يُجيز له من الزحاف والعلل الشيء الكثير. وفي آخر الأمر كان ولا يزال أكثر ملاءمة للأُسلوب الخطابي وليس كذلك المديد الذي يحتفل بموسيقى شعرية عميقة الغور.

أمس في الحسرة مرت ليالٍ وغدا نفس الليالي تعود

وعلى كل حال سُررت أَنَّ القصيدة (شمعة تحترق) أثارت في نفسك الحساسة ذكريات حول قصائد لم تسمحي لها بالظهور بعد، ولكن لا بدَّ – هنا– من تذكيرك– وإلاَّ كنتُ مثل الذي يخادعك على نفسك– أَنك اليوم تقفين من فنك على مدماك شامخ، فلا يجوز أَنْ تنشري اليوم شيئاً– ولو لنازك القديمة – لا يتقبله ذوق نازك الجديدة المرهفة ومستواها الرفيع".(٤٩)

لقد اتفق الشاعران على أنَّ في وزن البحر المديد إيحاءً وطاقةً تعبيرية، بخلاف ما قاله بعض القدماء والمعاصرين إذ وجدوا فيه ضعفاً وثقلاً، وإنْ كانت فيه رنَّة شجو وأسى، ورهو ورزانة واحتشام(٥٠). وهو – فضلاً عن ذلك– قليل الورود في الشعر إذا ما قورن بالبحور الأخرى.

---

(٤٨) الزحاف: تغيير يلحق بثواني أسباب الأجزاء للبيت، والعلة: تغيير مخصص بثواني الأسباب.

(٤٩) المساجلات ص٧١.

(٥٠) ينظر الفصول والغايات ص ٢١١، منهاج البلغاء ص ٢٦٨، موسيقى الشعر ص ٩٦، المرشد إلى فهم أشعار العرب ج١ ص١٥٠، العروض – تهذيبه وإعادة تدوينه – ص٣٦٣.

(٧)

وأبـدت نـازك رأيهـا فـي كتب إبراهيم التي أهداها إليها، قالت: "قرأت (الأساليب الشعرية) وقضيت في ذلك وقتاً ممتعاً أنست خلاله بدراسة أُسلوبك في نقـد هـذه الأسـاليب ومراجعتها، وأود لو وقفت طويلاً عند آرائك في المتنبي وشعر الحكمة عموماً وذلك لسببين: أولا اعتقادي بأنَّ شعر الحكمة لا يخرج عن كـونه شعراً له كل ما للشعر من مزايا، وخصائص. ثانياً وقد فهمت من سياق كلام الأخ أنه يفصل بين شيئين: حكمة وفن، وهما في نظري واحد"[٥١].

وإلـى هـنا انتهت الرسائل المتبادلة بين نازك الملائكة وإبراهيم العريض، ولهذه الرسائل أهمية نقدية لأنها احتوت على مسائل مهمة هي:

١- الاهتمام بالنقد الأدبي وضرورة إبداء الآراء بتجرد.
٢- مناقشة دعوة نازك إلى الشعر الحر.
٣- متابعة تأثر الشعراء العرب بالشعر الأجنبي وإبداء الرأي فيه.
٤- تحبيب البحر المديد الذي قلَّ استعماله قديماً وحديثاً، لما فيه من طاقات تعبيرية.
٥- الكشف عن تأثر نازك الملائكة بالشاعر إدغار آلن بو.

ومما يُحمد لهما أنَّ مساجلتهما كانت هادئة، إذْ سادها احترام الرأي الآخر، وعدم التعصب المقيت الذي كانت الساحة النقدية تشهده في الخمسينيات – وهي زمن كتابة الرسائل الخمس-. وكانت عبارات الود والتقدير بادية في الرسائل، وإنْ جاءت فيها بعض الوخزات المسربلة بالاحترام، ولكن ذلك لم يثرهما، وإنما سارا في جو هادئ، وكانت نازك تبدأ رسائلها إلى إبراهيم بقولها: "أخي الأُستاذ الـشاعر: أرق تحية وأجملها" وقولها: "أخي الشاعر الأُستاذ إبراهيم العريض:

(٥١) المراسلات ص٩١.

تحـــية رقـــيقة" وقـــولها: "أخي الأستاذ العريض: أرق تحية"، وتختمها بقولها: "المخلصة"، و "أُختك المخلصة" و "أُختك".

وكـــان إبراهيم قد بدأ رسالتيه بقوله: "أُختي الشاعرة نازك الملائكة: أجمل تحـــية وأزكاهـــا" وقوله: "أُختي الشاعرة: أعطر تحياتي" ويختمهما بقوله: "من أخيك".

وقد تُظهر الرسائل المتبادلة بين الأدباء والمفكرين والعلماء كثيراً من الآراء السديدة التي لم يسجلها مرسلوها في كتبهم أو بحوثهم أو مقالاتهم المنشورة، وقد تغيـــر تلـــك الآراء بعض ما تعارف عليه الناس وقالوه في العلن، لأَن الإنسان يـــنطلق حيـــنما يكتب رسالة، ويبدي فيها الآراء ظناً منه أَنها لن تنشر. ولولا الرسائل التي نشرت في الشرق والغرب في حياة مرسليها أو بعدها ما استطاع المؤلفـــون والباحثون أنْ يقدموا فكرة واضحة للعالم أو المؤلف أو الأديب، وأن يرسموا صورة للحياة العلمية أو الفكرية أو الأدبية في حقبة من الزمن.

المصادر

١- إدغار آلن بو – ديفيد سنكلر – ترجمة سلافة حجاوي – بغداد ١٩٨٢م.

٢- ثلاثة قرون من الأدب – إشراف جبرا إبراهيم جبرا – بيروت.

٣- ديوان نازك الملائكة – بيروت ١٩٧١م.

٤- العروض – تهذيبه وإعادة تدوينه – الشيخ جلال الحنفي – بغداد – الطبعة الثانية – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٥- فصول في الشعر – الدكتور أحمد مطلوب – بغداد ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٦- الفصول والغايات – أبو العلاء المعري – القاهرة ١٩٣٨م.

٧- في الشعر العربي الحديث – الدكتور أحمد مطلوب – بغداد ٢٠٠٢م.

٨- المؤثـرات الأجنبـية في شعر نازك الملائكة حتى عام ١٩٥٠ – الدكتور سـلمان داود الواسـطي – (نـشر في كتاب نازك الملائكة – إعداد علي الطائي – بغداد ١٩٩٥م.

٩- مراسـلات إبراهيم العريض الأدبية – ١٩٤٣-١٩٩٦م – نادي العروبة – البحرين ١٩٩٦م.

١٠-المرشـد إلـى فهـم أشـعار العرب وصناعتها – الدكتور عبدالله الطيب المجذوب – القاهرة – ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

١١-مـنهاج البلغاء وسراج الأُدباء – حازم القرطاجني – تحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة – تونس ١٩٦٦م.

١٢-موسيقى الشعر – الدكتور إبراهيم أنيس – الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٥٢م.

13- Edgar Allan Poe – Tales and Poems-, introduction by phily van Doren Stern, may 8, 1945.

الفتح والأرض في الأنـدلس

د. عبد العزيز الدوري

و

د.غيداء خزنة كاتبي

(أستاذ مشارك) بقسم التاريخ

الجامعة الأردنية

بسم الله الرحمن الرحيم

كان فتح الأندلس، وتنظيم أمورها في الأساس شأن ولاة إفريقية. وكان الفتح في العقد الأخير للقرن الأول الهجري(٩٢-٩٥هـ/٧١١-٧١٤م).

وقد وضعت التنظيمات التي تخص معاملة الأراضي المفتوحة وأهلها واستقرت في المشرق خلال القرن الأول الهجري، ويفترض أن تطبق على الأندلس، ولكن الكثير من الروايات تعطي صورة مخالفة.

ابتداءً نشير إلى الإجراءات التي اتخذت في فتح إفريقية والمغرب، لتكون مدخلاً إلى الحديث عن معاملة الأرض في الأندلس.

يبدو أنّ الغارات في إفريقية كان يرافقها كثرة الغنائم، والسبي خاصة، وإرسال الخمس إلى المركز[1].

وكان للسبي أهمية خاصة بالنسبة للخلفاء. يقول ابن عذاري: " وكان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون بها إلى عمّال إفريقية فيبعثون لهم البربريات"[2].

---

١. انظر ابن عذاري، البيان ١/١٢، وص١٦-١٧وص٤٠، وص٤٣، وص٥١، والمالكي، رياض النفوس ١/٥٧.

٢. ابن عذاري، البيان ١/٥٢.

وتــرد الإشــارة الأولــى إلــى تنظــيم الخراج زمن حسّان بن النعمان (٧٤-٨٥هــــ/ ٦٩٤-٧٠٤م)، فيذكــر ابــن عبد الحكم عن حسان أنه " دوّن الــدواوين ووضع الخراج على عجم إفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر، وعامتهم من البرانس(المستقرين) إلاّ قليلاً من البتر(البدو)" (١).

ويذكــر المالكي عن حسّان " فلمّا رأت الروم (شدته) وقهره (لهم وعلموا) أنهم لا قوام لهم به سألوه الصلح وأن يضع عليهم الخراج فأجابهم إلى ذلك"(٢).

ويتطــرق المالكــي إلــى سياسة حسّان بن النعمان مع البربر فيقول: إنّ "البربر استأمنوا إليه فلم يقبل أمانهم حتى أعطوه اثني عشر ألف فارس يكونون مــع العــرب مجاهــدين، فأجابــوه وأســلموا على يديه"، ولم يكتف بذلك، بل "وأخــرجهم مــع العــرب يفتحون إفريقية". ويضيف "فمن ذلك صارت الخطط للبربــر بإفــريقية، فكــان يقــسم الفيء بينهم والأرض.فدانت له إفريقية ودوّن الــدواوين"(٣). ويقــول ابن عذاري: إنّه في سنة ٨٢هــ/٧٠١م" استقامت بلاد إفريقية لحسّان بن النعمان فدوّن الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم إفــريقية ومــن أقام معهم على دين النصرانية (٤). أي أنّ الخراج فرض على الروم والنصارى الآخرين مع الأفارقة والبربر.

---

١. ابن عبد الحكم، فتوح مصر ص٢٠١. وانظر الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب ص٦٤الذي يضيف "الروم" إلى البربر.

٢ . المالكــي، رياض النفوس ١/٥٧. وانظر الطالبي، الدولة الأغلبية، ص٢٨-٢٩ Levi-Provencale,un Nouveau Recit De La conquete del وAfrique du Nord par Les Arabes, Arabica p:14et seq.

٣. المالكي، رياض النفوس١/٥٦-٥٧.

٤ . ابن عذاري، البيان ١/٣٨.

وقد جعل حسّان الدواوين، ومنها ديوان الخراج إلى جانب دار الإمارة[١].

هكذا يتبين أنّ الخراج فرض على الأرض، وأنّ البربر في إفريقية وبتأثير سياسة حسّان أسلموا، وشاركوا في الجهاد وبالتالي في الفيء، وهذا يعني ترك أراضيهم بأيديهم، ولن يكون لهم بعد ذلك من الأرض شيء إلاّ من الصوافي، فالمالكي نفسه يقول:" واستقامت إفريقية كلها، وآمن أهلها، وقطع الله عز وجل مدة أهل الكفر بها، وصارت دار إسلام إلى وقتنا هذا"[٢].

وأخضع موسى بن نصير المغرب، وانتشر الإسلام بين أهله[٣]. ومع ذلك يبدو أنّ الإسلام عمّ في المغرب في ولاية إسماعيل بن أبي المهاجر الذي ولاّه عمر بن عبد العزيز على إفريقية سنة ١٠٠هـ/٧١٨م الذي " كان حريصاً على دعاء البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقية البربر بإفريقية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز"[٤].

وينتظر أن لا يدفع الخراج من أسلم قبل أن يقدر عليه، بل يدفع العشر. ولا نسمع عن مشكلة كبرى مع البربر إلاّ أيام هشام بن عبد الملك في ثورة ميسرة(الحقير) المدغري سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م، وسببها المباشر تعسف أمير إفريقية عبيد الله بن الحبحاب (١١٦-١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤١م)، وظلم عامله على طنجة. يقول ابن عذاري: "فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب منّاهم (الأمويين) بالكثير وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة،

---

١. حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ٥١/١.

٢. المالكي، رياض النفوس ٥٧/١.

٣. ابن عذاري، البيان ٤٣/١.

٤. ن.م. ٨٨/١.

فحينـئذٍ عدت البرابر على عاملهم على طنجة فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الحـبحاب". ويضيف ابن عذاري:"ثم إنّ عمر بن عبدالله المرادي، عامل طنجة ومـا والاهـا، أساء السيرة وتعدّى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر وزعـم أنهـم فـيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب الإسلام، فكان فعله الذميم سبباً لنقض البلاد وخروج الفتن العظيمة"(١).

وواضـح أنّ إجـراءات عامل طنجة تخص المسلمين، وأن سبي البربر المسلمين مخالف للمفهوم الإسلامي، كما أنّ الزيادة في العشر على الأرض وفي الصدقات هو تجاوز وجور على المسلمين.

هكـذا يتبين أنّ أراضي إفريقية صارت خراجية، إلاّ تلك التي أسلم عليها أهلهـا، وصـارت إفريقية دار إسلام بدءاً بولاية حسان. ويلاحظ أنّ الأمويين حبذوا السبي من البربر غير المسلمين، الذي خمس، بينما ردّ عمر بن الخطاب السبي في السواد والأهواز مثلاً لأنه رأى أنّ إبقاء الفلاحين على الأرض أجدى.

وينتظـر أن يثيـر الفقهاء في إفريقية مسألة الصلح والعنوة، وهي مسألة ظهـرت زمن المروانيين من بني أمية بالنسبة لإمكان زيادة الضرائب(الجزية والخراج)، كما فعل عبد الملك في الجزيرة الفراتية والشام(٢)، ولمعاملة الأرض بعـد الفـتح بـين اعتـبارها غنـيمة أو فيـئاً للأمّـة. وقد تناولها الداودي (ت٤٠٢هـ/١٠١١م)، في روايته وهو يروي عن سحنون(ت٢٤٠هـ/٨٥٥م)، قال: " كشفت عن أرض إفريقية فلم أقف منها عن حقيقة هل هي عنوة أو صلح،

---

١. ن. م. ٥٢/١. وانظر الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص١٠٩.

٢. انظر: أبو يوسف، الخراج، ص٤١.

وســـألت عن ذلك علي بن زياد[1](ت١٨٣هـ/٧٩٩م) فقال لم يصح عندي فيها شيء". ثم يقول الداودي " إذا خفي خبر الأرض ولم يعلم هل هي صلح أو عنوة أو أســلم علــيها أربابها فهي لمن وجدت في يده، وإن كان لا يُدرى بأي وجه صـــارت إليه" [2]. ويضيف " وأمّا بلاد المصامدة وأرض مراكش، قال ابن عبد الحكم: اتفق أشياخنا من أهل العلم أنها أسلم عليها أربابها، وليس فيها صلح ولا عــنوة"[3]. ويورد الداودي رواية: " قيل: إنّ منها ما افتتح عنوة ومنها ما افتتح صــلحاً"[4]، وهــو قــول لا دلالـــة فيه. ويورد رواية أخرى:" إنّ إفريقية، من طرابلس إلى طنجة، تجري على ما تواطأت عليه القرون في أمرها، وتقر بأيدي مالكهـــا"[5]. وهـــذه الرواية تستثني ما اغتصب أو ما أخذ قسراً أو ما أجلي عنه أهلـــه " بالأخمـــاس"، وربط الجلاء بالأخماس يشير لأراضٍ سبي أهلها أو جلوا عنها وصارت في حكم الصوافي.

وتبقـــى إشـــارة سحنون، الفقيه الكبير، بأنّ الصلح أو العنوة ليست واردة، وأمـــا إشارة ابن عبد الحكم إلى الأراضي التي أسلم عليها أهلها، فتعني الإقرار بأنّ الأرض تركت بأيدي أصحابها.

---

١. وهـــو علي بن زياد العبسي التونسي (ت١٨٣هـ/٧٩٩م) كان ثقة بارعاً في الفقه، سمع مـــن مالـــك بـــن أنس وسفيان الثوري ومن الليث بن سعد، ودرس عليه سحنون وأسد بن الفـــرات. وهـــو أول مـــن أدخل المغرب جامع سفيان الثوري وموطأ مالك. أبو العرب، طبقات علماء إفريقية وتونس، ص٢٥١-٢٥٣، المالكي، رياض النفوس ١٥٨/١.

٢. كتاب تذكار ليفي بروفنسال ٤٠٨/٢.

٣. كتاب تذكار ليفي بروفنسال ٤١٠/٢.

٤. ن.م. ٤٠٨/٢.

٥. ن.م. ٤٠٩/٢.

- وحين ننظر للأندلس لا نجد ما يدعو لاتخاذ أسس في معاملة الأرض وفي الضرائب تختلف عمّا سار عليه الأمويون في المشرق، وفي إفريقية. وقد يكون للأوضاع المحلية في الأندلس بعض الأثر في التطبيق في إطار الأسس/المبادئ العامة.

يلاحظ هنا أنّ الأندلس اعتبرت ابتداءً "ثغراً" و"دار جهاد"[1] لأنّ البحر يفصلها عن البلاد الإسلامية، ولأنها أمام الأعداء في الشمال والغرب. وكانت إسبانيا تحت حكم القوط[2]، وهؤلاء -كفاتحين آنئذٍ- كانوا يأخذون الثلث من الأرض أو من ناتجها.

وكانت إسبانيا مقسمة إلى عدد من المقاطعات، يحكم كلا منها دوق، وتضم كل مقاطعة عدداً من الوحدات الإداريّة يحكم كلاً منها قومس(كونت). وتقوم الوحدة على المدينة/ القلعة وما يرجع إليها من قرى وضياع وأراضٍ زراعية[3]. وقد استمر هذا الوضع في الفترة الإسلامية، بمعدل سبع إلى عشر قرى لكل مدينة[4]، وصار يطلق على المدينة وتوابعها بعد الفتح اسم الكورة[5].

إنّ المصادر العربية عن فتح الأندلس جاءت متأخرة كما إنّ معلوماتها قليلة وذلك يكوّن مشكلة للباحث وليس له إلاّ أن يبحث عن أية إشارات مفيدة. وهنا

---

١ . مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ٢٣، وابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس٣٩.

٢ . عن القوط انظر حتاملة، إيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص٢٠٢وما بعدها.

٣ . حتاملة، إيبريا قبل مجيء العرب المسلمين ص٢٦٢وحسين مؤنس، فجر الأندلس ص٢٢ Collins-Early Medieval Spain.106.

٤ . Glick,From Muslim Fortress to Christian Castle p.17.

٥ . انظر ابن الأبار: الحلة السيراء، ١/٦١-٦٣، وحسين مؤنس: فجر الأندلس ص٥٩٦.

نـنوه بمـصدر إسـباني كـتب حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي (الثاني للهجـرة)، وتـناول الفتح والفترة الأولى بعده، وهو بحكم المعاصر للأحداث، ويشار إليه بـ "تاريخ ٧٥٤"[١].

يلاحـظ ابتداءً أنّ أولى معارك الفتح كانت في وادي لكّة إذ دخل لذريق ومعـه ملـوك/أمراء الأندلس الموالين له- معركة حاسمة مع المسلمين بقيادة طارق بن زياد وانتهت بتدمير الجيش القوطي(في٢٨رمضان ٩٢هـ/١٩تموز ٧١١م). وجمع طارق "الفيء" (الغنيمة) وقسمه [٢].

أمّـا المـواجهات التالـية فكانت بين الأمراء المحليين(أو الكونتات جمع كونت) والمسلمين. فمثلاً تقدم طارق إلى إستِجَّة حيث تجمّع فلال معركة وادي لكّة، وبعد قتال شديد صالحت إستِجَّة على الجزية [٣]. ويقول المقري" ولم يلق المسلمون فيما بعد ذلك حرباً مثلها"[٤].

وواجه تدمير (الأمير المحلي) المسلمين ومركزه أوريولة[٥]وبعد قتال شديد صالح على جزية محددة عن كل فرد [٦].

---

١ . انظر Roger Collins,The ArabConquest of Spain p710-797.

٢ . ابن عذاري، البيان ٢/٨، المقري، نفح١/٢٥٩.

٣. مؤلـف مجهـول، أخبار مجموعة ص٩، ابن عذاري، البيان ٢/٨، المقري، نفح١/٢٦٠ وحتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص٢٦٢ .

٤ . المقري، نفح، ١/٢٦٠.

٥ . عن أوريولة، انظر الحميري، الروض المعطار، ص٦٧.

٦. المقـري، نفـح ١/٢٦٤، مؤلـف مجهول، أخبار مجموعة ص١٣، حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص٧٦-٧٩.

ويذكـر الحميـري أنّ مدينة وَشْقَة[1] حوصرت حصاراً طويلاً حتى بنى المسلمون المساكن وغرسوا الغروس وحرثوا لمعايشهم واستمر الحصار سبعة أعـوام، ثـمّ " استأمنوا لأنفسهم وذراريهم، فمن دخل الإسلام ملك نفسه وماله وحرمته، ومن أقام على النصرانية أدى الجزية"[2] .

وهكـذا نجد الإشارات إلى فرض الجزية على من خضع بعد القتال وعلى من صالح. ولا ترد إشارة إلى معاملة الأرض، كما هو الحال في الفتوح عامة، لأنّ ذلك يأتي بعد الفتح واستقرار الأمور.

واسـتولى موسـى بن نصير على ماردة سنة ٩٤هـ/٧١٣م، بعد مقاومة شـديدة، "فـنالوا من المسلمين دفعات وآذوهم"، وصالح أهلها على أنّ " جميع أمـوال القتلـى يـوم الكمـين وأموال الهاربين إلى جليقية، للمسلمين، وأموال الكنائس وحليها لها"[3].

وهـنا اعتبـرت أموال القتلى في معركة يوم الكمين، وأموال الهاربين إلى جليقية وكذلك أموال الكنائس وحليها غنيمة. وبالتالي فالأراضي تكون صوافي، وهي - كما قرر عمر بن الخطاب - فيء (غنيمة) للمقاتلة. وسنتناول موضوع الصوافي لاحقاً.

---

١. عن وشقة: انظر الحميري، الروض المعطار، ص٦٧.

٢. بروفنصال، صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار للحميري ص٧٩٥.

٣. المقري، نفح١/٢٧٠ وانظر ابن عذاري، البيان٢/٨٥ وابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥. وانظـر حـسين مـؤنس- فجـر الأندلس، ص٤٤٢حيث يورد نص الصلح عن الرازي، مترجماً للإسبانية، وقد فقد الأصل العربي.

- ولا يهمنا الدخول في تفاصيل سير حركة الفتح على يد طارق بن زياد، ثم موسى بن نصير، بل نكتفي بالإشارات التي تتصل بموضوع البحث.

وهـــنا تواجهنا روايات، لا تخلو من تضارب وتباين، وبخاصة في كتاب رحلة الوزير (أو الرّسالة الشريفية) تنسب إلى موسى بن نصير اتخاذ إجراءات في الأراضي المفتوحة.

جـــاء فـــي رواية أنّ موسى بن نصير فتح البلاد من عمل إشبيلية " فبدأ بهـــا...ثـــمّ ســـار منها إلى لبلة ثمّ إلى باجة ثم إلى أكشبونة على سيف البحر، فافتـــتحها أجمـــع ســـلماً"[١]. وفـــي روايـــة لمحمـــد بـــن موســـى الرازي[٢] (ت٢٧٧هـــــ/٨٩٠م) إشارة إلى تحرك موسى بن نصير في الاتجاه نفسه من إشبيلة إلى أكشبونة، من دون وصف طبيعة الفتح[٣]. والقول إنّ الفتح كان سلماً يعني أداء المغلوبين الجزية للمسلمين مع بقائهم في أراضيهم.

ويـــورد الغساني رواية عن محمد بن مزين(ت٤٧١هـــ/١٠٧٨م) نقلاً عن محمد بن موسى الرازي (ت٢٧٧هـــ/٨٩٠م)، في سِفْره (الرايات)، أنه حين تمّ افتـــتاح الأنـــدلس " قسمها موسى بن نصير البكري التابعي بين الجيوش الذين دخلـــوها كمـــا قـــسّم بينهم سبيها ومتاعها وسائر مغانمها، وأخرج من أرضها ورباعهـــا الخمـــس، كمـــا أخرجه من سبيها ومتاعها. واختار من خيار السبي وصغاره مئة ألف وحملهم إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وترك سائر

---

١. الغساني، رحلة الوزير، ص١٣٦.

٢. انظـــر عـــن محمد بن موسى الرازي: ابن الأبار، التكملة، ٣٦٦/١، الزركلي، الأعلام، ١١٧/٧.

٣. الغساني، رحلة الوزير، ص١٣٩.

الخمـــس مـــن كبل وسبي ووخش الرقيق، في الخمس من الأرضين يعمرونها ليثلّث مال المسلمين، وهم أهل البسائط، وكانوا يعرفون الأخماس وأولادهم بنو الأخمـــس"، وأضـــاف " وأمّـــا سائر النصارى الذين كانوا في المعاقل المنيعة والجبال الشامخة، فأقرهم موسى بن نصير على أموالهم ودينهم بأداء الجزيةــ وهـــم الـــذين بقوا على ما حيز من أموالهم بأرض الشمال لأنهم صالحوا على جـــزء منها مع أداء الجزية في أرض الثمرة وأرض الزرع على ما فعله خير من اقتدي به صلى الله عليه وسلم بيهود خيبر في نخيلهم وأراضيهم". ثمّ قال:" "فلم يبق بالأندلس بلدة دخلها المسلمون بأسيافهم، وأصبحت ملكاً لهم، إلاّ وقسّم موســـى بـــن نـــصير بينهم أراضيها إلاّ ثلاثة بلاد، وهي شنترين وقلنبرية في الغـــرب وشيه في الشرق، وسائر البلاد خمست وقسمت...ثمّ توارث الأراضي الأبـــناء عـــن الآباء. والذي ذكره الناس والعلماء من أرض (الصلح) وأرض العنوة بالأندلس فإنما هو مال الخمس، هو أرض العنوة، وما صولحوا عليه فهو حال الشمل من أرض وشجر لا سائر أموال الناس"[1].

وهـــذه الـــرواية قلقـــة، فهي تبين أنّ أكثر الأراضي فتحت عنوة، مع أنّ المـــواجهة، بعد المعركة الحاسمة مع لذريق، كانت مع حكام المدن الذين كانوا يصالحون عن مدنهم عادة.

وأورد الغساني رواية أخرى تشعر بذلك، " وقال بعض علماء السلف بأمر الأندلس أنّ أكثرها إنما فتح صلحاً إلاّ الأقل من مواضع معروفة وأنه لما هزم لذريق لم يقف المسلمون بعد ذلك ببلد إلاّ أذعنوا إلى الصلح، ولذلك بقي الروم

١. الغساني، رحلة الوزير ص١٣٩-١٤٠.

فيها على أرضهم وأموالهم يبيعون ويباع منهم"[1]. وهي رواية واضحة الدلالة في أنّ الأرض بقيت لأهلها يتصرفون بها وأنها صارت خراجية [2].

كما أنّ رواية محمد بن مزين(عن محمد بن موسى الرازي)؛ التي تتحدث عـن أراضي العنوة التي يفترض أنها صارت غنيمة للمسلمين، تبين أنها تدفع الثلث لهم، وهو ما كان يدفع للقوط من قبل [3]، فهو بمثابة الخراج. وأمّا أرض الـصلح فقد قرنتها الرواية بإجراءات الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر، علمـاً بأنّ خيَبر اعتبرت غنيمة وخمست، وهذا عكس ما تدّعيه الرواية. وتبين الرواية أنّ أهل الصلح (في أرض الشمال)" صالحوا على جزء منها (الأرض) مـع أداء الجـزية"، وهـو مثل ما ذكر عن أرض العنوة، من دفع الثلث(من الأرض أو من حاصلها) في الخراج، إضافة إلى الجزية.

من كل ذلك يتبين أن الأرض في عامتها- سواء اعتبرت أرض صلح، أو أرض عنوة-صارت خراجيّة.

وبعـد هـذا يـورد الغساني رواية تفيد أنّ موسى بن نصير وجماعة من فاتحـي الأنـدلس وفدوا على الوليد" يستأذنونه في إخلائها والرحيل عنها إلى أوطانهم فقربهم وآنسهم وأقطعهم الإقطاعات فيها وأقرهم...ولم يجعل لهم سبيلاً إلـى الخـروج مـنها..." [4]، وهذه الرواية تثير التساؤل، فلماذا يقطعهم الوليد

---

١ .الغساني، رحلة الوزير، ص١٤٠.

٢ . ن. م. ص١٣٦عن خط فتوح موسى بن نصير.

٣ .انظر Collins,Early Medieval Spain p.٢٤ وحسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٩٧-٥٩٨وص٦٠٢.

٤. الغساني، رحلة الوزير، ص١٤٠.

إقطاعــات إذا كانــت الأراضـــي وزعت عليهم بعد التخميس؟ ولماذا يطلبون الـــرحيل عـــن البلاد بعد تملكهم الأراضي؟ أليس في هذا التباس مع ما حصل زمن عمر بن عبد العزيز(كما سنرى)؟.وجاء في رواية أخرى أنّ الوليد أقرهم (أي الفاتحـــين) على ما"قسم موسى بن نصير" بينهم وسجل لهم به، وأقطع من دخل الأندلس بعدهم من الخمس إقطاعات(1)، علماً بأنّ موسى بن نصير وصل إلى دمشق والوليد في مرضه الأخير، وكأن هذه الرواية تنسب للوليد ما قام به عمر بن عبد العزيز.

كما أن فترة ولاية موسى بن نصير كانت فترة قصيرة، حافلة بأعمال الفتح حتى آخر أيامه ولا تتسع لتنظيم الأرض والضرائب.

وبعد هذا، فإنّ عدد الفاتحين كان قليلاً، حوالي(٢٥,٠٠٠)، وكانت الحاجة ملحة إلى حاميات في المدن الرئيسة، ولا مجال لانتشارهم على الأرض.

وهنا نذكر أنّ التخميس في البلاد المفتوحة من أيام الراشدين لم يشمل إلاّ الصوافي، إذ إنّ عمر بن الخطاب قرر أنّ أرض الصوافي فيء (أي غنيمة) للمقاتلـــة، أربعة أخماسها لهم ولبيت المال خمسها. ثم ضمّت أرض الصوافي لبيت المال في أيام معاوية(2).

---

١. الغساني، رحلة الوزير، ص١٤١.

٢. انظر غيداء خزنة كاتبي، الخراج ص٢٩٧-٢٩٨و ص٣٠٧-٣٠٨.

والصوافي في الأساس أراضي الأسر الحاكمة السابقة وأراضي بعض النبلاء، ومن قتل أو جلا أثناء الحرب، وكل أرض من دون مالك بعد الفتح مباشرة [1].

ويبدو أنّ أرض الصوافي في الأندلس كانت واسعة، فضياع أولاد الملك غيطشة(Wittiza) مثلاً كانت ثلاثة آلاف ضيعة [2]. وللملك ضياعه العائلية إضافة إلى ضياع التاج، ولا بد من أنّ ضياع لذريق العائلية والملكية كانت كثيرة وبخاصة في منطقة قرطبة حتى أنهم سموا قرطبة بلاط لذريق، وقد اعتبرت هذه من الصوافي، وهذا يصدق على أرض من جلا أو قتل أثناء الحرب [3].

ولا يخفى أنّ أملاك النبلاء الذين قتلوا أو هربوا كانت واسعة. يذكر كتاب(التاريخ ٧٥٤) أنّ موسى بن نصير أعدم في طليطلة بعض النبلاء الذين كانت لهم صلة بهرب (أوبة) أخ الملك غيطشة [4].

ويشير كتاب (أخبار مجموعة) إلى أسر ملك قرطبة من مغيث مولى الوليد ويقول: " ولم يؤسر من ملوك الأندلس غيره، منهم من عقد على نفسه أماناً ومنهم من هرب إلى جليقية". فمن حصل على الأمان حفظ أرضه كما فعل صاحب تدمير، ومن هرب اعتبرت أراضيه صوافي. وفي أخبار مجموعة أنّ

---

١. أبو يوسف، الخراج، ص٥٧-٥٨. أبو عبيد، الأموال ص٢٦١، يحيى بن آدم، كتاب الخراج، ص٦٤.

٢ . المقري، نفح ١/ص٢٢٦-٢٢٧.

٣. انظر Collins- Early Medieval Spain P.١١٥،١٥٢، المقري، نفح ١/١٦٠، ٢/٢٣ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص٦٢٣.

٤ . Collins,Conquest P.٣٠،٤٧،٤٨.

تدميـــر عقـــد علـــى نفـــسه الـــصلح وعلـــى أهل بلده فصارت تدمير صلحاً كلهـــا...وعاملهم على ترك أمواله في يديه"[1]، وترد إشارات إلى هرب الكثير من السكان من وجه القوات الفاتحة، كما أنّ أعداد السبي تبدو كبيرة [2].

نـــشط عـــبد العزيـــز بـــن موســـى بن نصير في ولايته(صفر٩٥هـــ-رجـــب ٩٧هــــــ/نوفمبر٧١٣/مارس٧١٦) لفتح جنوب شرق الأندلس (مالقة، غرناطة، مرسية) ونقل مركز الحكم إلى إشبيلية [3].

ويفهم من (التاريخ ٧٥٤) أنّ فترة ولاية عبد العزيز-(ويجعلها ٧١٢-٧١٥م) أي(٩٤-٩٧هـــ)- كانت مهمة في أنها أسست حكم المسلمين في شبه الجزيرة، ويقـــول إنّ عبد العزيز كان" خلال ثلاث سنوات يخضع إسبانيا سلمياً إلى عبء الـــضرائب"[4]. وهـــذا يعني أنه بدأ بتنظيم الإدارة، بما في ذلك القيام بإحصاء السكان لفرض الجزية، والنظر في أمور الخراج وتهدئة البلاد [5].

---

١. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣. وانظر المقري، نفح ٢٦٧/١.

٢ . الغساني، رحلة الوزير ١٧٩، وانظر المقري، نفح ٢٥٩/١، ٢٣/٢.

٣ . المقري، نفح ١٧١/١، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص١٩. وانظر Collins-Early Medieval Spain P.153. يجعـــل كـــتاب (الـــتاريخ ٧٥٤) مجـــيء طـــارق سنة ٩٢هـــ/٧١١م ومجيء موسى بن نصير سنة ٩٢هـــ/٧١١م، وتركه الأندلس في أواخر ٧١٢/٩٣، بيـــنما تجعـــل الـــرواية العربية عودة موسى بن نصير سنة ٩٥هـــ/٧١٣م. Collins, Conquest p.39off.

٤ . Collins,Conquest P.٣٨.

٥. انظـــر شـــالميطا، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الجيوسي ١٠٤٤/٢.

ويهمنا هنا صلح عبد العزيز بن موسى بن نصير مع تدمير(Theodomir)، سيّد سبع مدن وما يتبعها من أراضي جنوب شرق الأندلس، وجاء فيه " أنه (أي تدمير) نزل على الصلح، وأن له عهد الله وذمته، أن لا ينزع عنه ملكه (١)، ولا أحداً من النصارى عن أملاكه، وأنهم لا يُقتلون ولا يسبون، أولادهم ولا نساؤهم، ولا يُكرهون على دينهم ولا تحرق كنائسهم ما تعبد، وما نصح، وأنّ الذي اشترط عليه أنه صالح على سبع مدائن، أوريولة وبلنتلة ولَقَنْت ومولة وبَقْرة وأنّة ولورقة. وأنه لا يأوي لنا عدواً، ولا يخيف لنا آمناً، ولا يكتم خبراً علمه، وأنّ عليه وعلى أصحابه ديناراً كل سنة وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد شعير وأربعة أقساط طلا وأربعة أقساط خل وقسطي عسل وقسطي زيت، وعلى العبد نصف ذلك، كتب في رجب ٩٤هـ" أي نيسان ٧١٣م (٢).

هذا الصلح ترك الإدارة المحلية بيد تدمير، وحفظ له أمواله، وأمن رعيته على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وكنائسهم، على دفع جزية سنوية، عن كل فرد، ديناراً ومواد طعام عينية، كما ذكر. وهو صلح يشبه في الأساس عهود الصلح الإسلامية في المشرق. ولا ينتظر أن يكون هذا هو الصلح الوحيد، والأرجح أنّ سلسلة عهود مماثلة عقدت مع عدد من المدن من خلال الكونتات أو مجالس

---

١. يرد في كتاب أخبار مجموعة" وسيحافظون(الأهالي) على رؤسائهم " بدل" لا ينزع عنه ملكه"، ولا ذكر فيه لـ" ولا أحداً من النّصارى عن أملاكه" مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص١٣.

٢. انظر العذري، نصوص عن الأندلس ص٤،٥؛ الضبي، بغية الملتمس ص٢٥٩، لافي بروفنصال، صفة جزيرة العرب من كتاب الروض المعطار للحميري ص٦٩. وانظر.ص٦٩, Collins,Conquest PP.٣٩-٤٠.

المدن حسب الأوضاع. وهناك ما يدعو للاعتقاد بأنّ صلحاً مماثلاً عقد مع أهالي بنبلونة [١].

ومثل هذا الصلح يدل على أنّ ملكية الأرض لم تتأثر بأحداث الفتح، فقد كان القوط يفرضون الثلث على الأرض، فاستمر هذا أو ما يقرب منه بعد الفتح [٢].

أمّا مقادير الجزية فلا تتطابق مع ما فرض في بعض جهات المشرق(ربما باستثناء النقد). ولعلها أقرب إلى الأعراف القوطية، ويمكن الافتراض أنّ مقادير الجزية تختلف من موقع لآخر في المواد العينية [٣]. ومثل هذه الترتيبات مناسبة للفاتحين في البداية لأنّها تجعل المقاتلة أكثر حريّة في متابعة الفتح من دون الحاجة إلى ترك حاميات في المدن كافة ، خاصة وأنّ قوّات الفاتحين كانت متواضعة.

يتبين إذن أنّ شبه الجزيرة العربية شهدت ابتداءً أنموذجين للإدارة: الأول جهات بقي لها أمراء محليون، مثل تدمير، والثاني جهات تدار مباشرة من العرب، ووضعت حاميات في مدنها الرئيسة.

وترد إشارات يفهم منها أنّ بعض المقاتلة استولوا على أراضٍ في فترة الفتوح، ويرجح أنها كانت- على الأغلب- من الأراضي الخالية، نتيجة مقتل أصحابها أو جلائهم، وهذه من الصوافي، فملكوها وبقوا عليها [٤]. ويشير

---

١. انظر Collins,Conquest P.40 .وانظر عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار، ص١٨١،ص٢١٢.

٢ . انظر الغساني، رحلة الوزير ص١٤٠.

٣ . انظر Collins,Conquest P.41.

٤ . انظر لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة ١٠٩/١.

المقــري إلى الوضع بوضوح إذ يقول: " وكانت العرب والبربر، كلما مرّ قوم مــنهم بموضع استحسنوه حطوا به ونزلوه قاطنين فاتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس"[١].

وقــدم الحــرّ والياً على الأندلس ومعه٤٠٠من الوجوه من إفريقية، في ذي الحجــة ٩٧هـــ/آب٧١٦م وبقي إلى رمضان١٠٠هــ/نيسان ٧١٩م فكان والياً ثلاث سنين [٢]. ولا يرد في المصادر العربية شيء عن إدارته إلاّ أنه نقل مقر الإمارة من إشبيلية إلى قرطبة. ولكن يفهم من (التاريخ ٧٥٤) أنه حقق شيئاً من الــنظام الإداري بإرســال الموظفين الإداريين الرئيسين للمدن (ولاة). كما اهتم بمعاقبة البربر الذين أخفوا بعض الغنائم. وأمّا بالنسبة للمسيحيين فيبدو أنّ الحرّ أتم ما بدأه عبد العزيز من فرض الخراج على إسبانيا الخارجية (الشماليّة) . كما أنــه أعــاد بعــض الضياع التي استولى عليها العرب إلى أصحابها السابقين، ويــرجح أنها أراضي نبلاء وملاكين هربوا وعادوا إلى أراضيهم بعد استقرار الوضــع مقابــل دفع الخراج [٣]. وبإيجاز فإنه نظّم الضرائب على أهل البلاد، وثــبت نظام الأراضي السائد قبل الفتح. وأبقى للفاتحين الأراضي التي صارت لهم.

---

١ . المقري، نفح٢٧٦/١، وانظر حسين مؤنس، فجر الأندلس ص٦٢٨.وانظر الإشارات إلى عرب جليقية وعرب استرقة والمدائن التي خلف الدروب وإلى عرب سرقسطة، في مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ٣٨.

٢. ابــن عــذاري، البــيان٢٥/٢. ويجعــل(الــتاريخ ٧٥٤) فتــرة الحــر٧١٥-٧١٨م أي Collins,Conquest P. 96-99

٣. Collins,Conquest P.46.

وشـــهدت هـــذه الفتـــرة إدخال نقود عربية جديدة، "دنانير" على غرار نقد المملكـــة القوطـــية، ولكن باللغتين العربية واللاتينية. ولعل هذا يشعر باستقرار الإدارة.

- وتضطرب الروايات مرة أخرى في إشاراتها إلى الإجراءات في فترة عمر ابـــن عـــبد العزيز. ولّى عمر السمح بن مالك الخولاني على الأندلس في (رمضان١٠٠-ذي الحجة ١٠٢هـ/نيسان٧١٩-حزيران ٧٢١م)، ويروى أن الخليفة فكّر بسحب المقاتلة من الأندلس " إذ خشي تغلب العدو عليهم"[١] لكـــن السمح طمأنه على استقرار أمور المسلمين فيها. ثم إنّ الخليفة أولى الأنـــدلس عـــناية خاصّـــة فأفردها عن ولاية إفريقية وجعلها ولاية بذاتها واعتبرها ثغراً وراعى ذلك في التعامل مع الأرض[٢].

وتتجه الروايات إلى أنّ الخليفة أمر السمح بتخميس الأرض، لكنها تتباين فـــي ذلك، هل هي أراضي الأندلس عامّة أو بعضها.ففي رواية "أن ابن نصير قـــسّم وخمّـــس بعض البلاد، وأعجلته حركته منها...فلمّا ولاّها...عمر بن عبد العزيـــز الـــسمح بن مالك الخولاني أمره أن يخمّس ما بقي منها"[٣]. وقد سبق وأوضـــحت أنّ تنظـــيم التعامل مع الأرض بدأ زمن عبد العزيز بن موسى بن نصير.

---

١. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٩، وهذا جانب من سياسة عمر بن عبد العزيز العامـــة، إذ سبق له أن سحب جيش مسلمة بن عبد الملك من أمام القسطنطينية لأسباب أمنية واستراتيجية، انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٥٣/٦.

٢. انظر ابن القوطية ص٣٩، وابن عذاري، البيان٢٦/٢، ومؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص٢٣.

٣. الغساني، رحلة الوزير، ص١٤١.

وفي رواية للرازي عن عبد الملك بن حبيب(ت٢٣٨هـ/٨٥٢م) أنّ الخليفة أمـر الـسمح" أن يخمّـس ما بقي من أرضها وعقارها- من دون إشارة إلى الـبدايات- ويخـرج منها خمس الله تعالى، ويقر القرى بأيدي أربابها(١). وفي "أخبار مجموعة" رواية تفيد أنّ الخليفة أمر السمح " أن يخمّس أرضها ويخرج مما (الأصل ما) كان عنوة خمساً لله، من أرضها وعقارها، ويقر القرى بأيدي غنّامها بعد أن يأخذ الخمس"(٢).

وهـي روايـة في اتجاه رواية ابن حبيب نفسه إلا أنها تتحدث عن أرض الصلح وأرض العنوة، وهو حديث فقهي لم يكن له دور في الواقع.

وهكذا يتبين أنّ القرى عامّة بقيت بأيدي أهلها، أي جُعلت أرضاً خراجيّة، وأنّ التخمـيس بدأ من قبل، وأنه شمل الآن ما بقي من الأرض والعقار. وهكذا يتبين أنّ القرى عامّة بقيت بأيدي أهلها، باستثناء أرض الصوافي.

تتجه الروايات إلى أنّ الأرض التي خمّست هي أرض العنوة(٣). ويلاحظ أنّ الحديث عن أرض العنوة وأرض الصلح هو حديث فقهي ظهر في المشرق فـي أواسـط الفتـرة الأمـوية، في حين أنّ عامّة الأرض في البلاد المفتوحة اعتبرت خراجيّة.

وفي رواية للرازي عن عبد الملك بن حبيب، أنّ السمح" ميّز أرض العنوة مـن أرض الـصلح ليصح الخمس" وتضيف أنه" لما أتم عمله خيّر الخليفة بما

---

١. ن. م. ص١٤٣.

٢. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص٢٣. ولعلّ كلمة "غنامها" تحريف لـ"تُنائها" أي أهلها.

٣. انظر المقري، عن ابن حيان(ت٤٦٩هـ/١٠٧٦)١/١٤-١٥، الغساني، رحلة الوزير، ص ١٤٣، وابن عذاري، البيان ٢/٢٦.

عمله في أرض العنوة وأرض الشمل، وهي التي فتحت صلحاً". ثمّ تجعل الرواية معاملة هذه الأرض وأرض العنوة معاملة واحدة، إذ تقول عن أرض الشمل: "فإنّ أهلها صولحوا على الجزية مع أجزاء من الأرض منها مثالثة ومرابعة، كيف ما كان طيب الأرض وغلتها" ويضيف "حسبما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر"[1]. فالرواية تجعل معاملة أرض الصلح وأرض العنوة واحدة مع أنها تبين أنّ أرض الشمل صولح أهلها على الجزية وعلى الثلث والربع من الأرض أو من واردها، أي فرض الخراج على الأرض.

أمّا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بخيبر فإنه اعتبرها غنيمة للمقاتلة ولم يتبع مثل هذا الإجراء في أي بلد آخر في العصر الراشدي أو الأموي. إنّ الأرض التي اعتبرت غنيمة للمقاتلة زمن الراشدين هي أرض الصوافي وحدها. واعتبار الأندلس ثغراً أفضى إلى إقطاع المقاتلة منها بعد إخراج الخمس.

ويبين عبد الملك بن حبيب أنّ السمح" ميّز أرض العنوة ليصح الخمس فينزل القسم بتخميس قرطبة...وأخرجت البطحاء المعروفة بمصلى بقبلي قرطبة في الخمس" فأمر الخليفة بجعل البطحاء مقبرة للمسلمين[2]. وفي رواية أخرى أنّ البطحاء خرجت في خمس قرطبة بقبليها[3].

---

١. الغساني، رحلة الوزير، ص١٤٣.

٢. الغساني، رحلة الوزير، ص١٤٣.

٣. ن. م. ص١٤٢.

وينفـــرد ابن القوطية بالقول إنّ الخليفة وجه جابراً مولاه ليخمس الأندلس، فنزل قرطبة، ثم أتته وفاة عمر فرفع يده عن التخميس[١]. وهذه الرّوايات تشعر بأنّ التخميس المهم حصل في منطقة قرطبة التي تتميز بسعة صوافيها.

بعد هذا يلاحظ أنّ عمر بن عبد العزيز أوصى السمح بن مالك أن" يحمل الـــناس على طريق الحق، ولا يعدل عن منهج الرّفق"[٢]، وهذا يشعر بحصول تعـــديات أو تجاوز على أرض الخراج، وربما على الصوافي، كما حصل في المـــشرق، وحـــرص الخلـــيفة على العدل. وهذا يعني أن يطبق السمح سياسة الخليفة بالنسبة للأرض الخراجية وأرض الصوافي.

ولعـــل الروايات التالية تدعم ما ذكر. ترد رواية عن عبدالملك بن حبيب، وأخـــرى دون إسناد، تفيدان: أنّ السمح دخل الأندلس ومعه "جيش من العرب"، وأراد النزول مع جندها الأول في أموالهم(أراضيهم)، ولكن هؤلاء لم يقبلوا بأية مـــشاركة، وذهـــب وفـــد منهم إلى الخليفة وشكوا إليه ذلك، وأبدوا استعدادهم للانـــسحاب والـــرجوع إلـــى بلادهم، فمنعهم من ذلك وعقد لهم بإقرارهم على أمـــوالهم علـــى أساس أنّ الأندلس ثغر، وذلك يوجب إقطاعهم الأراضي ليستقروا علـــيها كما فعل عمر بن الخطاب في الثغور في المشرق، " وكتب إلى السمح أن يقطع الجند الذين دخلوا معه من الأخماس"، أي إقطاعات جديدة في الصوافي[٣].

---

١. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥.

٢.ابن عذاري، البيان٢/٢٦.

٣. الغساني، رحلة الوزير، ص١٤٠، وعن الخلط بين الوليد وعمر بن عبد العزيز انظر ص ١٤٠-١٤١.

ويرجح أنّ أراضي خراجيّة تحوّلت إلى عشرية نتيجة تجاوز العرب عليها أو شــرائهم لهــا، إضافة إلى التجاوز على أراضي الصوافي، كما حصل في المشرق.

وقــد قــرّر عمر بن عبد العزيز أنّ أرض الخراج هي فيء للأمّة، وأنها يجــب أن تبقى خراجيّة بدءاً من سنة ١٠٠هـــ/ ٧١٨م(المدة)، لا يجوز بيعها مــنعاً لــتحويلها إلى عشريّة، كما قرر تمييز أرض الصوافي الباقية. التي هي غنــيمة للمقاتلة، ولكنها صارت- منذ أيام معاوية- تابعة للدولة تقطع منها أو تستغلها حسب المصلحة(١).

وهكــذا يتبين أنّ السمح بن مالك جاء لتطبيق سياسة عمر بن عبد العزيز فــي الأنــدلس، في تمييز أرض الخراج للحفاظ عليها فيئاً للأمّة، وإقرار أهل القــرى عامّــة علــى أراضيهم على الخراج (إضافة للجزية)، وتحديد أرض الــصوافي والإفــادة مــنها بما يناسب الأندلس ثغراً. يعني هذا أنّ أي تخميس للأراضــي إنما كان لأرض الصوافي ومنها كانت إقطاعات المقاتلة. وقبل هذا يبدو أنّ الأراضي التي أسلم عليها أهلها قبل إجرائه المسح اعتبرت عشرية(٢).

إنّ بــدايات تنظــيم الضرائب والتعامل مع الأرض في الأندلس كانت-في الواقع- زمن عبد العزيز بن موسى بن نصير، واستمرت زمن الحر، وشملت

---

١. ابــن عــبد الحكــم- سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٩٤/٩٩؛عبد العزيز الدوري، نظام الــضرائب في صدر الإسلام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٢م٤٩ دمشق١٩٧٤؛ غيداء خزنة كاتبي، الخراج ص١٣٣وما بعدها.

٢. انظر شالميطا، في: الحضارة العربية في الأندلس، ج٢، ص١٠٤٨-١٠٤٩.

إعادة أراضٍ لأصحابها الإسبان، بعد أن استولى عليها بعض المقاتلة، مع بقاء وضع الصوافي غير محدّد أو مستقر.

ولــذا ينتظر أن يطبّق عمر بن عبد العزيز إصلاحاته في الأندلس بالنسبة لأرض الخراج وللصوافي.

وينــسب (الــتاريخ ٧٥٤) إلى السمح بن مالك الخولاني(٧١٨-٧٢١م) [١] خطوتــين مهمتــين، الأولــى: أنــه اتخذ تقديراً للضريبة لكل إسبانيا (الداخلة والخارجــة، أو الجنوبــية والشمالية) وهذا يعني الاتجاه لتنظيم الخراج وتمييز الأرض الخراجية في الأندلس عامّة.

والثانــية: أنــه أجرى تقسيماً للغنائم(الأموال غير المنقولة) التي تركت من دون قــسمة فــي إســبانيا، وخصص نسبة من تلك الأموال(أو الأراضي) لبيت المــال. وهكــذا اتخذت خطوات جديدة لإقامة إدارة على أسس منظمة، وتثبيت تقديــرات الخــراج، وتثبــيت الفتح بتنظيم وضع الأراضي الخراجية وأراضي المقاتلة الأول والقادمين الآن.

ومن هنا تتضح إشارة ابن عذاري إلى أنّ الخليفة أوصى السمح بأن" يحمل الناس على طريق الحق ويعدل بهم عن نهج الرفق"[٢].

وقد يكون في إجراءات الوالي أبي الخطار(١٢٦هـ/٧٤٤م) إثر الفتنة بين البلديــين(الداخلين زمن موسى بن نصير) والشاميين (الداخلين مع بلج بن بشر سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م) ما يدل بوضوح على أنّ عامّة الأرض اعتبرت خراجيّة.

---

١. هذه فترة ولاية السمح حسب التاريخ٧٥٤.

٢. ابن عذاري، البيان ٢/٢٢٦ .

ويقـــول ابن القوطية:" ونظر أبو الخطار في إنزال الشاميين في كور الأندلس، وتفريقهم عن قرطبة، إذ كانت لا تحملهم،...وكان إنزالهم على أموال أهل الذمة مـــن العجـــم، وبقـــي البلديون على غنائمهم لم ينقصهم شيء"(١). فهو يبين أنّ أراضـــي البلديـــين غنائم لهم، أي ملكهم، وأنّ الشاميين أنزلوا على أموال أهل الذمّة.

ويوضـــح ابـــن الأبار(ت٥٩٥-٦٥٨هـ/١١٩٩-١٢٦٠م) الوضع الجديد بقـــوله عـــن أبي الخطار:" ولم يقدّم في ولايته الأندلس شيئاً على تفريق جمع العـــرب الـــشاميين، الغالبـــين على البلد، عن دار الإمارة، قرطبة؛ إذ كانت لا تحملهـــم، وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كور شامهم، وتوسع لهـــم في البلاد، فأنزل في كورتي لشبونة وباجة جند مصر مع البلديين الأول، وأنـــزل باقيهم في كورة تدمير، وأنزل في كورتي لبلة وإشبيلية جند حمص(مع البلديين) الأول أيضاً، وأنزل في كورة شذونة والجزيرة جند فلسطين، وأنزل في كـــورة ريّـــة جند الأردن، وأنزل في كورة البيرة جند دمشق، وأنزل في كورة جَـــيّان جـــند قنسرين. وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة. وبقي الـــبلديون مـــن الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعرض لهم في شيء مـــنها، فلما رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسعة سكنوا واغتبطوا وتمولوا(٢). يتبـــيَّن من هذا النص أنّ الشاميين(أو جلهم) أنزلوا في كور محددة مع البلديين، وأنّ أراضـــي تلـــك الكور(ومن بينها تدمير) خراجيّة، وأنهم أعطوا "ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة".

---

١. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٣-٨٤ .

٢. ابن الأبار ، الحلّة السيراء١/٦١-٦٣.

ويوضح لسان الدين بن الخطيب طريقة التعامل مع الثلث في حديثه عن منطقة غرناطة (البيرة) بقوله" ولما استقر بهذه الكورة الكريمة أهل الإسلام، وأنزل الأمير أبو الخطار قبائل العرب الشاميين الكورة وأقطعهم ثلث أموال المعاهدين، استمر ساكنهم في غمار من الروم، يعالجون فلاحة الأرض وعمران القرى، يرأسهم أشياخ من أهل دينهم، أولو حنكة ودهاء ومداراة ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم"(١). أي أنّ الفلاحين والزراع الأصليين استمروا على فلاحة الأرض ودفع ثلث الحاصل، وهو الخراج عليهم، وليس في هذا تغيير عمّا كان عليه الوضع مع القوط، كما يتضح أنّ هذه الكور كانت أرضها خراجية شأن تدمير ولا شأن لها بأرض البلديين.

ممّا مرّ يتبين أنّ الفاتحين استولوا على أراضٍ أعجبتهم خلال الفتح واستقروا عليها، ولعل أكثرها من الأراضي الخالية (وتدخلُ في الصوافي)، وأنّ بداية الإجراءات في معاملة الأراضي وتنظيم الضرائب كانت أيام عبد العزيز ابن موسى بن نصير، وأنها تمت على خطوات عبر حوالي عشر سنوات، وأنّ الأرض عامة صارت أرض خراج. وأن أراضي الصوافي كانت واسعة، وهذه هي التي خمست، وتمّ ذلك في ولاية السمح بن مالك في خلافة عمر بن عبد العزيز. كما أنّ أملاك الفاتحين أقرت وسجلت في زمنه. ثم إنّ الشاميين أنزلوا من الوالي أبي الخطار في كور أراضيها خراجية، وأعطوا الثلث من واردها وهو خراجها.

هذا هو الواقع التاريخي للتطورات الحاصلة في التعامل مع الأراضي في الأندلس، ومن شأن الفقهاء أن ينظروا إلى الممارسات في سبيل بلورة المفاهيم الفقهية، فيقبلون بعضها أو يعيدون النظر في البعض الآخر، رفضاً أوتعديلاً. يقول الداودي:" وأمّا أرض الأندلس فقد طعن فيها بعض الناس وزعم أنها،

---

١. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ١٠٦-١٠٧.

أو أكثرها، فتحت عنوة، وأنها لم تخمس ولم تقسم، غير أنّ كلّ قوم وثبوا على طائفـــة منها بغير إقطاع من الإمام ولم تترك لمن يأتي من المسلمين"[١]. وهذا يذكــر بما فعله بعض المقاتلة في السواد والأهواز زمن عمر بن الخطاب من الاستيلاء على أراضٍ خالية(أو صوافٍ)، ولكن الخليفة أوقف ذلك آنئذ.

وأورد الــداودي رأيـــاً آخر لا يشير إلى صلح أو عنوة إذ يقول: " أدركنا أهــل الفقــه والــورع في بلاد الأندلس يشترون الأرض فيها ويبيعون، ونحن متــبعون لهم"[٢]. وهذا يعني أنّ الأرض تركت بأيدي أهلها على الخراج، وأنّ المسلمين يستطيعون شراء الأرض كما حصل في المشرق.

وهذا يذكّر برواية تفيد " أنه لما هزم لذريق لم يقف المسلمون بعد ذلك ببلد إلاّ أذعنوا إلى الصلح، ولذلك بقي الروم على أرضهم وأموالهم، يبيعون ويباع منهم"[٣]، وبذلك تكون الأرض عامة خراجية.

ولعــل ابــن حــزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م) كان أكثر وضوحاً ودلالة حين يقــول:" هــذا ما لم نزل نسمعه سماع استفاضة، توجب العلم الضروري، إنّ الأنــدلس لــم تخمّــس وتقــسم كما فعل رسول الله عليه السلام فيما فتح، ولا استطيبت أنفس المستفتحين وأقرت لجميع المسلمين كما فعل عمر رضي الله عنه فــيما فتح، لكن نفذ الحكم فيها "لكل يد ما أخذت"، ووقعت غلبة بعد غلبة، ثمّ دخل البربر (و) الأفارقة فغلبوا على كثير من القرى من دون قسمة. ثم دخل الشاميون فــي طالعــة بلــج بن بشر بن غياض فأخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلديين عمّا كان بأيديهم، كما ترون الآن من فعل البربر ولا فرق"[٤].

لقد دقّق ابن حزم فيما قال، فأوضح أنّه سمع"سماع استفاضة توجب العلم"، ليبيــين أنــه لــم تتبع في الأندلس إجراءات الرسول صلى الله عليه وسلم في

---

١. كتاب تذكار بروفنسال٢/٤٠٩.

٢. ن. م. ٢/٤١٠.

٣. الغساني، رحلة الوزير ص١١٣.

٤. ابن حزم، الرد على ابن النغريلة، ص ١٧٦.

أراضـــي خيبر حين اعتبرها غنيمة وخمسها، ولم يتبع ما فعله عمر في اعتبار الأرض فيــئاً للمــسلمين، بل تركت الأرض من دون قرار عام بشأنها، فغلب المقاتلـــة على الأراضي وتملكوها وفق مفهوم" لكل يد ما أخذت"، وتكرر ذلك بعدئذ. ويفهم من ذلك أنّ عامة الأراضي تركت لأصحابها على الخراج. وجاء التنظيم النهائي للأرض والخراج زمن عمر بن عبد العزيز.

ويلاحـــظ أيــضاً أنّ البلديين كانوا يدفعون العشر على أراضيهم، أي أنها كانــت ملكاً لهم، أمّا الشاميون فلم يكونوا يدفعون شيئاً لأنهم يأخذون أعطياتهم وأرزاقهم كمقاتلة من ثلث الحاصل وهو الخراج[١].

١. انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٣-٨٤، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة ١/١٠٦-١٠٧.

المصادر والمراجع

- **ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي** (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م).

- التكملة لكتاب الصلة، جزءان، نشر عزت العطار، القاهرة،١٩٩٥-١٩٥٦م.

- كتاب الحلة السيراء، جزءان، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

- **حتاملة، محمد عبده**- إيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **ابن حزم الأندلسي** (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)- الردّ على ابن النغريلة اليهودي، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

- **حسن حسني عبد الوهاب**- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج١،مكتبة المنار، تونس، ١٩٧٢م.

- **حسين مؤنس**- فجر الأندلس، ط٢، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم** (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م).

- الـــروض المعطـــار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

- صـــفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشرة ليفي بروفنسال، القاهرة–ليدن،١٩٣٨م.

- **الـــدوري، عـــبد العزيز**– نظام الضرائب في صدر الإسلام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج٢م٤٩، دمشق ١٩٧٤م.

- **الرقيق القيرواني**– تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، ١٩٦٨م.

- **الزركلي، خير الدين**– الأعلام،(٨) أجزاء، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٠م.

- **شـــالميطا،بدرو**– صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي في الحضارة العـــربية الإســـلامية في الأندلس، ج٢ص١٠٤١وما بعدها، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٨م.

- **الـــضبي، أحمـــد بن يحيى بن أحمد**– (ت٥٩٩هـــ١٢٠٢)– بغية الملـــتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق كوديرا، مجريط، ١٨٨٤م.

- **الطالبي، محمد**– الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي، نقلة إلى العربية المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٥م.

- **الطبري، محمد بن جرير**(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)-تاريخ الرسل والملوك،(١٠) أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
- **ابن عبد الحكم، أبو محمد عبدالله**(ت٢١٤هـ/٨٢٩م)-سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق أحمد عبيد، دار العلم للملايين، بيروت،١٣٨٧هـ/١٩٦٥م.
- **ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبدالله**(ت٢٥٧هـ/٨٧١م)-فتوح مصر وأخبارها، بريل-ليدن،١٩٢٠م، أوفست مكتبة المثنى، بغداد.
- **عبد الواحد ذنون طه**- الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقية والأندلس، بغداد، ١٩٨٢م.
- **أبو عبيد، القاسم بن سلام** (ت٢٢٤هـ/٨٣٩م)- الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،١٩٨١م.
- **ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد**(ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م)- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج٢، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، ط٢، ج١ط٣، دار الثقافة، بيروت،١٩٨٣م.
- **العذري- أحمد بن عمر**(ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)- نصوص من الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، ١٩٦٥م.

- **أبــو العرب، محمد بن أحمد بن تميم القيرواني(ت٣٣٣هــ/٩٤٤م)**- طــبقات علمــاء إفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليانعي، تونس، ١٩٦٨م.
- **الغساني، محمد بن عبد الوهاب**- رحلة الوزير في افتكاك الأسير (١٦٩٠-١٦٩١)، تحرير نوري الجراح، بيروت، ٢٠٠٢م.
- **غيداء خزنة كاتبي**، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الــثالث الهجــري، (الممارســات والنظرية) ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١م.
- **ابــن القوطية القرطبي، أبو بكر محمد بن عمر(ت٣٦٧هــ/٩٧٧م)**- تــاريخ افتــتاح الأنــدلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧م، مراجعة عمر فاروق الطباع، بيروت ١٤١٥هــ/١٩٩٤م.
- **ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك(ت بعد ٥٧٣هــ/١١٧٧م)**- تــاريخ الأنــدلس، تحقــيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،١٩٧٢م.
- **لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد(ت٧٧٦هــ/١٣٧٤م)**- الإحاطــة بأخــبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، ج١ط٢، القاهرة،١٩٧٣م.
- **المالكــي، أبــو بكر عبدالله بن محمد(ت بعد٤٥٣هــ/١٠٦١م)**- ريــاض النفوس،(٣)أجزاء، تحقيق بشير البكّوش ومحمد العروسي المطــوي، دار الغــرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ط٢، ١٩٩٤م.

- **المقـــري، أحمـــد بن محمد التلمساني**(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)-نفح الطـــيب، ٨ج، تحقـــيق إحـــسان عـــباس، دار صـــادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- **مؤلـــف مجهـــول**- أخـــبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهـــم الله والحروب الواقعة بينهم، محمد أسامة الكرم، دار أسامة الكرم، دار أسامة، دمشق(د.ت)، صورة عن طبعة مجريط ١٨٦٧م.
- **يحيى بن آدم، أبو زكريا يحيى بن سليمان**(٢٠٣هـ/٨١٨م)-كتاب الخـــراج صححه وشرطه أحمد محمد شاكر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م.
- **أبـــو يوســـف، يعقـــوب بـــن إبراهيم**(ت١٨٢هـ/٧٩٨م)- كتاب الخـــراج، تحقـــيق إحـــسان عباس، دار الشروق بيروت/القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

*Collins Roger, the Arab conquest of Spain, 710 -797, Blackwell,Oxford 1989.

*Collins, Early Medieval Spain, Unity in Diversity 400-1000, New York 1985,.

* Etudes dOrientalisme, dediee a la Memoire de Levi-provencale II Paris 1962.

*Glick, Thomas F .From Muslim Fortress to Christian Castle, Manchester university press,Manchester 1995.

* Levi- provencal,e., un Nouveau recit de la Conquetede nord par les Arabes,Arabica i 1945, p.14 et seq.

* Etudes dOrientalisme, dediee a la Memoire de Levi-provencale II Paris 1962.

*Glick, Thomas F .From Muslim Fortress to Christian Castle, Manchester university press,Manchester 1995.

* Levi- provencal,e., un Nouveau recit de la Conquetede nord par les Arabes,Arabica i 1945, p.14 et seq.

التتابعات الصوتية الهابطة وسلوكها في أبنية العربية

دراسة نطقية فيزيائية

د. ابتسام جميل

جامعة الإسراء

تعالج هذه الدراسة موضوع التتابعات الصوتية الهابطة في أبنية العربية من جانبيها النطقي والفيزيائي. وجاءت في مبحثين تناول **أولهما** مفهوم التتابع الصوتي الهابط الذي يقابل عند بعض الدارسين مفهوم الحركة المزدوجة وابتعدت الدراسة عن هذا المصطلح الأخير لتنأى بالعربية عن إمكانية وجود هذا النوع من الحركات في أبنيتها . وتوقف **ثانيهما** عند التحليل النطقي والفيزيائي لهذه التتابعات وهي في العربية aw و ay و iw و iy و uw و uy . وقد اعتمدت الدراسة لتحليل الخصائص الفيزيائية لهذه التتابعات على برنامج Praat (١) للتحليل الطيفي ، وتضمنت عينة الدراسة خمس فتيات نطقت كل منهنّ التتابعات المدروسة مستقلة عن السياقات الصوتية ثلاث مرات ، ثم أخذ معدل القياسات الرقمية الناتجة ليعتمد في عملية التحليل .

المبحث الأول:

أ- مفهوم التتابعات الصوتية الهابطة:

يقصد بالتتابعات الصوتية في هذه الدراسة كل تتابع لحركة وشبه حركة في أبنية الكلمات. وهي إمّا صاعدة من نحو [ya] في يسألُ " yas?alu " و[wa] في وجدَ "wajada" و [yu] في يُؤمنُ " yu?minu " حيث تقع الحركة

بعد شبه الحركة . وإما هابطة من نحو [ay] في شيءٌ "šay?un"، و [aw] في قَومٌ "qawmun"، و [uw] في لُوِّن "Luwwina" وغيرها من التتابعات التي تأتي شبه الحركة فيها متبوعة بحركة ، وعلى هذه الأخيرة تقوم الدراسة.

إن ما أسميه التتابعات الصوتية الهابطة هو نفسه الذي أطلق عليه الدارسون اسم الحركة المركبة أو الحركة المزدوجة (diphthong) ؛ ولكنني اخترت تسمية التتابعات الصوتية الهابطة؛ لأنأى بالعربية عن احتمالية وجود هذا النوع من الحركات في نسيج أبنيتها من جانب، ولاختلاف الدارسين في تحديد مفهوم هذا المصطلح الحركي وبيان طبيعته الصوتية من جانب آخر.

فالدارسون يتفقون على أن إنتاج الحركة المزدوجة يقتضي انتقال اللسان في أثناء نطقها من موضع حركة إلى موضع حركة أخرى ؛ ولكنهم يختلفون – كما يذكر أحمد مختار عمر(٢) – في تحليلها :

(أ) فمنهم من اعتبرها علة واحدة تقوم بوظيفة فونيم واحد.

(ب) ومنهم من اعتبرها تتابعا من العلل المنفصلة.

(ج) ومنهم من اعتبرها علة + نصف علة ، يقوم نصف العلة فيها بوظيفة الصوت الساكن.

ونجد تفصيلا للمفهوم الأول عند (Catford) إذ يقول : " تعرف الحركة المزدوجة أنها **تتابع لحركتين** في مقطع واحد من نحو تتابع (a) و (i) في نطق كلمة (high) ، إذ لا يتم استيعابها على أنها **حركتان منفصلتان** ؛ لكنها تفهم على أنها صوت **انتقالي انزلاقي** يبدأ من العنصر الأول ثم ينزلق باتجاه العنصر الثاني ، ويتم نطقها **بدفقة نبرية واحدة** ، تبدأ بقوة ثم تخبو بالتدريج ،

وهذا النوع من الحركات المزدوجة الذي يبدأ بقوة ثم يضعف في نهايته يطلق عليه مصطلح الحركة المزدوجة الهابطة "Decrescendo diphthong" [٣]

ويضيف (Ball) : إن هذا النوع من الحركات لا يعتبر تتابعا لحركتين ضمن مقطع واحد وحسب ، ولكن ينظر إليه على أنه **مدى صوتي متكامل** ينتج بحركة لسانية انزلاقية تبدأ في موضع وتنتهي في موضع آخر[٤] . ويقول د. سمير استيتية : "الحركة المركبة المزدوجة هي **وحدة صائتية واحدة** مركبة من حركتين متتابعتين في مقطع واحد، لتؤديا **وظيفة فونولوجية واحدة**. ويتم إنتاج الحركة المركبة هذه، بأن يبدأ اللسان بنطق حركة مفردة ، ثم ينزلق إلى حركة أخرى، فيشم بذلك حركة بحركة، أو يدمج حركتين، لتكونا وحدة واحدة مركبة".[٥] وهذه الحركة – كما يذكر ماريو باي – تنطق في فترة زمنية لا تكفي إلا لنطق صوت واحد [٦] فهي تشبه الحركات الطويلة المفردة من حيث الزمن النطقي المستغرق في إنتاجها [٧] .

ويوضح فندرس الصفة الصوتية لعنصري هذه الحركة بقوله: إنّ "هاتين الحركتين لا تستويان قيمة في هذا المركب، إذ يحتوي حرف اللين هذا على عنصر قوي وعنصر ضعيف هو الثاني عادة. وهكذا فإن ما يلي الحركة في "iy" و "ay" و "aw" ليس من الحركات ولا من السواكن بمعنى الكلمة؛ بل عنصر من المركب" [٨].

وعليه، فإن شبه الحركتين (الواو والياء) لهما وجود خاص في الحركة المزدوجة، إذ يعتبران امتداداً لحركة تتغير نوعيتها في أثناء نطقها ويتشكلان نتيجة الانتقال المباشر بين عنصري الحركة المزدوجة. إذ إن هذا الانتقال – كما يذكر غالب المطلبي – "يمثل حالة صعبة بالنسبة للمتكلم لأنه يتطلب منه أن يغير وضع جهاز النطق من موضع إلى آخر. وهذا يعني أن على أعضاء

النطق أن تتوقف زمناً لينطق كل من صوتي المد على حدة، يكون على المتكلم في أثناء ذلك أن يقطع مجرى نفسه ثم يستأنفه مرة أخرى، وهو أمر لا يمكن تصوره قطعاً، فكان على جهاز النطق أن يتحيل على ذلك بأن يفصل بين الصوتين باحتكاك بسيط يكون بمثابة فاصل يستريح فيه اللسان برهة لكي يستطيع اتخاذ الوضع الآخر، ومن أجل ذلك يتحول أحد صوتي المد- يكون الثاني في الغالب – إلى نصف مد مما يسهّل اجتماعهما"(٩).

فالحركة المزدوجة إذن ، هي نتاج هذا التتابع الحركي المباشر لصائتين متباينين، يحدث أثناء الانتقال بينهما انزلاق يولّد شبه الحركة ، وعليه فشبه الحركة هنا جزء من حركة سابقة أو لاحقة ؛ ولهذا يعتبر هذا التتابع **مزجاً حركيّاً موحّداً** لا ينتج أحد شقيه وهو شبه الحركة إلاّ بوجود الآخر.

فالتتابع "ay" يكتب "ai" والتتابع "aw" يكتب "au". ويتكلم د. سعد مصلوح في هذه المسألة فيقول – في معرض تمييزه بين مصطلحي الصائت المزدوج والحركة المزدوجة-: إنّ "المصطلح الأول يصف المنطوق طبقاً لخصائصه الفيزيقية والنطقية من دون اعتبار للوظيفة، على حين ينصرف الثاني إلى وصفه وظيفياً في إطار لغة بعينها (وهي اللغة العربية). وعليه فإن الكلمة [نَوْم] ينبغي أن تكتَب صوتياً [naum] وكذلك الكلمة العربية [بَيْت bait]. أمّا صَرْفياً فنحن نكتبها [nawm] و [bayt]، وبهذا فإن التتابع يعد صائتاً مزدوجاً ولكنه ليس بحركة مزدوجة".(١٠)

ويترتّب على ما ذكره القول بأن شبه الحركتين [الواو والياء] لا وجود لهما إلاّ في سياق الانزلاقات الحركية المتباينة، وهذا ما نجده عند كثير من الدارسين الذين يعدون هذين الصوتين **غير مستقلين**، يقول د. إبراهيم أنيس:

"والحقيقة إن الياء صوت انتقالي، أي إنها تتكوّن من موضع صوت اللـــين [i] ثم تنتقل بسرعة إلى موضع آخر من **أصوات اللين**، وكذلك الواو يبدأ تكونهـــا من موضع صوت اللين [u] ثم ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع لين آخر"[١١] وإلى هذا الكلام يذهب كل من عبد الصبور شـــاهين[١٢]، وكمـــال بشـــر[١٣]، وفوزي الشايب [١٤]، فكلهم يرون أن التشكّل النطقي للواو شبه الحركة يبدأ من الموضع النطقي الخاص بنطق الضمة [u] ثم ينتقل في حركة انزلاقيـــة إلـــى موضع نطق حركة أخرى . وكذلك الأمر مع الياء شبه الحركة ، فعند تشـــكله يستقر اللسان في الموضع النطقي الخاص بالكسرة [i]، ثم ينتقل فـــي حركـــة انزلاقية إلى موضع نطق صائت مغاير.

وهذا الوصف النطقي لإنتاج كل من الواو والياء شبهي الحركتين يقضي بلزام وجود شبه الحركة في سياق الحركات لكي تتشكل الأولى على المســـتوى النطقي ، ولا أدري– حقيقةً– مدى قوة القول بذلك ، فعند د. عبد الصبور شاهين أن الانزلاق بـــين حركتين مختلفتين هو في الحقيقـــة مـــا يســـمى باليـــاء أو الواو[١٥]وهذه الخاصية الانزلاقية – والكلام لا يزال للـــدكتور عبـــد الصـــبور شاهين – هي التي تبرز وجود الواو والياء، فإذا لـــم يكـــن الانـــزلاق وجـــب اعتبارهما غير موجودتين في نسيج الكلمة [١٦]، ويضيف قائلاً: "ولكـــي تتأكـــد للدارس هذه الحقيقة عن الواو والياء، وأن طبيعتهما انتقالية محضة، يمكنـــه أن يحاول نطق واو بلا حركة قبلها، أو بعدها، ولن يتسنى له ذلك ؛ لأن الحركـــة جزؤها، أو شطرها، ولا وجود لشيء ضاع شطره الأساسي" [١٧].

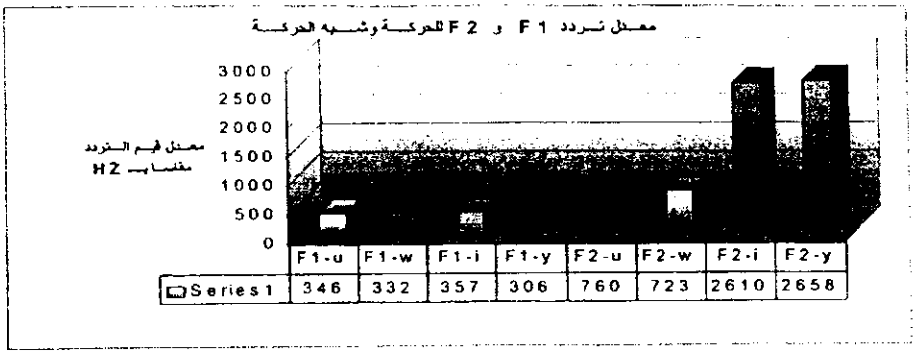
هنا أقول : إذا كانت المخالفة الحركية شرطا لانزلاق شبه الحركة ، فمن أين لشبه الحركة أن تنزلق في التتابعات الصوتية المتماثلة، من نحو [wu] في وُجِدَ [wujida] ، و [uw] في قُوَّةُ [quwwatu]، و [yi] في لـيِّن [layyin] ، و [iy] في سِيّان [siyyaan]. فنحن إذا أعدنا الواو والياء إلى أصلهما قبل الانزلاق يتحوّل التتابعان الأولان إلى ضمة طويلة [uu] ويتحول الآخران إلى كسرة طويلة [ii] . هذا من جانب ، أما من الجانب الآخر، فإنه يمكننا أن ننتج هذين الصوتين مستقلين عن أي سياق حركي ، وذلك نحو نطقنا لهما في كلمات نحو: دَلْوْ [dalw]. و عَفْوْ [afw] و رَمْيْ [ramy] و سَعْيْ [say] في حالة الوقف عليها. وكذلك في لهجتنا العامية فنحن نقول: وْلاد [wLa:d] و وْراق [wr:q] بادئين من نحو هذه الكلمات بالواو الساكنة متبوعة بصامت ، ومغيبين في أدائنا نطق حركة سابقة أو لاحقة ؛ فمن أين لشبه الحركتين أن تنزلقا نطقيا وهما ليسا في سياق حركة، وكيف تم إنتاجهما من دون شطرهما الأساسي ؟ ! .

فشبه الحركة قد تنزلق في أبنية العربية في أثناء التحولات الداخلية للبنى العميقة أثناء رحلتها إلى البنى السطحية التي يتشكل معها نتيجة عمليات الإعلال والإبدال التي تطرأ على البنى العميقة تتابع حركي يتم التخلص منه بانزلاق شبه الحركة ، أما أن نقول إن شبه الحركة لا يمكن أن تتشكل نطقيا إلا في سياق حركتين متباينتين يتم الانزلاق بينهما ، فهذا مما يضعفه الواقع الصوتي الذي يتبدى فيه كل من الواو والياء شبه الحركتين كل مع حركة من جنسه أو في سياق تغيب فيه الحركة .

فالناطق يستطيع بشيء من التضييق الموضعي لموضع نطق كل من الضمة والكسرة، أن ينتج شبه الحركتين [الواو والياء] منعزلين عن السياق الحركي ؛ لأنه مع التضييق يزيد توتّر عمود الهواء المار في منطقة النطق ، ولكي نستدل على الفارق الدقيق في الموضع النطقي الخاص بالحركة وشبه الحركة ، فقد أخذنا معدل تردد المكوِّنين الصوتيين [Formant] لكل من الضمة والواو شبه الحركة من جانب، والكسرة والياء شبه الحركة من جانب آخر، في الأبنية التقابلية المسجلة في الجدول الآتي :

	شبه الحركة	الحركة
الضمة	dalw دَلْوْ	dalu دَلو
الكسرة	ramy رَمْيْ	rami رمي

ومعدّل القياسات الرقمية لكل من هذين الترددين سجلا اعتماداً على خمس مشاركات، نطقت كل منهنّ الكلمات السابقة ثلاث مرات ، فكانت حصيلة المحاولات النطقية المسجلة خمس عشرة محاولة. وقد ظهرت النتائج كما هي مثبتة في الشكلين (١-١) و (١-٢) حيث يعرض الشكل الأول رسماً بيانياً لمعدّل النتائج الرقمية لكل من F1 و F2 للحركة وشبه الحركة في الكلمات المدروسة ، في حين يعرض الشكل الثاني الرسم الطيفي spectrograph لكلٍّ من هذه الكلمات .

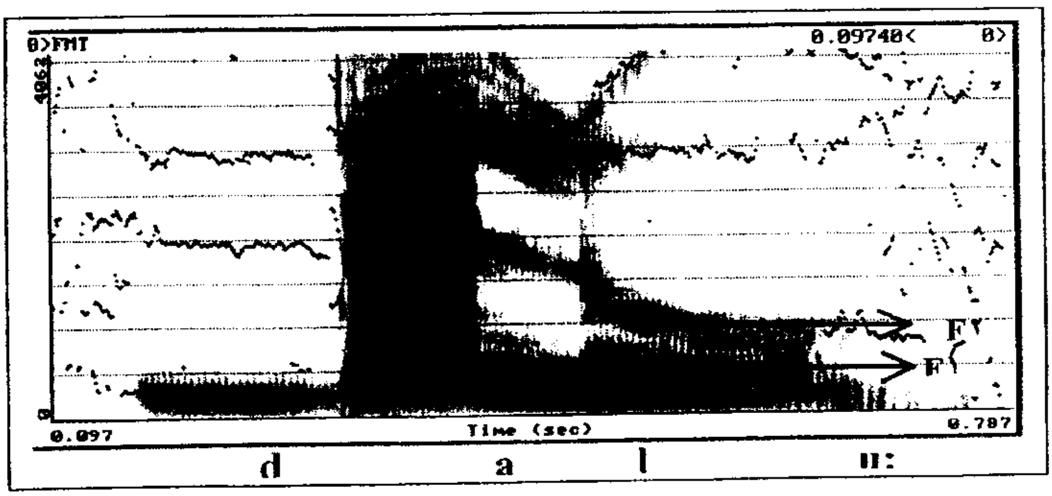


	F1-u	F1-w	F1-i	F1-y	F2-u	F2-w	F2-i	F2-y
Series1	346	332	357	306	760	723	2610	2658

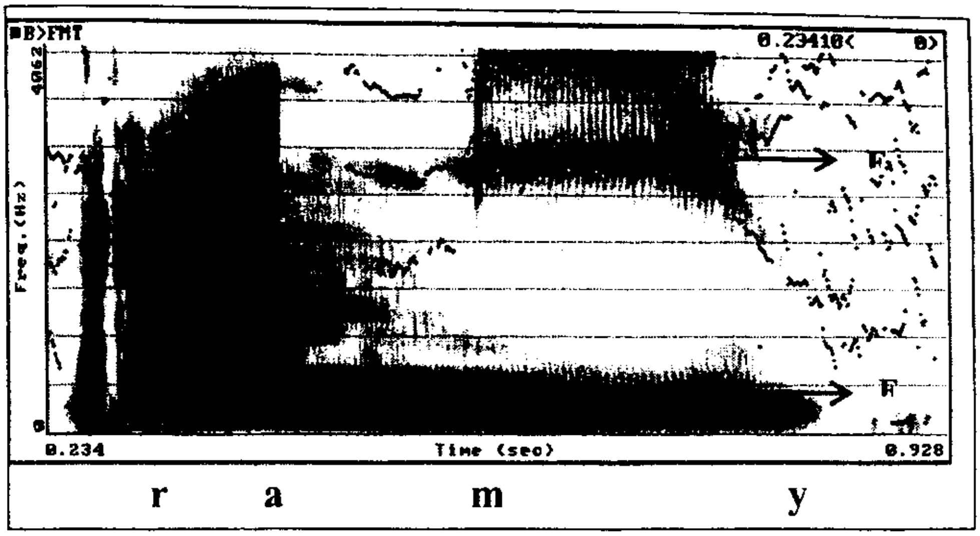
(١-١)



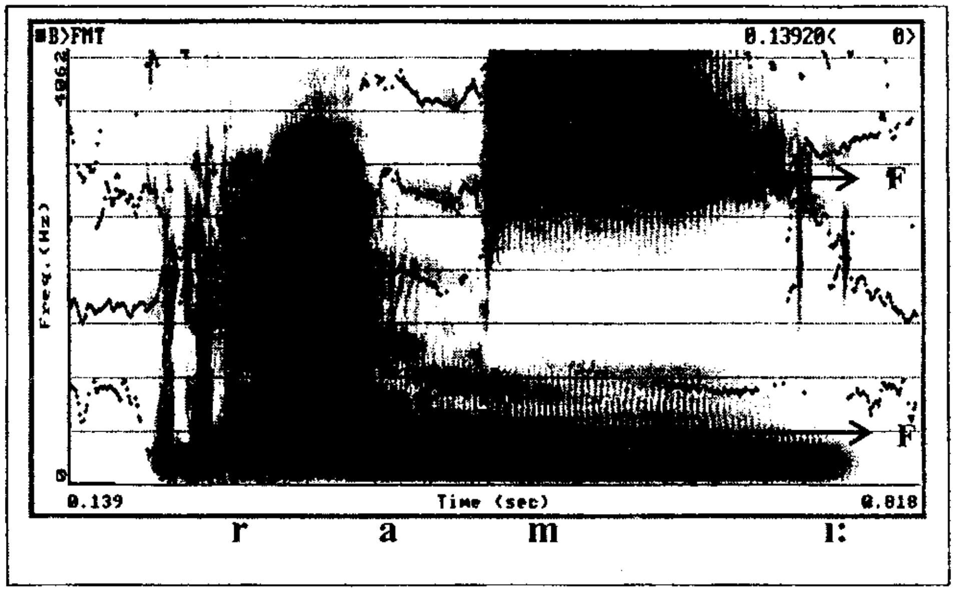
[أ]



[ب]



[ج]



[د]

(الشكل ١-٢)

الصور الطيفية للكلمات : دلوْ dalw و دلو:dalu و رميْ ramy و رمي:rami على التوالي.

وبالنظر إلى الشكلين السابقين نلحظ اختلافاً في قيم المكونين الصوتيين F1 و F2 ، فالمكون الأول [F1] يرتبط بحركة اللسان العمودية[١٨]، إذ كلما ارتفع اللسان إلى أعلى قل تردد هذا المكوّن، والعكس صحيح. فمع كل من الضمة والواو بلـغ

معدل تردد هذا المكوّن ٣٤٦Hz مع الضمة، في حين هبط مع الواو إلى ٣٣٢Hz. أمّا مع الكسرة والياء، فقد بلغ معدّل التردد للمكون نفسه ٣٥٧Hz مع الكسرة، في حين هبط إلىHz ٣٠٦ مع الياء. ويُفسِّر هذا ارتفاع اللسان مع شبه الصائت أكثر من ارتفاعه مع الصائت.

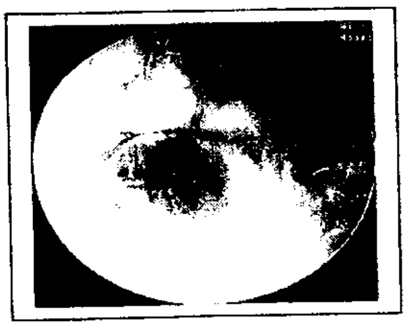
أمّــا تردد المكون الثاني [F٢] فيرتبط بحركة اللسان الأفقية في التجويف الفمــوي [١٩]، إذ كلمــا تقــدم اللسان إلى الأمام ازداد تردد هذا المكوّن، والعكس صحيح. فمع الضمة بلغ معدل التردد ٧٦٠Hz، وهبط مع الواو إلى ٧٢٣Hz، في حين بلغ ٢٦١٠Hz مع الكسرة، وارتفع إلى ٢٦٥٨Hz مع الياء. وفارق التردد هذا بين كل متجانسين يدل على أن موضع إنتاج الواو يتأخر عن موضع إنتاج الضمة، فــي حــين يتقدّم موضع إنتاج الياء على موضع إنتاج الكسرة، وتبين صور أشعة إكس [٢٠] الموضحة في الشكل (١-٣) وضع اللسان في ارتفاعه وتراجعه مع الواو والضمة ، وفي ارتفاعه وتقدمه مع الياء والكسرة .



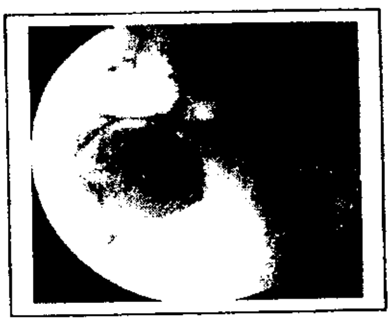
أ - الواو



ب - الضمة



ج - الياء



د - الكسرة

الشكل (١-٣)

ويبين شكل اللسان عند نطق كل من الحركة وشبه الحركة معتمدا في ذلك صورة أشعة إكس

وبهذه التباينات الموضعية في إنتاج الحركة وشبه الحركة يتبين عدم قوة الرأي القائل بلزام تتابع حركتين متباينتين من أجل تحقق نطق شبه الحركة ؛ أما وجود شبه الحركة في أبنية العربية في سياق الحركات ؛ فلأنها تعد من الجانب الوظيفي من الأصوات الصامتة التي تستند في وجودها البنائي علـــى حركـــة ، وليس لأنها لا يمكن أن تنتج نطقياً إلاّ بوجود حركة سابقة أو لاحقة .

هذا في ما يتعلق بالرأي الأول الذي قدمه أحمد مختار عمر في آراء الدارسين في تحليل الحركة المزدوجة [٢١] حيث اعتبرها هؤلاء وحـــدة واحـــدة تقوم بوظيفة فونيم واحد . أما ما يتعلق بالتحليل الثاني الـــذي اعتبـــر الحركـــة المزدوجة تتابعا من العلل المنفصلة ، فأرى أنه لا توافق بين تسمية المصـــطلح وتحليله ، فعندما نقول إن هذا النوع من الحركات يسمى حركة مزدوجة فالناتج الصوتي هو حركة واحدة تتميز بالازدواج بين حركتين ، وعندما تحلل على أنها تتابع لحركتين **منفصلتين** فقد خرجت من كونها حركة مزدوجة ودخلـــت فـــي اصطلاح حركتين منفصلتين ، وما هكذا طبيعة الحركة المزدوجة ، فكيـــف إذن تسمى حركة باستخدام المفرد وتعرف بأنها حركتان منفصلتان ، هذا من جانب، أما من الجانب الآخر فإن الأخذ بهذا التحليل ينفي تماما احتمالية وجـــود هـــذا النوع من التتابع الحركي في أبنية اللغة العربية ، فهي تتشكل عرضا في تحولات البنية التحتية وينتهي وجودها تماما مع اكتمال رحلة التطور إلى البنية السطحية ، ولا أجد حقيقة مبررا لقول أحمد مختار عمر إننا إذا فسرنا الحركة المزدوجة بهذا التحليل فإن " هذا النوع موجود ولا شك – على حد قوله – فاللغة العربية تحـــوي التتابع ay و aw " [٢٢] ، فهذا ليس تتابعا حركيا أو علليا ولكنه تتابع لحركة وشبه

حركة ، والفرق بين التتابعين كبير ، خاصة في نظام العربية الذي يصنف شبه الحركة وظيفيا في حقل الصوامت، وحتى على المستوى الصوتي فلو كانت شبه الحركة تصنف نطقيا على أنها حركة لما كان من داع لفصلها عن الحركات وإعطائها استقلالية اصطلاحية ، فعلى الرغم من وجود التشابه في عدد من خواص الحركة وشبه الحركة ، إلا أن هذا لا يعطينا مبررا لتسمية الثاني حركة ووصف التتابع على أنه تتابع من العلل المنفصلة ، فهذا النوع ولا شك موجود في أبنية لغات أخرى كالإنجليزية مثلا التي يقضي نظامها بإمكانية تتابع حركتين على مستوى البنية السطحية، أما في العربية فلا .

نتوقف أخيرا عند التحليل الثالث الذي اعتبر الحركة المزدوجة علة + شبه علة ، يقوم نصف العلة فيها **بوظيفة الصوت الساكن**[٢٣] . وهو تحليل – في ما أحسب– بعيد عن المنطقية في التحليل الصوتي ؛ لأننا عندما نقول إن الحركة المزدوجة عبارة عن حركة انزلاقية تبدأ في موضع وتنتهي في موضع آخر ، فهي إذن في التصنيف الصوتي الفونولوجي حركة vowel ؛ ولكن لها طبيعة نطقية مختلفة ، وهي عندما تدرس في اللغات الأخرى تصنف في حقل الحركات فهناك الحركات المفردة (monophthongs) و الحركات المزدوجة (diphthongs) والحركات الثلاثية التتابع (triphthongs) ، ونحن عندما نحلل هذا النوع من الحركات بقولنا إنها تتابع لعلة وشبه علة تقوم الأخيرة بوظيفة الصوت الصامت ، فقد خرج التتابع من دائرة الحركات ، إذ كيف تكون هذه حركة ونصفها الآخر صامت أو يقوم بوظيفة الصامت! وعندما عرف Catford الحركة المزدوجة قال في نهاية تعريفه : إنه من المعتاد أن يوصف هذا النوع من الحركات على أنه تتابع لحركة + شبه حركة[٢٤] ولم يتبع ذلك

بقــول أن تقوم شبه الحركة بوظيفة الصوت الصامت ، ذلك لأنه في حال قامت هــذه بوظــيفة الصوت الصامت انتفى وصف هذا التتابع **بالحركة** المزدوجة ، فلــيس كــل تــتابع لحركة وشبه حركة في أبنية اللغة الإنجليزية يعد من قبيل الحركات المزدوجة ، فالتتابع ye في كلمة yet ، مثلا ، لا يعد حركة مزدوجة ؛ بــل تتابع لشبه حركة تقوم بوظيفة الصامت وحركة ، في حين يعد التتابع ay فــي كلمة day من قبيل الحركة المزدوجة لأنه ينظر إلى التتابع جميعه وكأنه حــركة واحــدة طــويلة ذات تنوع داخلي ، ولا يمكن أن ينظر بهذه الصورة التحليلية نفسها إلى التتابعات الهابطة في أبنية العربية من نحو[بيت] و[قوم] وغيرها من التتابعات الهابطة . وعليه ، فقد ضعف وجود الحركة المزدوجة في أبنية العربية اعتمادا على التحليلين الثاني والثالث ، فماذا عن احتمالية وجودها فــي هــذه الأبنية اعتمادا على التحليل الأول الذي يرى أنها حركة واحدة تقوم بوظيفة فونيم واحد ؟.

ب: هــل الحــركة المــزدوجة القائمة بوظيفة فونيم واحد موجودة في أبنية العربية؟

يكــاد الدارســون يــتفقون على أن هذه الحركة غير موجودة في أبنية العــربية. فهذا فيرجسون يذهب إلى أن هذا التتابع (الفتحة ونصف المد الساكن) قــد يحمــل شــيئاً من صفات صوت المد المزدوج، إلاّ أن سلوكه الوظيفي في العربية لا يشير إلى كونه يمثل وحدة صوتية واحدة[٢٥].

وكــذلك يــرى جان كانتينو ، فعنده أن الحركات المزدوجة ليس لها أي وجــود خاص من الناحية الوظيفية فهي تحلل على أنها حركة + نصف حركة تقوم مقام حرف.[٢٦]

ويقول د. شاهين إن الصائت المزدوج وإن كان قوي الوجـود إذا مـا نظرنا إليه نظرة تحليلية صوتية، إلا أنه ضعيف الوجود إذا ما روعي المستوى اللغوي.(٢٧)

ويرى د. عبد الرحمن أيوب ما يراه غيره من أنه يوجد في العربيـة كلمات فيها حركات مزدوجة، ولكن من الأوفق عند الدراسة التنظيمية اعتبـار كل منها صوتين منفصلين(٢٨).

ويُخلي د. عبد الفتاح إبراهيم العربية من وجود مثل هذه المزدوجـات فيها قائلاً: "وتخلو اللغة العربية من الحركات المركبة . . . وقد لا يصح اعتبار الرأي القائل بأن الحركة العربية إذا جاورت صوت لين كما في [بَيْتْ و نَـوْم] كوّنت معه حركة مزدوجة؛ لأنّ هذه الوحدة الصوتية تظـل فـي الاعتبـارات الصوتية والصوتيمية صوتين مختلفين هما حركة وحرف"(٢٩).

ونجد أن الآراء السابقة تنظر إلى وجود الحركة المزدوجة فـي أبنيـة العربية من الجانبين الصوتي والوظيفي. فهي موجودة على المستوى الصوتي؛ ولكنها ليست كذلك على المستوى الوظيفي، يقول د. كمال بشر: "وقد وهم بعض الدارسين فظَنّ أن الواو والياء في حَوْض وبَيْت جزءٌ من حركة مركبة، وهـو وهم خاطئ؛ ولا شك، إذ إن الحركة المركبة وحدة واحدة، والموجود في حوض وبيت ليس وحدة واحدة، وإنما هناك وحدتان مستقلتان هما الفتحة + الواو فـي حوض، والفتحة + الياء في بيت"(٣٠). فهذه التتابعات الصوتية "لا تنطبق عليهـا الصفات النطقية للحركات المركبة التي تتمثل أساساً في أن أعضاء النطق تبـدأ في منطقة حركة من الحركات وتسير مباشرة في اتجاه حركة أخـرى، مكونـة

حركة واحدة ذات خاصة انزلاقية، وهذه الصفة الانزلاقية مفقــودة فــي نطــق الفتحة العربية متلوة بواو أو ياء ساكنة، إذ يحدث في نطقها أن تنتقل أعضـــاء النطق من منطقة إلى أخرى محدثة نوعاً من الانفصال في تحركها، فهمـــا إذن صوتان مستقلان"(٣١).

وكم كان د. بشر دقيقا في استخدامه كلمة **الانفصال** في تحرك أعضاء النطق عند إنتاج الفتحة متلوة بشبه الحركة ، وهذا التمييز النطقي في إنتاج هذه التتابعات يشكل قاعدة جدّ مهمة في بيان مفهوم التوحد الداخلي لعنصري الحركة المزدوجة ، ويصف Roach طريقة نطق هذه الحركات فيقول " إن أهــم مــا ينبغي تذكره عند نطق الحركات المزدوجة هو طول الجزء الأول وقوته مقارنة بالجزء الثاني ، فمثلا عندما تنطق الحركة المزدوجة ai في كلمـــة eye يكــون معظم المنطوق فيها هو الحركة a ولا يمكننا ملاحظة الانزلاق نحو i إلا فـــي الربع الأخير تقريبا من الحركة المزدوجة ، وعند حدوث الانزلاق ينخفض علو الصوت ، وبهذا يصبح الجزء i أقصر وأهدأ . لذلك يتوجب علـــى المتعلمـــين الأجانب أن يتنبهوا دائما وهم ينطقون الحركات المزدوجة إلـــى أن لا ينطقـــوا الجزء الأخير فيها بقوة " (٣٢).

وكلام Roach هذا تدعمه الملاحظة السمعية لنطق أبناء اللغة للحركـــات المزدوجة ، فأكثر ما يتبدى في الحركة على المستوى السمعي هو امتداد الجزء الأول بطاقة عالية ، ثم يتبدد في نهاياته الياء أو الواو في انزلاق لساني يتميـــز بحركة متصلة وهادئة ليعلن عن انتهاء نطق الحركة ، ويمكننا أن نتابع ذلك في كلمات نحو boy و cow و night ، إذ إننا لا نلحظ حدوث انفصال نطقي بين

الحركة وشبه الحركة وإنما نلحظ امتدادا نطقيا متكاملا ذا دفقة نبرية واحـــدة . وهذا ما لا نجده على المستوى النطقي للتتابعات الهابطة في أبنيـــة العربيـــة ، فعندما ننطق كلمات نحو بيت ، وقوم ، وسيّان ، ودوّار ، يكون في نطقنا حدود صوتية واضحة بين الحركة وشبه الحركة ، وليس هناك تداخل امتزاجي متكامل بين العنصرين ، بحيث نشعر معه بأن الفتحة في التتابع [ay] في كلمة [بيت] تتميز بامتداد نطقي قوي ثم تتبدد في نهايته الياء شبه الحركة ؛ بل إن ما نلحظه على المستويين النطقي والسمعي قصرا في الحركة وطولا في شبه الحركة في هذا التتابع ، فهناك فوارق سمعية ونطقية واضحة في إنتاج هذه التتابعات فـــي كل من العربية والإنجليزية .

وعليه ، فإن اجتماع المستوى النطقي والمستوى الوظيفي بالشكل الـــذي أوضحناه ينفي تماما احتمالية وجود مثل هذه الحركات في أبنية العربية ، وعلى الرغم من ذلك نجد من ينادي بوجودها في حالات لغوية نادرة ، يقول د. عبـــد الصبور شاهين: "إن الواو والياء بتأثير الصياغة الصرفية، يمكن أن يقعا موقعاً يوصفان فيه بأنهما عنصر ثانٍ من المصوت المزدوج. ومن ثم ينظـــر إليهمـــا كمصوتين بمعنى الكلمة، ومثال ذلك الكلمتان (ثَوْب و جَيْب). . فـــالنثر يســـمح بمصوت طويل قبل صامت مضعف، مثل: احمارَّ، وقد شاع في تأليف الجملـــة العربية إمكان حدوث الإدغام بين نهاية كلمة وبداية كلمة أخرى تالية لها، وذلك حين يلتقي صامتان مثلاً، وعلى هذا يمكن أن نجد حالة مماثلة لاحمارَّ (مصوّت طويل قبل التضعيف)، ففي مثل "إن المالَ لك" عكس أن تنطق "إنّ المـــالْ لـــك" وعلى هذا، فثوبُ بكر، وجيبُ بكر – يمكن أيضاً أن ينطقا: "ثَوْبْ بَكْر، و جَيْبْ

بَكْر". فـ (أي و أو) لهما هنا المعاملة نفسها التي للمصوت الطويل (a:) ، وهي معاملة عنصر مصوّت، إذن إنّ الواو والياء في الواقع لا يمكن أن يعدا سوى عنصر ثانٍ لمصوت مزدوج حقيقي، ومحال أن يعتبرا في هذا الموقع صوامت مطلقاً، إذ يتكوّن حينئذٍ نوع من المجموعات غير المستساغة في العربية الفصحى"[٣٣]. وهو يرى كذلك أن علامة التصغير من الصوائت المزدوجة التي تكون الياء فيها متشكلة من أثر الانتقال بين حركتين[٣٤].

ونلحظ أن د. شاهين اعتمد في سياق المقابلة المقطعية على أساسين مختلفين، فهو يقابل بين إمكانية ورود المقطع الطويل المزدوج الإغلاق [ص ح ح ص ص] في بناء كلمة واحدة ، في مقابل وروده في التتابعات البنائية التي يقع في أثناء النطق بها إدغام بين نهاية كلمة وبداية كلمة أخرى . وهي مقابلة غير متوازنة في أبعادها، فهذا التتابع المدغم يمكن أن يقع نطقياً في تتابعات نحو [وسْمْ مائل] و [شَكْلْ لامع] و [وجْهْ هائم] وغير ذلك من التتابعات التي تنتهي فيها الكلمة الأولى بالصامت ذاته الذي تبدأ به الكلمة اللاحقة ، فهل نقول إن مثل هذه الصوامت قد تحولت على المستوى الوظيفي المقطعي إلى حركات وإلاّ لما كان بالإمكان تشكل مثل هذا المقطع في الكلمات ؟ فالتتابعات المدغمة لا يمكن أن تقاس بالمكيال نفسه الذي تقاس به الأبنية المفردة . هذا على المستوى الوظيفي ، أما على المستوى النطقي فإن[ay] في [جيب] لا يمكن أن تكون وحدة صوتية متوحدة نطقيا فالفتحة فيها ذات قصر زمني واضح يحدث بعدها انفصال سريع تهيؤا لنطق الياء التي حظيت بمساحة زمنية أطول على المستوى النطقي .

أما فيما يخص علامة التصغير، فلا أكاد أجد دليلاً على أن "الياء" فيهـا من أثر الانتقال بين حركتين ، إذ لا يوجد حركتان أصلاً ليحدث الانتقال بينهما. فكلمة نحو "جمل" [jamal] في تصغيرها تصبح "جُمَيْل" [jumayl] فأين هي الكسرة لأقول بحدوث انزلاق ؟ أم أنني يجب أن أفترض وجود كسرة بعد الفتحة تنزلق نتيجة تتابعهما الياء ؟ !

ويرى جان كانتينو أن الحركة المزدوجة موجودة في علامة التثنية فـي حالتي الجر والنصب، يقول: "ولا يمكن العثور على حركات مزدوجة حقيقية إلاّ في حالات نادرة جداً مثل تناوب حركة طويلة وحركة مزدوجة في علامة المثنـى آنِ – ـيْنِ"(٣٥) ، فكلا التتابعين يقوم بوظيفة واحدة على المستوى الدلالي ، فهما – أعني [ay] والفتحة الطويلة [a:] – لازمان صوتيان يحملان دلالة المثنى ؛ ولكن هل يؤديان وظيفة واحدة على المستوى البنائي ؟ بمعنى هل يمكن أن نقول إن الفتحة الطويلة توازي في المستوى البنائي المقطعي تتابع الفتحة والياء شـبه الصائت ؟ ! فيكون بذلك تحليلنا للمقطع الثاني لكلمة "باب" في حـالتي الرفـع والنصب [baba:ni و babayni] [ص ح ح] أي صامت متبـوع بحركـة طويلة ، وهو التوجه الذي ذهب إليه كانتينو عندما استخدم كلمة " **تناوب** " فعامل الياء كما لو كانت حركة واعتبر التتابع من قبيل الازدواج الحركي . هذا علـى المستوى البنائي ، أما على المستوى الصوتي النطقي فالناطق – في هذا السياق كذلك – لا يشعر بامتداد حركي ذي تنوع داخلي إذ لا تزال فكـرة الانفصـال النطقي قائمة بين التتابعين حتى وإن أديا وظيفة واحدة .

ونقف أخيرا عند رأي د. سمير استيتية إذ يرى أن "الحركة المزدوجة غير موجودة على مستوى الصيغة السطحية؛ ولكنها موجودة في الصيغة قبل السطحية، وذلك نحو [قِوْمَة] التي أصبحت [قيمة] فالواو والكسرة التي قبلها تمثلان قيمتين مختلفتين، ونظراً لأن الانتقال من الأمام إلى الخلف مباشرة، يحتاج إلى جهد عضلي زائد عند النطق، فقد تحولت الواو إلى ياء لمناسبة الكسر الذي قبلها. وكانت هذه هي المرحلة الأولى من مراحل التغيُّر، وذلك كما هو مبين في التمثيل الآتي:

qiyma	⟵	qiwma
iy		iw

ولما كان بالإمكان – والكلام لا يزال للدكتور استيتية – استبدال حركة طويلة واحدة بالكسرة والياء معاً، فقد دلّ هذا على أن اجتماع الكسرة والياء (في البنية قبل البنية السطحية) إنما هو اجتماع حركتين في حركة مركبة واحدة. وهذه هي المرحلة الثانية من مراحل تغير هذه الكلمة، وذلك كما هو مبين في التمثيل الآتي:

qiima	⟵	qiyma
ii[٣٦]		iy

يعتمد د. استيتية في وجود الحركة المزدوجة في الأبنية قبل السطحية على إمكانية استبدال حركة واحدة طويلة بالوحدة المركبة كاملة. وإذا كان الأمر كذلك فإن اللغة العربية في أبنيتها السطحية مليئة بالحركات المركبة المزدوجة، وذلك لاستبدال التتابعات الهابطة بها من نحو (aw) و (ay) في كلمات نحو: قَوْم، و يَوْم، و بَيْت، و شَيْء، بحركة طويلة على المستوى اللهجي. فأصبحت: [قوم qo:m]، و [يوم yo:m]، و [بيت be:t] و [شيء Se:?]. فإذا كان الدليل على وجود الحركة المزدوجة في البنية قبل السطحية هو تحولها إلى حركة طويلة في البنية السطحية ، فإن الدليل على وجودها في البنية السطحية هو تحولها إلى حركة طويلة في البنية اللهجية.

وأرى أن الحركة المزدوجة ناتج صوتي مميز نطقاً وسمعاً ووظيفة ، فإذا نطقت الحركة وشبه الحركة في مستوى البنية السطحية، وكانتا وحدة واحدة صوتاً ووظيفة، بحيث لا نشعر نطقاً بحدوث انفصال عضوي، وإنما نشعر بانزلاق لساني يسر يتبدى في الربع الأخير من نطق الحركة ، فهما وحدة حركية واحدة ، وهذه الطريقة في النطق لا تتحقق في العربية حتى على مستوى البنية العميقة للكلمات ، فالأصل أن ينظر إلى اللغة بإمكانية قبولها في نظام بنائها الداخلي هذا النوع من الحركات ، إذ إن الدارس ليس مضطراً إلى أن ينظر إلى تحولات الكلمة في بنيتها العميقة وما قبل السطحية وإلى ماذا تطورت ليقرر وجود مثل هذه الحركات في بنية اللغة ، وإنما ينظر إلى خصائص اللغة المدروسة نفسها، هذا من جانب، أمّا من الجانب الآخر فأجدني لا أميل إلى التحليل الصوتي الذي قدّمه د. سمير استيتية لكلمة "قيمة" والذي ذهب من خلاله إلى وجود هذا النوع من الحركات في أبنية العربية ، فلماذا استبدل بكلّ التتابع "iy" صائتاً واحداً وهو الكسرة الطويلة [i :]، في حين أنني أستطيع أن أصل إلى البنية السطحية بتحويل أحد عنصري التتابع الهابط وهو [الياء] إلى كسرة ، وهذا الذي أراه قد حدث فعلاً، فعندما تحولت الواو إلى ياء ، أو بمعنى أدق عندما حذفت الواو وعوّض عنها بياء لمناسبة الكسرة مع القاف، تشكل عندنا

تتابع تماثلي ثقيل وهو [iy]، وللتخفيف من حدة التوتر العضلي الذي ينشأ من تحرك اللسان في المنطقة الضيقة (وهي منطقة الكسرة والياء) استقرت العضلة اللسانية في موضع الكسرة من دون الصعود إلى موضع الياء، فتحولت الياء إلى كسرة التقت مع سابقتها فشكلت كسرة طويلة.

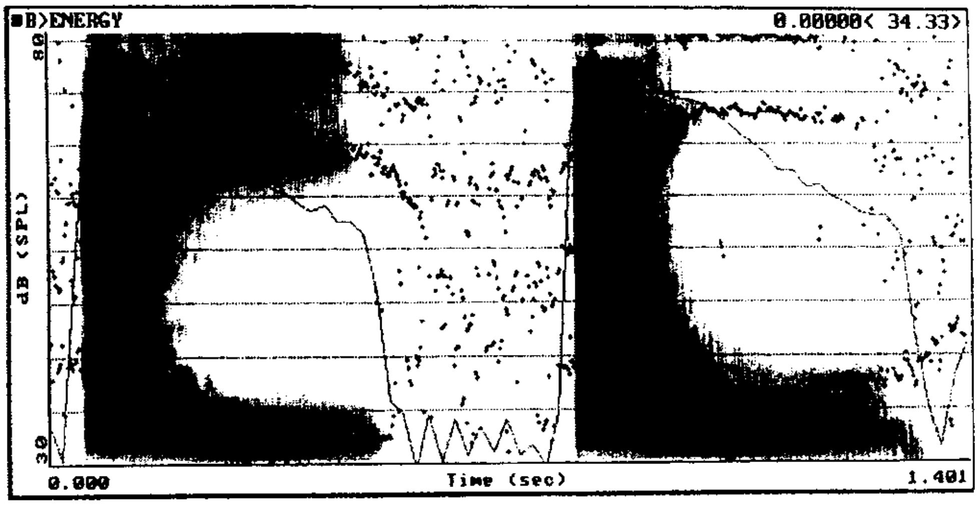
المبحث الثاني:

التتابعات الصوتية الهابطة وسلوكها في أبنية العربية

في العربية ستة أنواع من التتابعات الصوتية الهابطة وتتدرج كالآتي:

أولاً	[ay]	في نحو بَيْت	[bayt]
ثانياً	[aw]	في نحو لَوْن	[lawn]
ثالثاً	[uw]	في نحو صُوام	[suwwa:m]
رابعاً	[iy]	في نحو سِيّان	[siyya:n]
خامساً	uy	في نحو سُيِّر	suyyira
سادساً	[iw]	ما وجدتُ فيه أبنية العربية ما أبقت على هذا التتابع إلاّ نادراً، من نحو "إوْجَل"	

ووصفت هذه التتابعات بالهابطة – كما يذكر د. استيتية – لكون "جزؤها الأول أعلى في النطق من الجزء الثاني، والهبوط يمثل قيمة صوتية متعلقة بحركة اللسان، ودرجة الوضوح السمعي فاللسان عند نطق هذه الحركة يتحرك من درجة منخفضة فيرتفع إلى درجة فوقها، أي إن حجرة الرنين الأمامية من الفم تكون واسعة فتضيق، وبذلك تصبح درجة الصوت أقل علواً، وأقل وضوحاً سمعياً في آنٍ معاً"[٣٧]. إذ إن الناطق لمثل هذه التتابعات يبدأ من نواة المقطع وهي الحركة وينتهي عند قاعدته وهي شبه الحركة ، وعليه فأنت تبدأ من الصوت ذي الطاقة العالية لتنتهي عند الصوت ذي الطاقة القليلة ، وهذا ما يظهر بجلاء في منحنى الطاقة (energy) المبيّن في الشكل (١–٤).



ay aw

الشكل (١-٤)

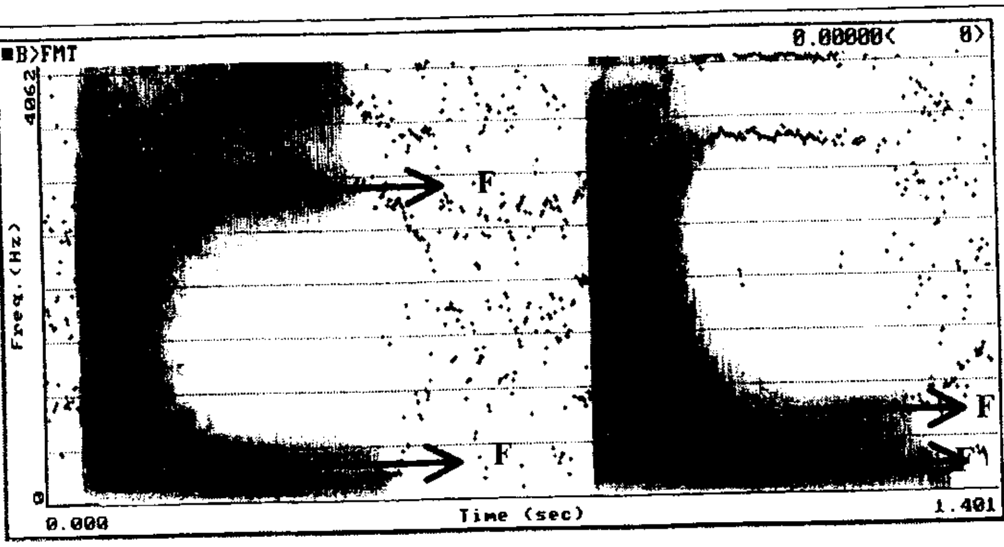
وسأتناول في هذا المبحث الخصائص النطقية والفيزيائية لهذه التتابعات، وكيف كان وجودها سبباً في إحداث التغيرات الصوتية في الأبنية، وهذا ليس في كل سياق بطبيعة الحال، إذ نجدها قد حذفت من بعض الأبنية وثبتت في بعضها الآخر، الأمر الذي يضعف ما قاله د. فوزي الشايب من أن العربية الفصيحة لا تبقي على أربعة من هذه التتابعات على الإطلاق وهي: "اوْ iw ، و ايْ iy ، واوْ uw ، و ايْ uy؛ لأنها في مجموعها عبارة عن تتابعات متجانسة أو أضداد، وكلاهما مرفوض عربيًا"[٣٨]. وهذا كلام يضعفه الواقع اللغوي، إذ إننا نجد ثبات هذه التتابعات في عدد ليس قليل من الأبنية ؛ وبهذا فهي ليست مرفوضة تماماً، بل ثقيلة نطقاً لما تحمله من خصائص صوتية.

أولا : ay – aw

لـم تستثقل العربية التتابعين [ay] و [aw]؛ ولهذا فقد أبقت عليهما في أكثـر أبنيـتها. ويمكـن أن نفسـر خفة هذين التتابعين بقلة الجهد المبذول معهما بالمقارنـة مـع التتابعات الأخرى المتماثلة والمتخالفة. فمع كل من [ay و aw]

ينتقل اللسان من أسفل الفم (موضع نطق الفتحة)، وهو وضع الراحة العضلية، إلى أعلاه ، مع الاندفاع إلى مقدمة الفم مع الياء، والانسحاب إلى مؤخر الفم مع الواو، فاللســـان بهذا ينتقل في تحرك واحد إلى موضع نطق شبه الحركة، في حين نجده يــبذل جهــدا مضـــاعفا مع التتابعات الأخرى، إذ يتطلب منه الانتقال إلى موضع الكسرة أو الضمة أولا، ثم إلى موضع الياء أو الواو ثانيا.

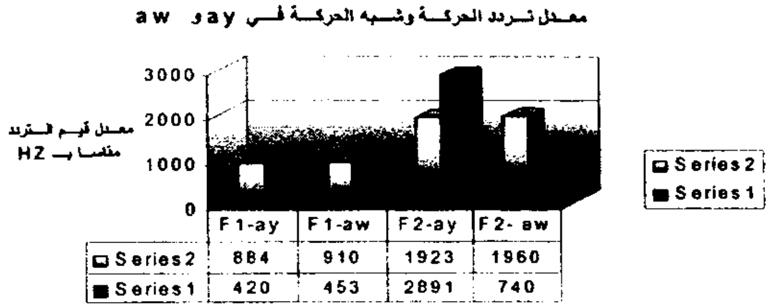
وعلى الرغم من أن المسافة التي سيقطعها اللسان في تحركه من الفتحة إلى شبه الحركة طويلة نوعا ما. وهذا يظهر في شكل الانتقال الترددي المبيّن في الصورتين الطيفيتين [أ ، ب] في الشكل (١-٥) إلا إن كون الحركة المجاورة هي الفتحة خفف من الجهد المبذول عند نطقهما.



الشكل (١-٥)

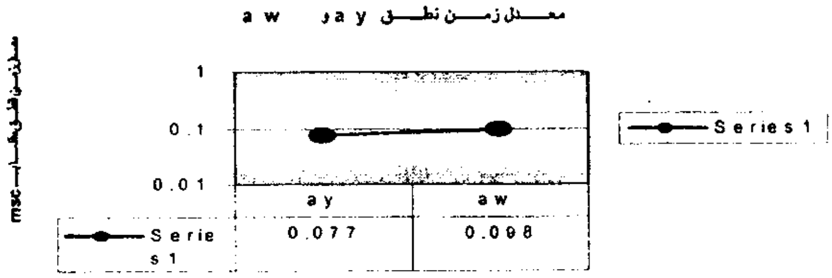
ويبين الصورة الطيفية وقيم المكونين F١ و F٢ لكل من ay و aw

ونلحــظ مــن الشــكل السابق ومن الرسوم البيانية الموضحة في الأشكال (١-٦) و (١-٧) و (١-٨) ما يأتي:



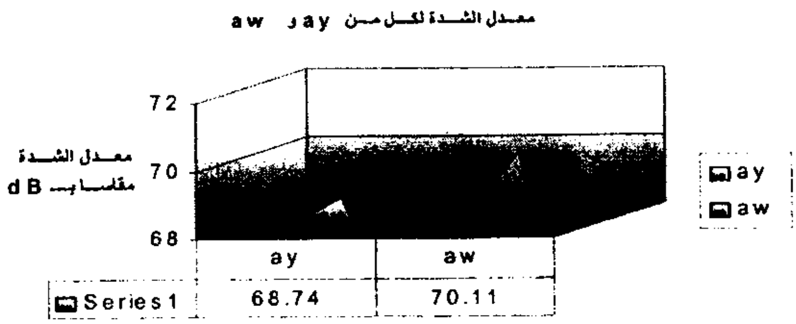
الشكل (١-٦)

ويبين معدل تردد الحركة وشبه الحركة في ay و aw مقاسا بـ Hz.



الشكل (١-٧)

ويبين معدل زمن نطق كل من ay و aw مقاسا بـ msc



الشكل (١-٨)

ويبين معدل زمن نطق كل من ay و aw مقاسا بـmsc

أ- بلــغ معــدل تــردد F١ للفــتحة مع التتابع [ay] ٨٨٤Hz ومع التتابع [aw] ٩١٠Hz وهــبط مستقراً مع الأول عند التردد ٤٢٠Hz وعند ٤٥٣Hz مع الثانـــي. وعليه، فإن فارق التردد في حركة المسار الانتقالي الهابط يعادل ٤٦٤Hz مــع [ay] و ٤٥٧Hz مع [aw]. وارتفاع تردد F١ مع الواو أكثر منه مع الياء يعــود إلـــى ضيق منطقة الحلق مع الأول، فقد ذكر (pickett) في معرض تحديده لقوانين المكونين F١ و F٢ أن F١ يزيد تردده مع تضييق التجويف الحلقي، وكلما ازداد التضييق، ازداد تردد F١.(٢٩٣٩)

ونلاحظ أن فارق التردد F١ بين التتابعين [ay] و [aw] لم يكن كبيراً، وهو أمر يعود إلى حركة اللسان العمودية، فهذا المكون – بالإضافة إلى أنه متعلق بالمساحة النطقــية للحلق – فهو كذلك متعلق – كما سبق أن أوضحنا – بحركة اللسان العمودية، فاللســان مــع كــلا التتابعين يتحرك من الأسفل إلى الأعلى وهذا الذي يفسر الهبوط الواضـــح فـــي تردد هذا المكوِّن مع التتابعين عندما ينتقل من الحركة إلى شبه الحركة وهــو أمــر نجــده شبه مغيب مع التتابعات الأربعة الأخرى التي تغيب معها الحركة العمــودية للسان بدرجة ملحوظة، ويقوى حضور الحركة الأفقية في الانتقال بين مقدم الفم ومؤخره.

ب- بلــغ معدّل تردد F٢ للفتحة مع التتابع [ay] ١٩٢٣Hz ومع التتابع [aw] ١٩٦٠Hz وصعد مستقراً مع الأول عند التردد ٢٨٩١Hz ، في حين هبط مســتقراً مــع الثانـــي عند التردد ٧٤٠Hz . وعليه، فإن فارق التردد في حركة المسار الانتقالي الصاعد يعادل ٩٦٨Hz ، في حين يعادل ١٢٢٠Hz مع الهابط . وفــارق التــردد هــذا يعكس المسافة النطقية والموضعية لكل مــن الفتحة وشبه الحركة، وهي معتدلة نوعاً ما بالمقارنة مع فارق التردد مع التتابعين [iw] و [uy]. وبهــذا فإن حركة المسار الانتقالي مع هذا المكوِّن والقيم الرقمية الناتجة عنه تعدّ إشارة فيزيائية مميزة في هذين التتابعين.

ج- بلغ معدّل زمن الانتقال للمكون الثاني [F٢] مع [ay] ٠,٠٦٠msc ، وبلــغ مــع [aw] ٠,٠٩٨msc وعلــيه فقــد استغرق مسار الانتقال الترددي للمكون F٢ مع [aw] زمناً أطول منه مع [ay].

د- بلــغ معــدّل الشــدة الصــوتية مــع [ay] ٦٨,٧٤dB ، ومع [aw] ٧٠,١١dB . ويعود ارتفاع معدل الشدة مع [aw] أكثر من ارتفاعه مع [ay] إلى كــون فــارق التردد الثاني مع الأول أكبر فاحتاج زمناً انتقالياً أطول وبالتالي جهداً نطقــياً أكبــر ، ويعــود كذلك إلى ضيق منطقة الحلق عند إنتاج الواو، وعليه فإن

اشـــتراك منطقتين نطقيتين عند نطق التتابع [aw] ولّد جهدا نطقيا إضافيا فارتفعت الشدة الصوتية معه بالمقارنة مع التتابع [ay].

وعلـــى الرغم من خفة هذا التتابع بالمقارنة مع التتابعات الهابطة الأخرى، إلا أننا نجد العربية قد تخلصت منه في بعض أبنيتها، وذلك نحـــو مضارع الثلاثي إذا كـــان علـــى وزن "يَفْعِــل" بكســـر العين، مثل: [يَعِد] من [يَوعِد]، و [يَزِن] من [يوزِن]، و [يصل] مِن [يوصل] ، ونحو حذف الواو من الوزن "يَفعَل" بفتح العين، والقياس عدم حذفها، وقد وردت أمثلة غير قليلة عليه من نحو: يَدَع ويَزَع ويَضَع ويَقَع ويهب ويذر ويطأ ويسع وغيرها.

وأرى أن الأمر يعود في ذلك إلى عاملين:

الأول: وجود الكسرة في المقطع اللاحق للمقطع الذي ورد فيه هذا التتابع.

الثاني: وجود الياء في بداية المقطع الذي ورد فيه التتابع الهابط.

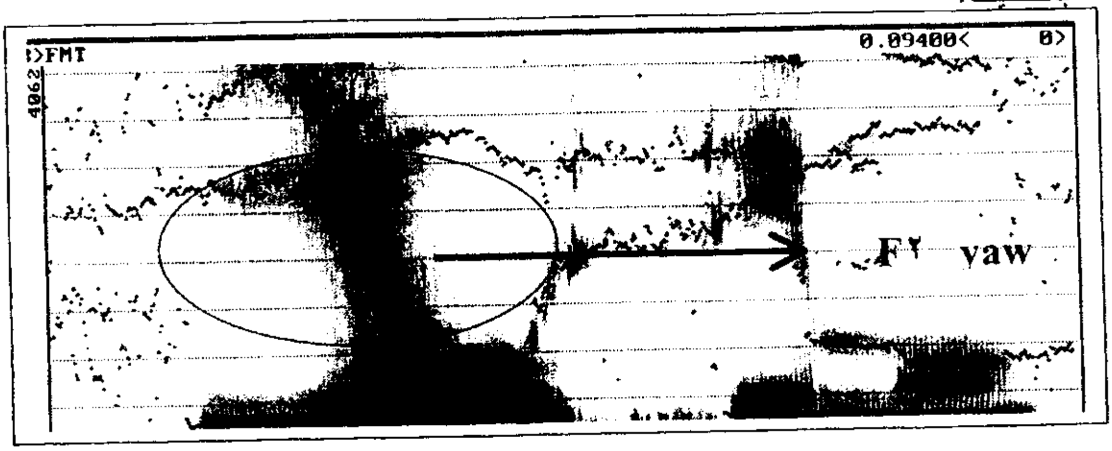
فمع الأول يتركز الثقل في وجود الكسرة بعد الواو وهما عنصران متنافران، وعلى الرغم من وجود فاصل صامتي يخفف من ثقل التتابع، إلا إن العربية قد جنحت في ذلك إلى التخلص من مصدر الثقل الذي يمكن أن يتخلص منه، فحذفت الواو.

ومـــع الثانـــي يطلب من العضلة اللسانية كي تنتج المقطع [yaw] أن تنتقل بالمسار التحركي المبيّن في الشكل (١–٨)، وهو انتقال يسبب توترا في حركة العضلة اللســـانية، وقـــد ذكر سيبويه هذا، فهو يُفسر سبب حذف الواو في هذه الأبنية باستثقال اجتماع الياء والــــواو، وهذا الاستثقال جعلهم ينطقون يوجل: ياجل وييجل بقلب الواو ألفـــا أو ياء[٤٠]، هذا بالإضافة إلى العلو النسبي لفارق تردد F٢ مع التتابع [aw] مقارنـــة مع الآخر [ay] ؛ لهذا نجد الواو قد حذفت من المضارع في حين ثبتت الياء في المضارع اليائي من نحو يمن وييبس وييئس.

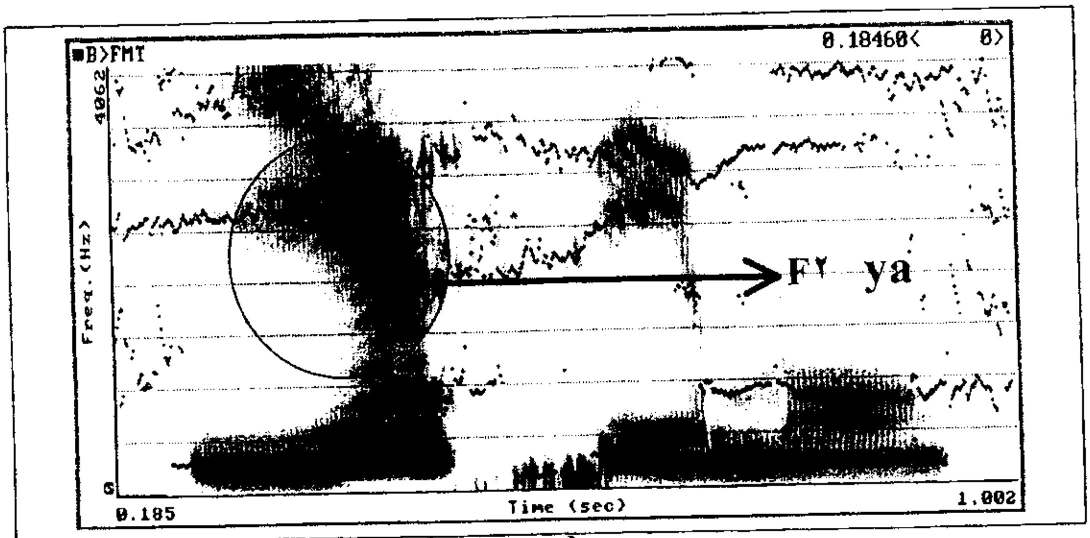
ويتبـــين الفارق في الشدة الصوتية بين ثبات الواو وحذفها في مضارع الفعل المعـــتل المثال في الشكلين (١–٩) و (١–١٠) حيث يبين الأول شكل الانتقال الطيفي لخـــط التردد F٢ للتتابع [yaw] و [ya] في كلٍ من [يوسِمُ yawsimu] و [يَسِمُ yasimu]، وفيه نلحظ انحداراً حاداً في مسار المكوِّن الثاني [F٢] مـــع [yaw] في حـــين تخف حدة الهبوط بوضوح عند الانتقال من الياء شبه الحركة إلى الفتحة التالية، وهـــذا الحـــذف أدى إلـــى انخفـــاض معـــدّل الشـــدة الصوتية مع [ya] حيث بلغت ٧١,٣٣dB بعد أن كانت مع [yaw] ٧٣,١٢dB.

وإذا قـــيل إن هذا التتابع [yaw] قد وقع في الأسماء ولم تحذف منه الواو، نحـــو [يـــوم yawm] ، أقـــول: إنه على الرغم من تطابق الوضعين على المستوى

الصوتي النطقي، إلاّ أنهما مختلفان من الجانب البنائي، فالياء في كلمة [يوم] من أصل الكلمة، وليس مثل "يُوسَمِ" (علامة زمنية مضافة، هذا من جانب، أمّا من الجانب الآخر فـإن للـباحث أن يقلب معجم اللسان فلن يجد في باب الميم فصل الياء إلاّ كلمة واحدة هـي [يـوم] بخـلاف الفعل المثال الواوي فهو يتجاوز هذا العدد بكثير فكان أولى بالتخفيف.



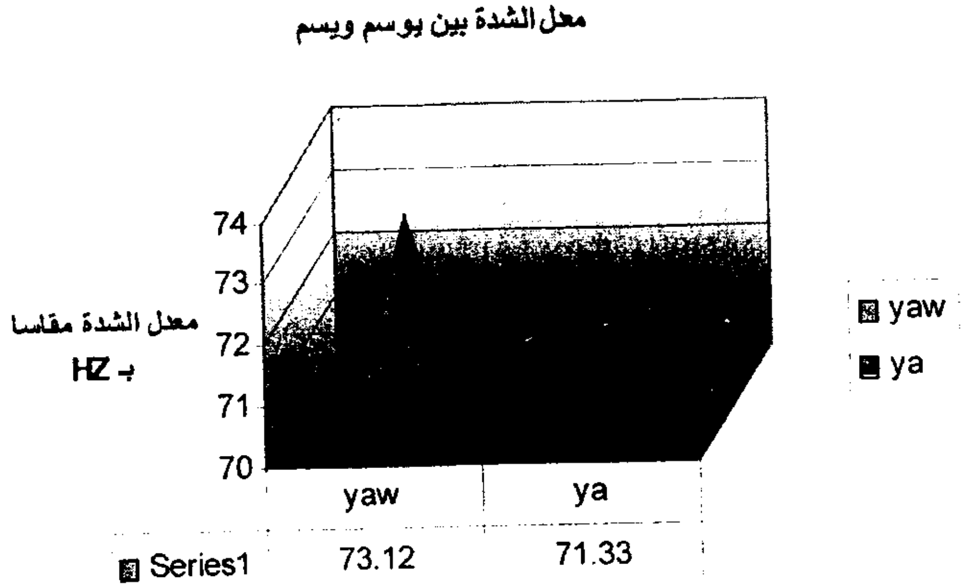
[أ]



[ب]

الشكل (١-٩)

ويبين الشكل الطيفي لكل من يوسم و يسم حيث يظهر الانحدار حادا في F٢ مع الأولى ويمثلها الشكل [أ] وتخف حدته بصورة ملحوظة مع الثانية



الشكل (١-١٠)

ويبين الفارق في معدل الشدة بين التتابع yaw والتتابع ya في يوسم ويسم

ثانيا : iy –uw – uy – iw

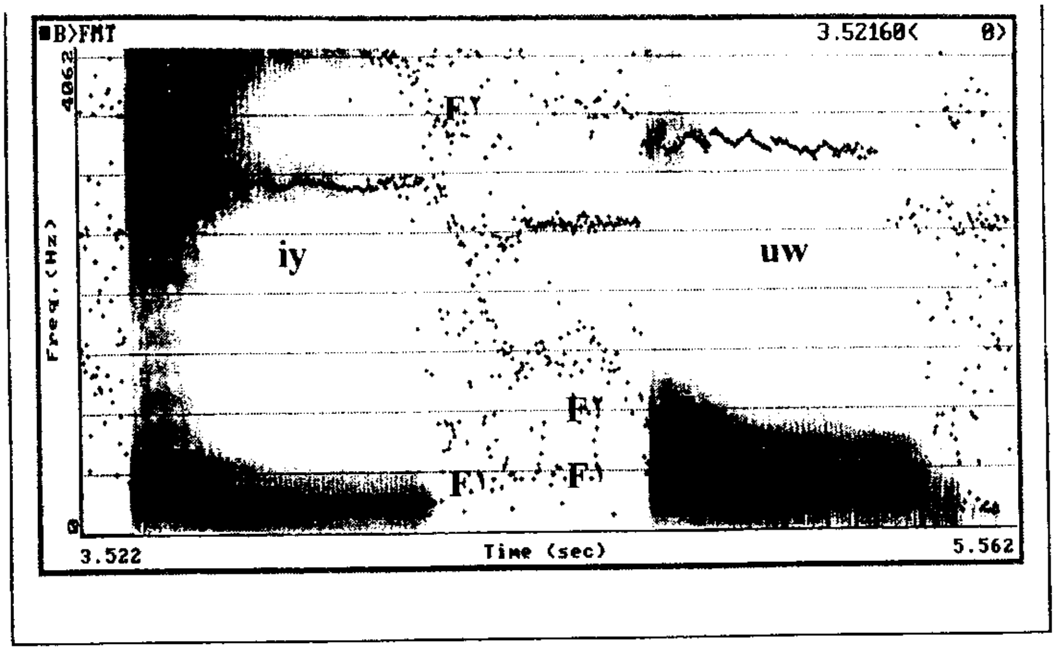
تعتبر التتابعات الصوتية الهابطة iw – iy –uw – uy من التتابعات الثقيلة نطقا في العربية. وإن كنا نجد الثلاثة الأولى منها في بعض الأبنية وفي سياقات صوتية معينة، فلا نكاد نجد الأخير إلا في ما ندر منها.

وثقل هذه التتابعات يكمن في الجمع بين المثلين مع كل من " iy " و" uw " وبين الضدين مع كل من (iw) و (uy) ، فمع الأولين تتحرك العضلة

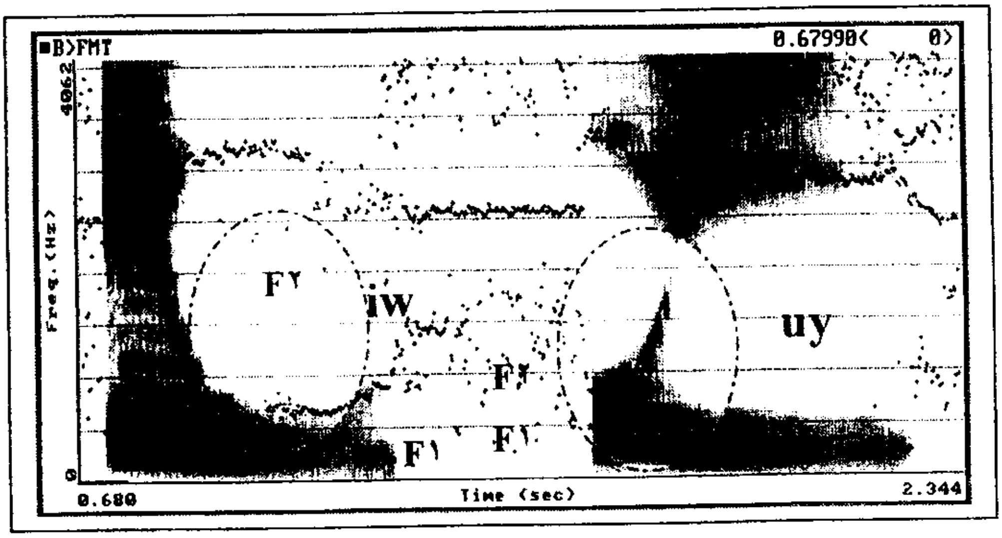
اللسانية في منطقة نطقية ضيقة جدا ، وهي فارق المسافة بين الكسرة والياء وبين الضمة والواو. وبسبب حصر التحرك اللساني الدقيق في مساحة ضيقة كهذه ازداد توتر عضلة اللسان؛ لأن هذا يحتاج منها مجهودا أكبر، وهذا أمر طبيعي. فأنت إذا أردت أن تصلح قطعة إلكترونية مثلا، وكانت صغيرة الحجم فهي تحتاج منك دقة في الحركة وتركيزا في عمليات الوصل والقطع والتبديل أكثر مما تحتاجه القطعة نفسها لو كانت متوسطة الحجم أو كبيرة. وبهذا فأنت تبذل جهدا مضاعفا مع الأولى.

ويحدث عكس ذلك مع التتابعين الآخرين " iw " و " uy " إذ يتطلب من اللسان أن ينتقل بشكل مفاجئ وسريع بين موضعين، أحدهما في أول الفم والثاني في أقصاه (أو العكس). وهذا التحرك المتتابع يشكل ما يمكن أن نسميه صدمة عضلية. وعلى الرغم من أن اللسان عضلة مرنة، إذ يمكنه أن يتحرك في الاتجاهات كافة، إلا أنَّ البعد الموضعي بين صوتين يطلب فيه من اللسان أن ينتجهما بشكل مباشر ومن دون فاصل، هو ما سبب الثقل النطقي معهما، ولهذا حذفا في كثيرِ من الأبنية.

وتبين الأشكال (١-١١) و (١-١٢) و (١-١٣) و (١-١٤) عدداً من الخصائص الفيزيائية للتتابعات الصوتية المدروسة، حيث يبين الشكل الأول الرسم الطيفي للتتابعات المتماثلة والمتخالفة ، ويبين الثاني الرسم البياني لمعدل الشدة الصوتية ويظهر الثالث الرسم البياني لمعدل التردد F2 لكل من الحركة وشبه الحركة، ويوضح الأخير زمن الانتقال الذي احتاجه المكوّن الثاني للانتقال من الحركة إلى شبه الحركة.



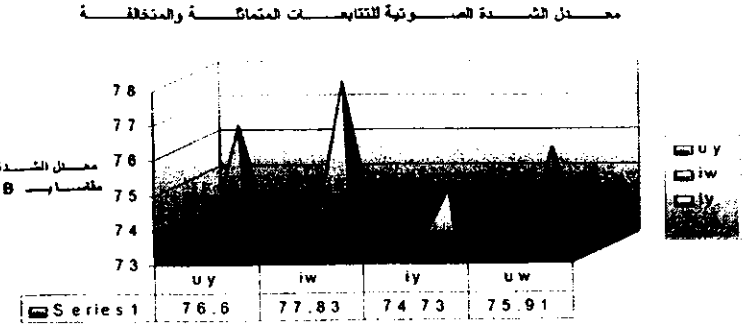
[أ]



[ب]

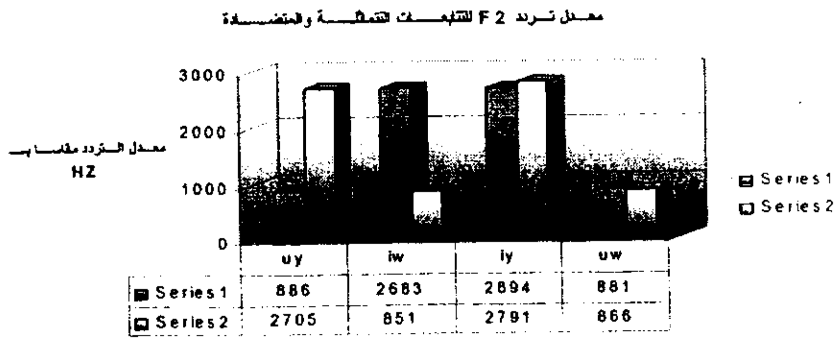
الشكل (١-١١)

ويبين الشكل الطيفي للتابعات المتماثلة ويوضحها الشكل (أ) ، والتتابعات المتخالفة ويمثلها الشكل (ب)



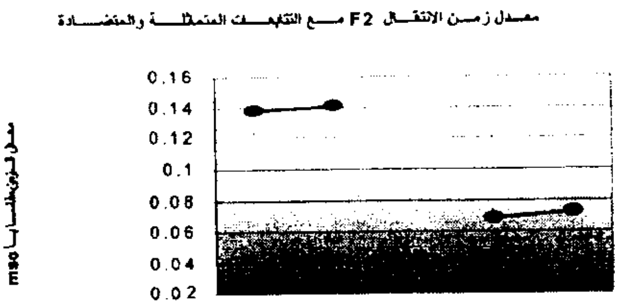
	uy	iw	iy	uw
Series1	76.6	77.83	74 73	75.91

الشكل (١-١٢)



	uy	iw	iy	uw
Series1	886	2683	2894	881
Series2	2705	851	2791	866

الشكل (١-١٣)



الشكل (١-١٤)

وبالنظر إلى الأشكال المبيّنة سابقا نخلص إلى النتائج الآتية:

أ- لم يكن المكوّن الأول [F1] يشكل عنصراً تمييزياً واضحاً في الفوارق الفيزيائية بين التتابعات المدروسة، ففي معظم المحاولات النطقية للتتابعات جميعها كان يهبط باستواء ملحوظ- إن جاز القول - باتجاه شبه الحركة.

ب- يشكل المكون الثاني [F2] إشارة فيزيائية واضحة في التمييز بين التتابعات المنطوقة، فمع التتابع المتخالف (uy) نجد بداية المكوّن متركزة عند التردد 886Hz ثم يصعد في مسار حاد ليستقر عند التردد 2705Hz في حين نجد بداية التتابع [iw] متركزة عند 2683Hz ثم يهبط مكونه في مسار حادٍّ أيضاً ليستقر عند التردد 851Hz . أما التتابعان المتماثلان [iy] و [uw] فنجد صعوداً منبسطاً في حركة انتقال المكون F2 مع الأول، وهبوطاً منبسطاً في حركة انتقال المكون نفسه مع الثاني. إذ يبدأ مع الأول من التردد 2694Hz ويستقر عند 2791Hz، ويبدأ مع الثاني من التردد 881Hz ويستقر عند 866Hz.

ج- لما كان الفارق الترددي مع التتابعات المتضادة عاليا، إذ بلغ مع التتابع [uy] 1819Hz ومع التتابع [iw] 1832Hz ، فقد احتاج ذلك زمناً نطقياً طويلاً لإتمام عملية الانتقال التي يتحرك فيها اللسان تحركاً أفقياً حاداً بين مقدم الفم ومؤخره. ولهذا نجد معدل زمن انتقال المكوّن الثاني مع [uy] قد بلغ 138msc ، ومع [iw] 141msc، وهما نسبتان متقاربتان. وعلى النقيض من ذلك نجد قصراً زمنياً واضحاً مع التتابعين المتماثلين، إذ بلغ معدل زمن الانتقال مع [iy] 0.068msc ومع [uw] 0.072msc،

فالحركة اللسانية المنجزة لنطق هذا التماثل محصورة في مساحة نطقية ضيقة هي فارقة المسافة بين الحركة وشبه الحركة المتماثلتين.

د- كان معدل الشدة الصوتية مع التتابعات المتماثلة والمتضادة أعلى من التتابعين [ay] و [aw] ، إذ اجتمع مع توتر عمود الهواء توتر في حركة العضلة اللسانية التي تسير في مسار متضاد مع [iw] و [uy] ، وفي مسار دقيق وضيق مع [iy] و [uw]. فمعدل الشدة الصوتية مع [iw] قد بلغ 77.83dB ، ومع [uy] 76.60dB ، في حين هبط مع كل من [uw] إلى 75.91 ، وإلى 74.73dB مع [iy].

ولهذا الذي ذكرناه من الخصائص النطقية والفيزيائية لهذه التتابعات الأربعة، فقد تخلصت العربية منها في أكثر أبنيتها، وذلك إمّا بحذف شبه الحركة والتعويض عنها، أو بحذفها من دون تعويض، ويكون التعويض إمّا بمد الحركة السابقة لها، أو بتضعيف الصامت اللاحق.

ونعرض هنا أمثلة على الشكل الأول (الحذف والتعويض بمد الحركة السابقة):

١- [إفْعال] و [مِفْعال] من المثال الواوي. نحو "إيصال" و أصلها "إوْصال" من الفعل "وَصَلَ" ، و "ميعاد" وأصلها "مِوعاد" من الفعل " وَعَدَ ".

?iwsa:l	→	?iysa:l	→	?i:sal
Miwʕa:d	→	Miyʕa:d	→	mi:ʕ a:d

٢- "فِعْلَة" من الأجوف الواوي واليائي. نحو: "قيمة" وأصلها "قِوْمة" و "سيرة" من الأصل "سِيْرة".

qiwmatu ⟶ qiymatu ⟶ qi:matu

siyratu ⟶ si:ratu

٣- الناقص اليائي مع ضمائر المتكلم والمخاطب ، نحو: "رَضيتُ" وأصلها "رضِيْتُ".

radiwtu ⟶ radiytu ⟶ radi:tu

٤- الفعـل المضـارع المزيد من الناقص اليائي ، نحو: "يُرْضي" وأصلها "يُرْضِيْ ".

yurdiw ⟶ yurdiy ⟶ yurdi:

٥- المبني للمجهول من "أُفْعِل" نحو: "أوهِبَ" وأصلها "أُوْهِبَ".

?uwhiba ⟶ ?u:hiba

٦- وزن "فُعُل" من الأجوف اليائي. نحو: "بيض" وأصلها "بُيْضُ".

Buydu ⟶ biydu ⟶ bi:du

أما الشكل الثاني، وهو الحذف والتعويض بتضعيف الصامت اللاحق، فنحو:

"افتعل" من المثالين الواوي واليائي مثل: "اتصل" من الأصـــل "اوتصـــل" و"اتبس"، وأصلها "ايتبس"، وفيهما عوض عن شبه الحركة بالتاء.

iwtasala ittasala

iytabasa ittabasa

وأما الشكل الثالث ، وهو حذف من دون تعويض ، فنحو: الأمر من المثال الواوي، مثل "قِفْ" وأصلها "إوْقَف" و "صِل" من الأصل "إوْصِل".

Iwqaf qit

Iwsil sil

والحذف هنا لم يكن للواو فقط ، بل للمقطع كاملا.

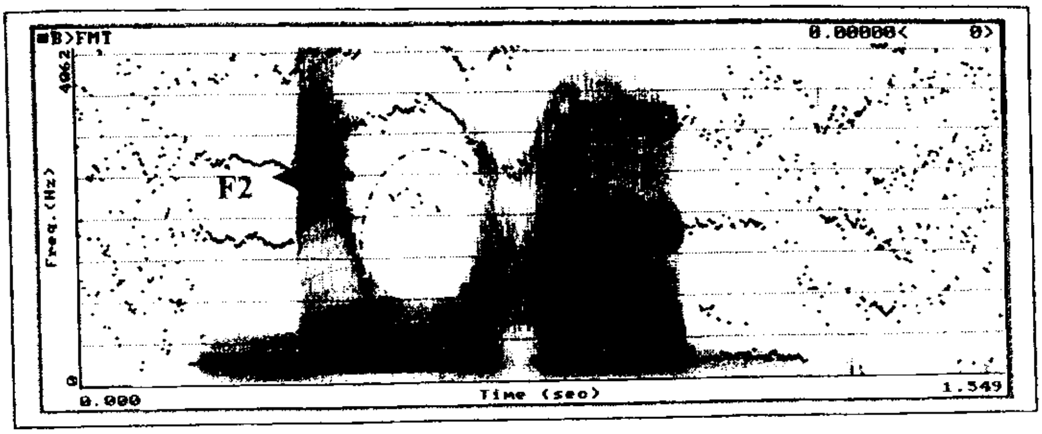
وأقف في آخر الأمر بنظرة تحليلية سريعة عنـــد الخصـــائص الفيزيائيـــة لكلمتين مما سبق أن أوردناه، وهما: ميعاد ورضيت.

يبين الشكل (١-١٥) مراحل التغير الصوتي لكلمة "ميعـــاد mi:ʕ:d" إذ نجد في الشكل [أ] انتقال المكوِّن F2 بهبوط حاد من التردد 2456Hz إلى التردد 861Hz ، وهذا يعكس انتقال اللسان من الكسرة إلى الواو شبه الحركة في ʕa:d miw، وتبلغ شدة التتابع الهابط معها 77.50dB . في حين نجد الانتقـــال فـــي الشكل [ب] يتحول إلى صاعد مع البنية قبل السطحية [miya:d]. ومعها نجـــد الانتقال يبدأ من 2600Hz ويصعد إلى 2710Hz، ثم لا يلبث أن ينتقل في هبوط إلى تردد العين. وتبلغ شدة التتابع [iy] هنا 75.60dB، وللتخفيف مـــن الثقـــل

النطقي المتمثل في حركة اللسان في منطقة نطقية ضيقة وهي منطقة الكسرة والياء تُحذف الياء ويعوّض عنها بمد الحركة السابقة، بمعنى آخر يستقر اللسان في موضعه الخاص بإنتاج الكسرة، ويتبين ذلك في الشكل [ج] إذ نجد استقراراً في بداية الترددات المنعكسة عن الكسرة الطويلة يتبعها انتقال هابط إلى تردد العين، ويبلغ معدل شدة الكسرة الطويلة هنا 74.11dB. وهي نتيجة طبيعية، فاللسان قد تخلص من حركة ثنائية متضادة الاتجاه في [iw]، ثم تخلص من حركة ثنائية يتطلب منه كي ينجزها أن يتحرك في مساحة نطقية غاية في الضيق، منتهياً إلى وضع عضلي مستقر هو وضع نطق الكسرة مع شيء من الامتداد الزمني عند إنتاجها للتعويض عن شبه الحركة المحذوفة.

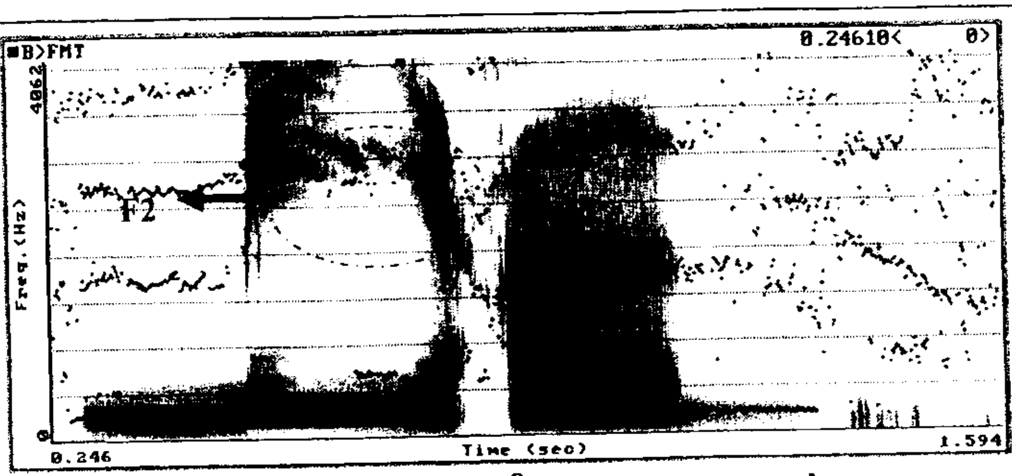
أمّا الكلمة الثانية "رُضيتْ" [radi:tu] فيظهر من صورتها الطيفية (١-١٦) تماثل تقريبي في التردد الذي يبدأ منه المكون الثاني [F2] في البنيتين ما قبل السطحية والسطحية، إذ نلحظ أنه عند الانتقال من صوت [الضاد] المفخم المجهور إلى الكسرة التالية يتركز التردد عند 1562Hz فيصعد إلى التردد 2892Hz مع التتابع [iy] وإلى 2583Hz مع الكسرة الطويلة أي بفارق ترددي يبلغ 1330Hz مع [iy] و 1021Hz مع الكسرة الطويلة. وقد بلغت الشدة الصوتية مع الأول 76.13dB في حين انخفضت مع الثاني إلى .74.22dB

[أ]



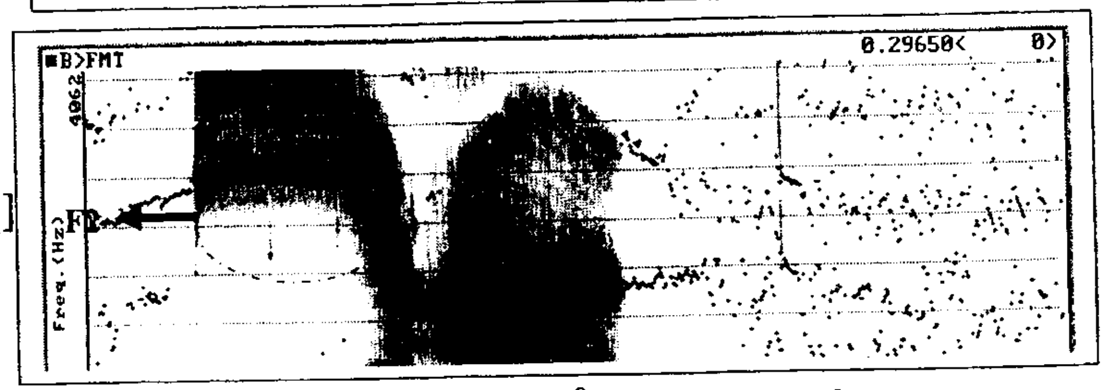
m i w ʔ a: d

[ب]



m i y ʔ a: d

[ج]



m i: ʔ a: d

الشكل (١-١٥)

وبعد، فكما أن العربية قد تخلصت من هذه التتابعات في عدد من أبنيتهـا، فقد سلكت سبيل بقائها في بعضها الآخر، وذلك في سياق صوتي واحـد وهـو التضعيف ؛ أي في السياقات التي يبدأ فيها المقطع اللاحق بشبه الحركـة التـي انتهى بها المقطع السابق، وذلك نحو:

أ- الفعل الماضي المبني للمجهول من الأجوف الواوي واليائي الذي جاءت عينه مُضعفة، مثل: لُيِّنَ [luyyina]، عُيِّنَ [uyyina ؟] ، لُوِّنَ [luwwina]، جُوِّعَ [juwwiʕa].

ب- ما بُنِيَ على الوزن [فُعِّل] من الأجوف اليائي، مثل: ضُيِّع [duyya]، سُـيِّر [suyyar].

ج- مـا بُنـي عـلى وزن [فُعّال] مـن الأجـوف الـواوي، مثـل: رُوّاد [ruwwa:d]، زوّار [zuwwa:r]، دُوّار [duwwa:r].

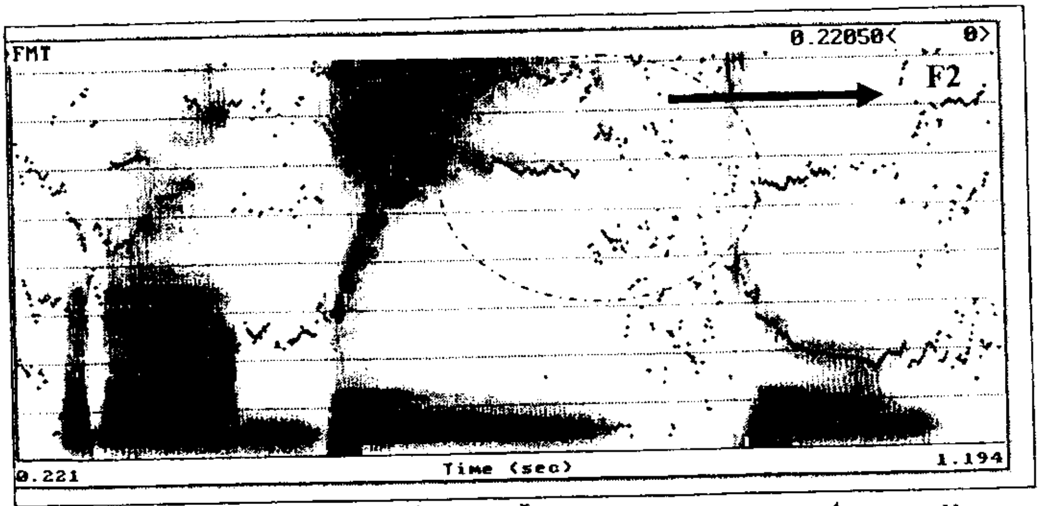
د- الكلمات المنسوبة، مثل: سوري [su:riyyu].

هـ- كلمـات نحـو: "سِـيّان" [siyya:n]، قَـوِيٌّ [qawiyyu]، غِيَّـة [giyyatu].

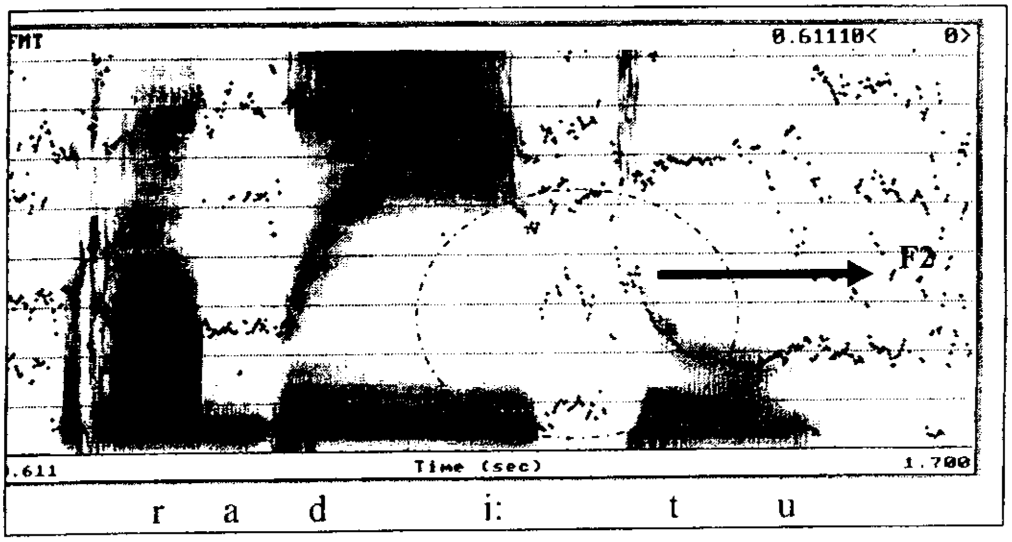
فالعربية قد أبقت على هذه التتابعات في الأبنية السابقة، في حين أنهـا تخلصت منها في أبنية أخرى كثيرة، والأمر يعود - بالإضافة إلى الحفاظ على وزن البنية - إلى الطبيعة النطقية للتضعيف ، فالتضعيف في حقيقته النطقية هو استقرار الأعضاء النطقية مدة في موضع نطق الصوت ، ثم تتحرك بعد ذلـك

لإنتاج الصوت اللاحق ، وهذا الاستقرار يمثل استراحة العضلة اللسانية من الحركة الانتقالية المفاجئة بين موضعين متباعدين، من نحو [uy] في ضُيَّع [duyyaʕ]، أو الحركة الانتقالية الضيقة بين موضعين متقاربين، من نحو (iy) في سِيّان [siyyan]. ورأى أن هذا الاستقرار يُعَدّ تمهيداً زمنياً تتهيأ فيه الأعضاء النطقية للانتقال إلى موضع نطق الصوت اللاحق. وعليه فحركة النطق في سياق التضعيف لا تكون سريعة ومفاجئة كما هي شبه الحركة عندما تكون ساكنة.

وتظهر صفة الاستقرار العضلي هذه واضحة في الشكل (١-١٧)، وفيه الصورة الطيفية لكلمة "سِيّان"، إذ تظهر على شكل امتداد زمني لحركة تردد التتابع (iyy) في الكلمة نفسها، وهذا الاستقرار قد أشبع الياء بالسكون وهَيّأ أعضاء النطق للانتقال من الموضع النطقي نفسه إلى الفتحة اللاحقة للياء الثانية ولهذا أصبح التتابع [iy] في الكلمة مقبولاً على المستوى النطقي.

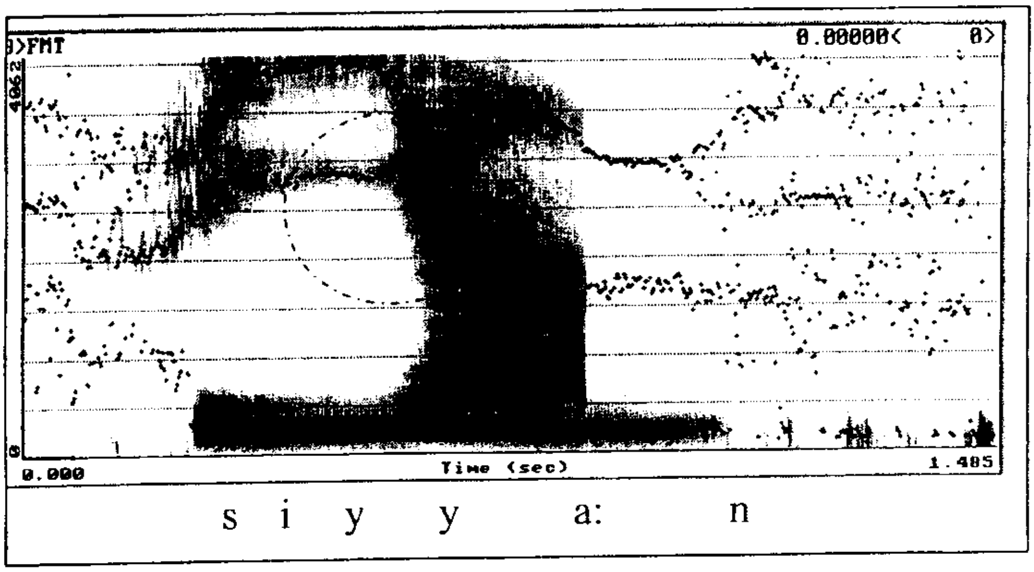


[أ]



[ب]

الشكل (١-١٦)



الشكل (١-١٧)

هوامش الدراسة

(١) Praat هو برنامج حاسوبي يعمل على تسجيل الكلام آليا وتحليله وتركيبه، صمم في جامعة أمستردام Amsterdam وكان القائمان على تنفيذ فكرته وتحديثها كلاً من الأستاذين Paul Boersma و David Weenink

ويستطيع الدارس أن يستعمل هذا البرنامج من موقعه على شبكة الإنترنت وعنوانه : http://www.praat.org .

(٢) د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٠٣.

(٣) J.C.Catford . A Practical Introduction to Phonetics , p116 .

(٤) Martin J. Ball . Phonetics For Speech Pathology , p.54

(٥) د. سمير استيتية، الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية، ص ١٥١.٥

(٦) ماريو باي، أسس علم اللغة، ص ٨٠.

(٧) Peter Roach . English Phonetics and Phonology , p21

(٨) فندرس، اللغة، ص ٥٤. وانظر: د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ١٦١.

(٩) غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص ٢٣١.

(١٠) د. سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(١١) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٤٣. وانظر د. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٤١. وانظر د. كمال بشر، علم الأصوات، ص ٣٦٩، وانظر: د. فوزي الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص ٢٠١-٢٠٢.

(١٢) د. عبد الصبور شاهين ، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، ص٤١.

(١٣) د. كمال بشر ، علم الأصوات ، ص٢٦٩.

(١٤) د. فوزي الشايب ، محاضرات في اللسانيات ، ص٢٠٠-٢٠٢.

(١٥) د. عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص ٣٠.

(١٦) المرجع السابق، ص ٣١.

(١٧) المرجع السابق، ص ٣٠.

(١٨) D. Kent. The Acoustic Analysis of Speech, p. 92.

(١٩) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢٠) التقطت هذه الصور في قسم الأشعة في مستشفى الإسراء اعتمادا على جهاز -- Cine Fluoro scopy ، حيث اعتمد التقاط صور عديدة لمحاولات نطقية متكررة ثم اختيـــر من بينها تلك التي عرضت في الدراسة . قام بالإشراف على التقاط الصـــور الـــدكتور هيثم العزام رئيس قسم الأشعة في المستشفى المذكور .

(٢١) انظر صفحة ٧٤من الدراسة .

(٢٢) د. أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص ٣٠٤.

(٢٣) انظر صفحة ٧٤ من الدراسة.

(٢٤) J.C.Catford . A Practical Introduction to Phonetics , p116.

(٢٥) د. غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص ٢٣١.

(٢٦) جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص ١٧١.

(٢٧) د. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٤٦.

(٢٨) د. عبد الرحمن أيوب، الصوت إنتاجه وتحليله، ص ١٧٢.

(٢٩) د. عبد الرحمن أيوب، الصوت إنتاجه وتحليله، ص ١٧٢.

(٣٠) د. كمال بشر، علم اللغة العام – الأصوات، ص ٨٥.

(٣١) د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص ٩٤.

(٣٢) Peter Roach . English Phonetics and Phonology , p21.

(٣٣) د. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٤٤.

(٣٤) المرجع السابق، ص ٤٣ .

(٣٥) جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص ١٧٢

(٣٦) د. سمير استيتية، الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية، ص ١٥٢-١٥٣

(٣٧) المرجع السابق ، ص ١٥٣-١٥٤.

(٣٨) د. فوزي الشايب، تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ص ٣٢.

(٣٩) انظر D. Pickett. The sounds of Speech Communication, p. 50-51 .

(٤٠) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٥٢.

قائمة المصادر والمراجع

- أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢.
- أيوب، عبد الرحمن. أصوات اللغة، مكتبة الشباب، د.ط، د.ت.
- باي، ماريو. أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس الغرب، د. ط، ١٩٧٣.
- بشر، كمال محمد. علم اللغة العام – الأصوات، د.ط، دار المعارف- مصر، ١٩٨٠.
- بشر، كمال محمد، دراسات في علم اللغة، ط٩، دار المعارف، ١٩٨٦.
- استيتية، سمير شريف. الأصوات اللغوية -رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب، ط٢، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٨٢.
- شاهين، عبد الصبور. المنهج الصوتي للبنية العربية، د. ط، د.ت.
- الشايب، فوزي. محاضرات في اللسانيات، ط١، وزارة الثقافة، ١٩٩٩.
- عمر، أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي، ط٣، عالم الكتب، ١٩٨٥.
- فندريس. اللغة، ترجمة عبد الرحمن الدواخلي والقصاص، مطبعة الأنجلو المصرية د.ط، ١٩٥٠.
- كانتينو، جان. دروس في عمل أصوات العربية، د.ط، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية- نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٦.

- Ball, Martin J.Phonetics for Speech Pathology, Whurr Publishers Ltd- London and New Jersey, First edition, 1989.

- Catford.J.C.A Practical Introduction to Phonetics, Clarendon Press. Oxford, no edtion, 1988.
- Roach, Peter. English Phonetics and Phonology, Cambridge University Press, fourth Printing, 2002.
- Kent, Ray D. and Read, Charels. The Acoustic Analysis of Speech, Singular Publishing Group, INC, San Diego-London, Third edtion, 1996.
- Pickett, J.M. The Acoustic of Speech Communication Fundamentals, Speech Perception Theory, and Technology, Allyn and Bacon, no edition, 1998.

صيغة افعالّ والتحولات المختلفة لها

في ضوء العربية واللغات السّاميّة

د.صلاح أحمد سعيد

فقه اللغات السّاميَّة

جامعة الحسين بن طلال

المقدمة

١

كـــان العـــالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـــ، أول من قال بالـــنحت مـــن علماء العربية[١]، فكتب يقول:"فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً. قال:

وتضحك مني شيخةٌ عبشميةٌ   كأن لم تَرَى[٢] قبلي أسيراً يمانيا

نسبها إلى عبد شمس، فأخذ العين، والباء من : (عبد)، وأخذ الشين والميم من: (شمس)، وأسقط الدال والسين، فبنى من الكلمتين كلمة، فهذا من النحت[٣]. وقد أكد العـــالم اللغـــوي أحمـــد بـــن فـــارس(ت٣٩٥هـــــ) هـــذه الأسبقية للخليل، إذ قـــال:"والأصل في ذلك ما ذكره الخليل، من قولهم:" (حيعل) الرجل:إذ قال: حيَّ علـــى"[٤] . ومع هذا الإقرار منه إلا أن اليد الطولى تبقى له في هذا الموضوع، حـــين اختط منهجاً خاصاً به في معجمي:(مقاييس اللغة) و(مجمل اللغة)، يقوم على نظرية الأصول والمقاييس بالنسبة للأوزان الثنائية والثلاثية ونظرية النحت بالنـــسبة لما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف. فهو يقول في هذا الصدد: " اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستنبطه النظر الدقيق،

وذلــك أن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت: " أن تُؤخذ كلمتان، وتنحت مــنهما كلمــة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ، ومن ذلك: (البحتر)، وهو القصير المجتمع الخلق، فهذا منحوت من كلمتين: من الباء والتاء والراء وهو من: بترته فبُتــر، كأنه حُرم الطول فبتر خلقه، والكلمة الثانية: الحاء والتاء والراء، وهو من حترت واحترت، وذلك ألاّ تُفْضِل على أحد؛ يقال أحْتر على نفسه وعياله، أي ضيَّق علــيهم؛ فقــد صار هذا المعنى في القصير؛ لأنه لم يعطَ ما أُعطيه الطويل" [٥]. ولمــا لم يستطع هذا العالم تفسير هذه الأوزان جميعها من خلال النحت، أضاف إلــيها ضــربين آخرين، هما المزيد، وما وضع هكذا وضعاً. فيقول في المزيد: "ومــنه مــا أصله كلمة واحدة، وقد ألحق بالرباعي والخماسي بزيادة تدخله [٦]" .وقــد تكون الزيادة بحرف في أول كلمة، مثل:" (بلَذَم): إذا فرق فسكت، والباء زائــدة، وإنما هو: (لذم): إذا لزم مكانه فَرقاً لا يتحرك[٧]" وقد تكون الزيادة في وســط الكلمــة:، مثل: "(الدعلجة)، وهو الذهاب والرجوع والتردد، وبه يسمون الفــرس: (دعلجــا)، والعين فيه زائدة، وإنما هو: من(الدلج والإدلاج) [٨]". وقد تكــون الــزيادة في آخر الكلمة، ومثال ذلك قوله:" (البرزخ)، وهو الحائل بين الــشيئين، كأن بينهما برازاً، أي متسعاً من الأرض، ثم صار كل حائل برزخاً، فالخاء زائدة[٩]". ويقول في الموضوع وضعاً:" الذي قد يكون له قياس ولكن خفي موقعه عليه"[١٠]، ومن أمثلته على ذلك:"(الضَّمعج)، للناقة الضخمة[١١]".

وقد تناول عددٌ من علماء العربية في العصر الحديث نظرية أحمد بن فارس في النحت ووقفوا منها مواقف متباينة، من القبول والرفض[١٢]، ومنهم من حاول أن يضع تفسيراً لظهور بعض هذه الأوزان، ومن هؤلاء، رمضان عبد التواب، الذي طرح عدَّة حلول لظهور بعض الأوزان الرباعية، التي يمكن تلخيصها كما يأتي:

١-الأوزان الناشئة عن المخالفة الصوتية:

أ. بإبـــدال أحد الحرفين المتماثلين في صيغة(فعّل)، حرفاً يغلب عليه أن يكـــون مـــن الحـــروف المائعـــة أو المتوسطة (ل، م، ن،ر)، مثل: (تَقَرْصَع) فأصلها: (تَقصَّع) خولفت فيها الصاد الأولى، وجعلت راءً.

ب. بتكـــرار الحرف الأول من الكلمة، عوضاً عن أحد المتماثلين فيها، مثل: (كفكف) دمعه بدلاً من: (كفَّفَ).

٢- الأوزان الـــرباعية المنبـــثقة عـــن طـــريق إقحـــام الهمـــزة فـــي صيغة:(افعالّ) نتيجة للضرورة الشعرية، والسياقات المختلفة الناشئة عن هذه الصيغة، مثل: (افعألَّ> أفْعَعَلَّ) و(افعألَّ> افْعَهَلَّ) [١٣].

ومـــن هـــؤلاء إسماعيل عمايرة الذي تناول هذا الموضوع بشكل أوسع، وشـــدَّد على ضرورة التركيز على الاشتقاق لتفسير الكثير من الأصول اللغوية الـــصرفية، لكـــون ذلك أولى من التركيز على تفسير هذه الأصول بردها إلى ظاهـــرة الـــنحت[١٤]. ويقر السامرائي بتحفظ على وجود ظاهرة النحت، ولكنه يـــؤكد[١٥]عدم وجود علاقة بين: (افعألّ)المهموزة وبين: (افعالّ) بالألف، مورداً أسباب اعتقاده[١٦].

٢

تنتمـــي اللغـــة العـــربية إلـــى مجموعة اللغات السامية، التي تتميز بنيتها الصوتية- وخاصة العربية منها- بنظام دقيق في توزيع الأصوات اللغوية لها، والـــذي يمكِّن هذه الأصوات من التبادل فيما بينها وفق شروط غاية في الحيوية والمرونة[١٧]. ولا يقتصر الأمر على بنيتها الصوتية، بل وعلى بنيتها الصرفية، التـــي تمتاز بخاصيتها الاشتقاقية، هذه الخاصية التي يحبب الاتكاء عليها لتفسير الكثير من الأوزان الرباعية والخماسية،لأن ظاهرتي التركيب والنحت فيها وإن كانـــتا موجودتين فهما على قلَّة، ولا يجوز الاعتماد عليهما كثيراً لتفسير ظهور تلك الأوزان، كما قنِع بذلك أحمد بن فارس.

٣

إن البحث في هذه الأوزان عمل طويل وشاق فهي كثيرة[١٨]، والطرق التي سلكتها تنبع من مصادر متعددة ومتباينة[١٩]، والفترة التي استغرقتها للوصول إلى مـــا وصلت إليه فترة طويلة نسبياً؛ واعتماداً على ذلك، سيقوم الباحث بالتركيز على صيغة:(افعالّ) القياسية والسياقات المنبثقة عنها في معجم: " مقاييس اللغة " لأحمد بن فارس، وسيوازن ذلك مع المادة اللغوية المعروضة في معجم: (لسان العـــرب) بـــشكل خاص، وأية مصادر أخرى تمت لهذا الموضوع بصلة بشكل عام، سواء أكان ذلك في العربية أم في اللغات السامية الأخرى.

٤

لقد تنبَّه علماء اللغة العربية القدماء إلى الصلة القائمة بين: (افعالّ) و(افعألّ) وأشـــاروا إلى أن الهمزة قد أقحمت في صيغة:(افعالّ) هرباً من التقاء الساكنين، وحكـــى أبو زيد في كتاب: (الهمز):" (دأبة) و(شأبة)؛ قال أبو الفتح:" وعلى هذه اللغة قول كثيِّر:

إذا ما العوالي بالعبيط احمأرت

وقول آخر:وللأرض أما سودها فتجلت بياضاً وأما بيضها فأدهأمت[٢٠]

وقـــد عدَّ القدماء أصوات المدّ أصواتاً ساكنة، ويؤكد ذلك ما قاله ابن جني عـــن سبب قلب الألفات همزة في: (افعالّ)، قال: " فلأنهن – كما ترى– سواكن وأول المثلـــين مـــع التـــشديد ساكن، فيجفوا عليهم أن يلتقي الساكنان حشواً في كلامهـــم، فحينـــئذ ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الـــصوت بها عوضاً مما كان يجب لالتقاء الساكنين: من تحريكها إذا لم يجدوا علـــيها تطـــرقاً ولا بالاستراحة إليها تعلقاً[٢١]. ودفعهم هذا الاعتقاد إلى اعتبار صـــيغة (افعـــالّ) قياسيَّة، وصيغة: (افعألّ) ليست قياسية، والسبب في ذلك قاله

ابن عصفور:" وقد كاد يتسع هذا عندهم، إلا أنَّه مع ذلك لم يكثر كثرة توجب القياس.قال أبو العباس: "قلت لأبي عثمان: أتقيس على هذا النحو؟ قال:لا، ولا أقبله بل ينقاس ذلك عندي في ضرورة الشعر[٢٢]. فهذه الصيغة ليست قياسيَّة لديهم؛ لأنها ليست كثيرة، وأنها لا تقبل إلا في ضرورة الشعر.

ويشارك رمضان عبد التواب القدماء في مسألة الضرورة الشعرية، ويختلف معهم في أن السبب لا يعود لمنع التقاء الساكنين، وإنما الميل للتخلص من المقطع الطويل المغلق[٢٣] (ص ح ح ص)[٢٤]، وتشاركه هذه الدراسة بذلك، ولكنها تختلف معهم في أن المسألة لا تقتصر على الضرورة الشعرية؛ بل هي أوسع من ذلك، فهذا أبو حيان يقول في البحر المحيط:" وقرأ السختياني (ولا الضألين) بإبدال الألف همزة فراراً من التقاء الساكنين"[٢٥].

إن دراسة البنية المقطعية لصيغة: (افعالّ) تشير إلى أن النسيج المقطعي ...ا، يتألف من: (ص ح ص/ ص ح ح ص١/ص٢ح)، أي من مقطع متوسط ...ق، ومقطع طويل مغلق ومن مقطع قصير[٢٦]، إضافة إلى أن الحرف ص١ (الساكن) يماثل الحرف ص٢(المتحرك).

ويتضمن المقطع الطويل المغلق حركة الفتح الطويلة(وهي ليست حرفاً ساكناً كما أشار القدماء)[٢٧]، وحكم هذه الفتحة الطويلة في هذا المقطع كما يقرر علماء التجويد مدّ لازم مقداره ست حركات وهو أقصى حالات المد طولاً، ودخول الهمزة معناه: انقسام المقطع الطويل(ص ح ح ص) المغلق إلى مقطعين:(ص ح/ص ح ص)، وهو ما يمثل الانتقال من: (افعالّ) إلى: (افعألّ) التي يتألف نسيجها المقطعي من: (إف/عَ/ألْ/لَ=ص ح ص/ص ح/ ص ح ص ١/ص٢ح).

٥

لقد حافظت همزة (افعألّ) على وجودها في بعض الأحيان، إلا أنها ونتيجة لظاهــرة الإبدال[٢٨] في الأصوات، تحولت إلى عين (افععلّ) في بعض الأحيان، وإلى هاء (افعهلّ) في أحيان أخرى، وفي حالات نادرة تحولت العين الثانية في (افععلّ) إلى غين (افعغلّ).

فرضيات الدراسة: تنطلق هذه الدراسة من الفرضيات الآتية:

١. إشــارة القدماء إلى أن صيغة: (افعألّ) متطورة عن صيغة:(افعالّ) عن طريق إقحام الهمزة.
٢. إشارة رمضان عبد التواب ومن بعده إسماعيل عمايرة إلى أن همزة (افعألّ) قد استمرت في بعض الحالات، وأنها قد تحولت إلى عين في بعض الأوزان وإلى هاء في أوزان أُخرى.
٣. أن اللغــة العــربية لغة اشتقاقية بطبيعتها، ومسألة النحت وإن كانت موجــودة فهــي علــى قلّة ولا يجوز الاتكاء عليها لتفسير الأوزان الرباعية والخماسية فيها.
٤. إلى جانب الطبيعة الاشتقاقية للعربية، تعود معظم أوزانها إلى جذور ثلاثــية التــركيب، ويمــثل الاشــتقاق الأصغر(العام) الأساس لهذه الاشتقاقات.
٥. الطبــيعة المــرنة للعــربية في تبادل الأصوات، وأثر ذلك في أبنية الكلمات والمعاني.
٦. تفترض هذه الدراسة أن إقحام الهمزة في صيغة: (افعالّ) لم يكن فقط للــضرورة الــشعرية كما أشار القدماء ووافقهم رمضان عبد التواب وغيره على ذلك.
٧. تفتــرض هــذه الدراسة أن إقحام الهمزة لم يكن للتخلص من التقاء الــساكنين، وإنمــا للــتخلص مــن المقطــع الطــويل المغلــق في صيغة(افعالّ).

منهج الدراسة:

أولاً: يتمثل منهج هذه الدراسة في تطبيق صلاحية الفرضيات السابقة على الأوزان، وسيطبق ذلك على معجم: (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس، وسبب اختيار هذا المعجم، أن صاحبه من خلال بحثه في نظرية النحت، قد أفرد أبواباً خاصة للأوزان الرباعية والخماسية.

ثانياً: موازنة المعلومات الواردة في معجم مقاييس اللغة مع تلك الواردة في معجم: (لسان العرب) لابن منظور، وسبب اختيار هذا المعجم يعود إلى ما يأتي:

١. بعد المسافة الزمنية بين المعجمين.
٢. تضمن هذا المعجم معلومات وافرة حول الكثير من هذه الأوزان.
٣. تضمن هذه المعجم العديد من آراء العلماء حول العديد من القضايا ذات العلاقة بهذا الموضوع.

ثالثاً: من المؤكد أن الدراسة لن تكتفي بما ورد في المعجمين، ولكن ستعمل على الإفادة من أية معلومات توفرها المصادر الأخرى قديمة كانت أم حديثة.

رابعاً: سيعتمد هذا البحث على الظواهر الصوتية التي لعبت أدواراً متعددة في تشكيل هذه الأوزان، وقد تنبه العلماء إلى بعضها، ولم يتنبهوا إلى بعضها الآخر، فخفيت عليهم بعض المعاني أحيانا، وقادتهم إلى نتائج غير دقيقة.

خامساً: من المفيد هنا تأكيد أن الباحث سعى في منهج هذا البحث- حين يتطلب الأمر ذلك- إلى نقل كم من المعلومات، خاصة من معجم لسان العرب، فطبيعة البحث تتطلب ذلك لتسهيل عقد المفاضلة، والموازنة بين الكلمات، والتحولات التي طرأت عليها، لتقديم البراهين الكافية، التي من شأنها أن تقدم العون المفيد لفرضيات هذا البحث ونتائجه.

الدراسة

أولاً: ما جاء في مقاييس اللغة على صيغة:(افعألَّ<افعالَّ):

بينت مقدمة الدراسة أن الهمزة المقحمة في صيغة (افعالَّ)- أي(افعألّ)- جـــاءت للتخلص من المقطع الطويل المغلق(ص ح ح ص)، وتضمن معجم مقاييس اللغة طائفة من هذه الأوزان، هي:

جذأر:

مقايــيس(١/٥١١):" ومن ذلك قولهم للقاعد (مُجْذَئِر) فهذا من جذا: إذا قعـــد على أطراف قدميه. ومن الذئر وهو الغضبان الناشز. فالكلمة منحوتة من كلمتين".

اللـــسان:(٤/١٢٣-١٢٤):" (جَـــذَرَ) الـــشيء يَجـــذِره جَـــذْراً: قطعه واستأصـــله. و(جَـــذْرُ) كل شيء أصله. وناقة (مُجْذِرَة): قصيرة جداً. وفيه (١٢٤/٤): " (المجذئِر) من النبات: الذي نَبَتَ ولم يَطُل".

التعليق: عدَّ ابن فارس الكلمة منحوتة. ولم يشر اللسان إلى وجود علاقة بين (جَذَرَ) و(جَذأر). ولكن العلاقة بين معاني: (جَذَرَ) و(اجذأرَّ) واضحة.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

(جَذَرَ) > (اجْذارَّ) > (اجْذَأرَّ)> جذأر.

وتـــوهم بعـــضهم أن الهمـــزة أصـــلية فـــي: (جَـــذْأر)[٢٩] ووزنوها علــى:(فعلل)، واعتقد ابن فارس أنها منحوتة، والصواب أن الكلمة مشتقة، وأن الهمزة زائدة، فتوزن الكلمة على: (فعأل).

أزرأمّ < زرأم:

مقايـــيس (٣/٥٤): " (ازْرَأمّ) الـــرجل، فهو(مزرئم): إذا غضب. وهو من: (زَرِم): إذا انقطع، كذلك إذا غضب تغير خُلقه وانقطع عما عهد منه".

التعلـــيق: الهمـــزة كمـــا أشار ابن فارس زائدة. والعلاقة بين الكلمتين واضحة.

التحلـــيل: الـــتطور الـــصرفي التاريخـــي لهـــذه الكلمـــة، هـــو: (زَرِمَ) > (ازْرامَّ)> ازرَأَمَّ.

ولقـــد توهم بعض العلماء أن الهمزة في (ازرأمّ) أَصلية فوزنوها على (افعلـــلّ)، والـــصواب أن الهمـــزة مقحمة على صيغة (افعالّ)، فهي زائدة، وتوزن على: (افعألّ).

<u>اصمألّ:</u>

مقايـــيس (٣/٣٦١): " (المُـــصمئلّة): الداهـــيَة، والأصـــل (صَـــمَلَ)". وفـــيه:(٣/٣١١):(صَـــمَلَ)، الـــصاد والـــلام والميم أصل واحد يدل على شدة وصلابة. يقال:(صَمَلَ) الشيء صمولاً: إذ صلُب واشتدّ".

والتعلـــيق: الهمزة في هذه الكلمة، وكما أشار ابن فارس زائدة. والعلاقة بين:(صَمَلَ) (ومُصْمَئِل) واضحة .

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

(صَمَلَ) > (اصمالّ) > اصمألّ.

ولعدم توافر صيغة:(اصمالّ) توهم بعض العلماء أن الهمزة أصلية في: (المـــصمئلة)، فوزنـــوها على (فعلل). والصواب أن الهمزة مقحمة في هذه الكلمـــة وهـــي مـــنحدرة من صيغة: (افعالّ)، فالهمزة كما أشار ابن فارس زائدة.

اضفأدّ:

مقاييس(٣/٤٠٢):"(اضفأدّ) إذا انتفخ من الغضب، اضفئداداً". وهو من الموضوع وضعاً.

اللسان(٣/٢٦٤):"(ضَفَدَ) ضَفَدتُه أضْفِده ضفداً: ضربته ببطن كفك، وامرأة (ضَفَنْدَد): ضخمة الخاصرة مُسترخية. ورجل (ضَفَنْدَد): كثير اللحم ثقيل مع حمق؛ و(ضَفِدَ) واضفَأَدَّ: صار كذلك، وجعل ابن جني(اضفأدّ) رباعياً.

التعليق :عدّ ابن فارس هذه الكلمة من الباب الثالث، أي من الموضوع وضعاً. وتتفق الدراسة مع عبد التواب في أن الهمزة زائدة في هذا الوزن، وتعود الكلمة إلى الجذر: (ضَفِدَ) [٣٠].

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لها، هو:

(ضَفِدَ)> (اضْفادَّ) >(اضْفَأَدَّ).

ولعدم وجود صيغة (اضفادّ) في الاستخدام اللغوي، توهم العلماء ومنهم ابن جني[٣١] أن الهمزة أصلية في هذه الكلمة فوزنوها على(افعللَّ)، والصواب أن الهمزة فيها زائدة، وتوزن الكلمة على:(افعألَّ).

اطمأن:

مقاييس (٣/٤٢٢): "(طمن) الطاء والميم والنون أصيل بزيادة همزة.يقال اطمأن المكان يطمئن طمأنينة، و(طامنت) منه: سكنت".

التعليق: عدَّ ابن فارس -وبصواب -الهمزة زائدة في هذا الوزن، وأشار الأزهري إلى ذلك أيضاً[٣٢]. وذهب سيبويه إلى أن اطمأن مقلوب، وأن أصله من (طأمن)[٣٣].

وعلى الرغم من أن الاستعمال الثلاثي لهذا الوزن غير موجود في العربية إلا أن ذلك لا يمنع من استعماله في مرحلة من مراحلها المبكرة، وأن الفعل:" طمأن" بُني بناءً ثانوياً حديثاً في اللغة العربية وكذلك مقلوبه:" طأمن". إذ إن الاستعمال الثلاثي لهذا الفعل موجود في: السريانية: (طْمَنْ) (٣٤)، وكذلك في العبريَّة: (طامن) (٣٥): بمعنى سَكَنَ، وخفي واستقر(٣٦).

ثانياً: ما جاء في مقاييس اللغة على صيغة: (افعلّ) عن طريق إبدال همزة افعألّ إلى عين.

إن تلمس الأصل في بعض الكلمات يتم بيسر وسهولة، أما في كلمات أخرى فهو يحتاج إلى نوع من التلطف والجهد للمس هذا الأصل، ومن ذلك تحول الهمزة في : (افعألّ) إلى عين في: (افععلّ). وقد أدرك علماء العربية القدماء حدوث التبادل بين الهمزة والعين، وأشاروا إليه في العديد من الأمثلة، فذكر صاحب اللسان: قال ذو الرمة:

أعَن تَرَسَّمت من خَرقاءَ منزلةً ماء الصبابة من عينيك مسجوم.

أراد:أأن تَرَسَّمتَ، وقال جران العَود:

فما أَبَنَّ حتى قُلْنَ ياليتَ عنَّنا تراب وعَنَّ الأرض بالناس تُخْسَفُ

أراد: أننا، وأنّ.

وينقل عن الفراء نسبتها إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم:"يقولون:" أشهد عنَّك رسول الله"، وفي حديث قَيلة:" تَحسب عني نائمة، أي أني نائمة"(٣٧). وما زالت هذه الظاهرة منتشرة في اللهجات العربية الحديثة، وتسمع في أنحاء مختلفة من العالم العربي، ففي صعيد مصر، وبعض المناطق في غور الأردن، وبعض مناطق الضفة الغربية من الأردن، يقولون: " لع بدلاً من لأ"، وسُعال بدلاً من سؤال(٣٨).

ولم تقتصر هذه الظاهرة على العربية وحدها، بل شاركها في ذلك العديد من اللغات السامية الأخرى، ففي الكنعانية، (ن أ م) تتساوى مع (ن ع م) بمعنى نعَم[٣٩]. وفي العبرية: (جأل) و(جعل) بمعنى دنس ولوث[٤٠]. وتتشابه كلمة (أروس) العبرية مع كلمة (عروس) العربية[٤١]. وتعادل كلمة: (قَرْءا) السريانية كلمة (قَرْعْ) العربية وهي نوع من اليقطين، وكذلك كلمة (أمْبرا) تعادل كلمة (عنبر)[٤٢]، وفي الحبشية تتقابل كلمة: (ع و ب ا ل) مع كلمة: (أ و ب ا ل) بمعنى تلة[٤٣].

صوتياً يقصد بهذا الإبدال التسهيل في نطق الهمزة، وزيادة الوضوح السمعي، فالهمزة صوت فموي، وشديد، وليس بالمهموس ولا بالمجهور[٤٤]، ويخرج من الحنجرة، وعملية نطق هذا الصوت تكون عملية شاقة، إذ تقفل الفتحة التي بين الوترين الصوتيين- هي فتحة المزمار- إقفالاً تاماً، مما يؤدي إلى احتباس الهواء الصادر من الرئتين، من خلال القصبة الهوائية، فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج هذان الوتران، فيخرج الهواء عبر المزمار بشكل مفاجئ، محدثاً صوتاً انفجارياً[٤٥].

أما صوت العين فهو صوت، حلقي، واحتكاكي، ومجهور. ويعد من أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكاً، ولعل هذا هو السبب الذي دفع بعلماء العربية القدماء إلى عدم ذكره مع الأصوات الرخوة وعدُّوه من الأصوات المتوسطة(اللام، والميم، والنون، والراء)[٤٦]. ويتشابه الصوت مع الحركات في صفتين مميزتين، هما، الوضوح السمعي، والجهر[٤٧]. ويقول الأزهري عن هذا الصوت: " أما العين فأنصع الحروف جرساً وألذها إسماعا"[٤٨]. وقد تضمن معجم مقاييس اللغة العديد من الأمثلة التي تبين انتقال همزة: (افعألّ) إلى عين (افععلّ).

جَلْعَد:

مقايـــيس (١/٥٠٩): " ومن ذلك قولهم للصلب الشديد(جَلْعَد) فالعين زائدة، وهو من الجلد، وممكن أن يكون منحوتاً من الجَلَعِ أيضاً، وهو البُروز؛ لأنه إذا كان مكاناً صُلباً فهو بارز؛ لقلَّة النبات به"[٤٩].

التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة من الباب الثاني، واعتبر أن العين زائدة، ثـــم وضع احتمالاً بأن تكون الكلمة منحوتة من: (الجلد) و(الجلع). التشابه في المعنى بين(جلد) و(جلعد) واضح.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

(جَلَدَ)> (اجلادَّ)> (اجلأدَّ).

ولعـــدم وجود كلمة(اجلادَّ)، ظن بعض العلماء أن العين أصلية في (جلعد) فوزنوها على(فعلل). والصواب أن العين مبدلة من الهمزة المقحمة على صيغة (افعالّ)، وهي زائدة، فتوزن الكلمة على (فععل).

جمعر:

مقاييس (١/٥٠٧): " ومن ذلك قولهم للأرض الغليظة(جَمْعَرَة). فهذا من الجَمْع ومن الجَمْر. غير أن ابن فارس (١/٥٠٨) يعود ثانية إلى هذه المادة فيذكر: " ومنها قولهم للأرض ذات الحجارة:(جَمْعَرَة). وهذا من الجَمَرات، وقد قلنا إن أَصلها من تجمُّع الحجارة ، ومن (المَعِر) وهو الأرض، لا نبات به".

التعلـــيق: عد ابن فارس(جَمعَر) من باب النحت، وكان متردداً في الكلمة، فأعادهـــا مرَّة إلى: (الجَمْع) و(الجمر)، ومرَّة إلى: (الجَمْر) و(المَعِر). ويؤكد السامرائي أن هذه المادة منحوتة، ويشير إلى كلمة (جعمر) العامية وإلى وجود قلب مكاني في المادة العامية[٥٠].

الكلمـــة هــنا ليست منحوتة، وإنما مشتقة من الجذر: (جَمَرَ)، والعين فيها زائدة. والتشابه في المعاني بين الجذر: (جَمَرَ) و(جَمعَرَ) واضح، وهو الجمع، والتَّجمُّع(٥١).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة هو:

جَمَرَ> (اجمارَّ) > (اجمأرَّ)> (اجمَعَرَّ).

وتوهم العلماء أن مادة(جمعر) رباعية وأعادوها للوزن(فعلل)، ولكن الكلمة مـــشتقة مـــن الجـــذر(جَمَـــرَ)، والعـــين فيها متحولة عن الهمزة المقحمة في صـــيغة: (افعـــالَّ)، فـــوزن الكلمـــة، هو: (فععل)(وانظر لاحقاً، كلمة جمهر، ص١٣٩ من هذا البحث، إذ يتبين أن: جمهر مشتقة من الجذر جمر أيضاً).

ادرعفَّت:

مقايـــيس (٢):" ومن هذا الباب(ادرعفَّت) الإبل، إذا مضت على وجوهها. ويقـــال (اذرَعفَّت) بالذال، والكلمتان صحيحتان: فأما الدال فمن الاندراع، وأما الذال فمن الذريع، والفاء فيهما جميعاً زائدة".

التعلـــيق: عد ابن فارس هذه الكلمة من المزيد، والحرف الزائد هو الفاء، وأعـــاد(اذْرَعـــفَّ)إلـــى: (الذريع)، وأعاد (ادرَعفَّ) إلى: (الاندراع)، وساوى صاحب اللسان بين الكلمتين:"(ادرَعفَّت الإبلُ واذرَعفَّت): مضت على وجوهها، وقيل المُدْرَعِفُّ السريع، فلم يُخَصَّ به شيء"(٥٢). ولكن التمعن في المعاني بين: (درف، وذرف، وادرعف، واذرعف) يوضح أن لا وجود للجذر:(درف) في اللسان، وأن المعاني المرتبطة بالجذر(ذرف) "الذَّرفُ: صبُّ الدَّمع. و(مَذارِفُ) العـــين: مَـــدَامِعها"(٥٣) لا تشير إلى وجود علاقة بينه وبين الكلمتين: (ادرَعفَّت) و(اذرَعَفَّـــت)(٥٤)، وعـــند النظر في معاني الجذر: (زَرَفَ): "زرَفَ إليه يَزْرِفُ زُرُوفـــاً: دنا. ناقة (زَروف) و(مِزرافٌ): سريعة. ومَشَت الناقة زَريفاً أي على

هنَـتها، وزرَفـت الـناقة: أي أسرعت"[55]، يؤكد وجود علاقة بينه وبين تلك المعانـي الموجـودة في (ادرَعَفّ) أو(اذرَعَفّ)، وهذا يدفع للاعتقاد بأن الذال مبدلة من الزاي والدال من الذال [56]، والعين زائدة.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي للكلمة:

(زَرَف)> (ازرافّ)>(اذرافّ)>(اذرَأفّ).

ولعـدم وجـود:(اذرأفّ) تـوهم العلمـاء أن الكلمة مشتقة(ذرعف، أو درعـف) فوزنـوها على: (فعلل). ولم يصب ابن فارس في موقع الزيادة، فالعين هي الزائدة وليس الفاء. والذال مبدلة من الزاي[57]. فالكلمة مشتقة من الجذر(زرف) وتوزن على (فععل).

صقعب:

مقايـيس (٣/٣٥٢):"(الـصقْعب): الطَّـويلُ من الرجال، فهذا منحوت من كلمتين من صَقَبَ وصَعَبَ. أما الصَّقْب فالطَّويل والصَّعْب من الصعوبة".

:(صقب، وصعب) التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة من باب النحت، وأعادها إلـى الجذرين). وساوى صاحب اللسان بين(صَقْعَب) و(سقعب):" (الصقعب): الطـويل من الرجال، بالصاد والسين، وهو في الصحاح: الطويل مطلقاً"، وعد ابن الأعرابي، وبصواب، السين هي الأصل "وصُقوبُ الإبل: أرجلها، لغة في سُقوبها؛ قال: وأرى ذلك لمكان القاف، وضعوا مكان السين صاداً، لأنها أفشى مـن الـسين، وهي موافقة للقاف في الإطباق[58]. الكلمة ليست منحوتة، وإنما مشتقة من الجذر: (سَقَبَ) والصاد مبدلة من السين، والعين فيها زائدة، والتشابه في المعنى بين (سَقَبَ) و(سقعب، وصقعب) واضح.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سقب< صقَبَ< (اصقابَّ) < (اصقأبَّ= اسقأبَّ)< اصقعبَّ= اسقعبَّ.

ومــن مــادة (اسقعبَّ= اصقعبَّ) توهم بعض العلماء وجود مادة(سقعب= صــقعب) وعلــى وزن (فعلل)، والصواب هو أن الصاد مبدلة من السين، وأن العــين فــي هذه الكلمة مبدلة من الهمزة المقحمة في صيغة(افعالّ)، وأن المادة مشتقة من صيغة(افعلّ< افعألّ< افعالّ) ووزن (سقعب=صقعب) هو:(فععل).

صقعل:

مقايــيس(٣/٣٥٢):"(الصَّقَعل): وهو التمر اليابس وهذا من الصَّقل، والعين فيه زائدة وذلك أنه إذا يبس صار كالشيء الصَّقيل"[٥٩].

التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة مما دخلته زيادة، وأشار بصواب إلى أن العــين زائــدة. والأصل بالصاد كما أشار إلى ذلك الأزهري[٦٠]. والتشابه في المعنى بين:(صقب) و(صقعب) واضح.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

(صقَلَ)<(اصقالّ)<(اصقألّ)<(اصقعلّ)< صقعل.

ومــن مادة صقعل ظن بعض العلماء أن العين في أصل الكلمة، فوزنوها على: (فعلل)، والصواب أن العين زائدة، وهي متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة: (افعالّ)، فتوزن الكلمة على: (فععل).

اصمَعَدَّ:

مقاييس(٣/٣٥٠):" (اصمعدّ) الرجل: ذهب في الأرض وهذا مما زيدت فيه الميم وإنما هو من أصعد في الأرض".

التعليق:

أولاً:عد ابن فارس هذه الكلمة من الباب الثاني أي مما دخلته زيادة، وأشار هو وغيره إلى أن الزيادة في حرف الميم(٦١).

ثانياً: أشار صاحب اللسان، إلى وجود علاقة بين (اصمعدّ) و(اصمغدّ): " رجل(صِمعَد) و(صِمغَد): صلب، والغين لغة، و(المصمَعدّ): الذاهب". و(اصْمَعَدَّ) في الأرض: ذهب فيها وأمعن.و(المُصمَعِدّ): الوارم إما من شحم وإما من مرض. وفي الحديث: أصبح وقد اصمَعَدَّت قدماه: أي انتفختا وورمتا"(٦٢).

ثالثاً: أشار صاحب اللسان إلى وجود علاقة بين(اسمعدّ) و(اسمغدّ): (اسْمَعَدّ)الرجل و(اسْمَغَدّ): إذا امتلأ غضباً. و(السِّمغدّ): الطويل، و(المُسمَغِد): المنتفخ، وقيل الوارم، والشديد القيض حتى تنتفخ الأنامل. وفي الحديث: أنه صلى حتى اسمَغَدَّت رجلاه: أي تورَّمتا وانتفختا"(٦٣).

رابعاً: التحليل السابق يؤكد وجود علاقة بين(اسمعدّ، واسمغد) و(اصمعدّ واصمغدّ).

خامساً: يشير اللسان إلى وجود علاقة بين:(سمد)و(اسمادّ) و(اسمأدّ):"و(المُسْمَئد): الوارم.و(اسمأدّ) بالهمز، اسمِئْداداً:ورِم؛ وقيل ورِمَ غضباً. وفي حديث بعضهم:(اسْمأدَّت) أي انتفخت وورمَت. وكل شيء هلك أو ذهب، فقد (اسمدّ) و(اسمأدّ)، و(اسمادّ) من الغضب كذلك"(٦٤).

سادساً: الدراسة التحليلية السابقة، تفضي إلى وجود علاقة بين: (سمد) و(اسمادّ) و(اسمأدّ) و(اسمعدّ، واسمغدّ) و(اصمعدّ واصمغدّ). ويستنتج من ذلك، أن الصاد مبدلة من السين، والصاد هي النظير المفخم للسين، والإبدال بينهما

أمر معروف في اللغة العربية واللغات السامية(٦٥)، والغين مبدلة من العين(حول الإبدال بين العين والغين، انظر لاحقاً ص١٣٦، ١٣٧من هذا البحث).

التحليل: التطور التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَمَدَ> اسْمادَّ> اسْمَأدَّ> اسْمَعَدَّ= اسْمَغَدَّ> اصمَعَدَّ= اصْمَغَدَّ.

لقد توهم العلماء بزيادة الميم في هذا الوزن، فأعادوا الكلمة إلى صيغة (فمعل)، والصواب أن العين متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة: (افعالّ > افعــألّ) ووزن الكلمة هو(فععل)، والصاد مبدلة من السين، وهذا المثال يتضمن الحلقات التاريخية المختلفة لتطور الجذر(سمد)، ويؤكد صورة جديدة لتحولات همزة: (افعألّ) وهي تحول العين إلى غين (انظر لاحقاً:ص١٣٦، ١٣٧من هذا البحث).

<u>صمعر:</u>

مقاييس (٣٥١/٣): "(الصّمعرة)، وهو ما غلُظ من الأرض. و(الصَّمعرية) مــن الحيات الخبيثة. و(الصَّمعريُّ): اللئيم. وقياس هؤلاء الكلمات واحد، وهي منحوتة من صَمَرَ ومَعَرَ. أمَّا صَمَر فاشتد، وأمَّا مَعَر فقل نبته وخيره.

التعلــيق: أولاً:عــد ابن فارس هذه الكلمة منحوتة، وأعادها إلى الجذرين: (صَمَرَ) و(مَعَرَ). وعد صاحب اللسان هذه الكلمة رباعية(٦٦).

ثانياً: هناك صعوبة في إيجاد علاقة بين الجذر:(صَمَرَ)و(اصمعرّ)، "(صَمَرَ) يَصْمُرُ صَمْراً وصُموراً:بَخِلَ. ورَجُل(صَمِير): يابس اللحم على العظام" (٦٧).

ثالثاً: يشير صاحب اللسان إلى وجود علاقة بين(صَبَرَ) و(صَمَرَ): (الصُّمر): الصبر، أخذ الشيء بأصماره: أي بأصباره، وقيل هو على البدل. وملأ الكأس إلى أصمارها: أي إلى أعاليها كأصبارها، واحدها صُمر وصُبر"(٦٨).

رابعـــاً: إن الـــبحث في الجذر (صَبَر): (٤/٤٤١):" و(الصَّبُرُ): الأرض ذات الحصباء، وليست بغليظة، ومنه قيل للحرة: أم صَبَّار.ابن سيدة: وأُمُّ صَبَّار، بتشديد الباء، الحرَّة، مشتق من (الصَّبُر) التي هي: الأرض ذات الحصباء، و(الصُبرَّة) من الحجـــارة: مـــا اشـــتد وغلظ، وجمعها (الصَّبار) [٦٩]..."، يؤكد العلاقة بينه وبين كلمة: (صمعر) [٧٠].

خامـــساً: الإبـــدال بين الباء والميم أمر معروف في اللغة العربية واللغات السامية[٧١].

التحليل: التطور التاريخي لهذه الكلمة، هو.

صَبَرَ > صَمَرَ>(اصْمارَّ)>(اصْمأرَّ)>اصْمَعرَّ.

ولعـــدم وجود كلمة (اصمأرّ)، توهم بعض العلماء أن العين في: (صَمْعَر) أصلية وبنوها على(فعلل)، والصواب أن العين هنا متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة(افعالَّ>افعألَّ)، ووزن الكلمة هو:(فععل> افععلَّ).

ثالثاً: ما جاء في مقاييس اللغة على وزن (افعغلَّ).

الانتقال من العين إلى الغين.

لقـــد أشار بعض علماء العربية المحدثين إلى أن الهمزة المقحمة في صيغة (افعـــالّ) قـــد تـــتحول إلى عين كما في(افععلّ)، وقد تتحول إلى هاء كما في (افعهـــلّ). ولكن لم يتنبهوا إلى أن العين الثانية في (افععلّ) قد تتحول إلى غين فـــي بعـــض الأحيان أي(افعغلّ). وتتبع هذه الصيغة في معجمي مقاييس اللغة ولـــسان العـــرب قد أفضى إلى ترسيخ حدوث هذا الإبدال. ولقد تحدث علماء العـــربية عـــن هـــذا النوع من الإبدال، ومن ذلك: غَلَثَ طعامه وعَلَثه؛ سمعت وغاهم ووعاهم[٧٢].

ولكــن مــا يلفت النظر في اللغات السامية أن التحول الذي حدث فيها بين هذين الصوتين يشير إلى اتجاه مطلق في التحول من الغين إلى العين، كما في: الكنعانــية، والآرامية ولهجاتها، والعبرية، والمؤابية، والأثيوبية، والجعزية[٧٣]، بيــنما يشير تاريخ العربية إلى أنها حافظت وما تزال على هذين الصوتين، فلم تــتخل عن أحدهما لحساب الآخر. والمرجح فيما سيدرس من أمثلة أن الانتقال كان من العين إلى الغين وليس العكس كما حدث في اللغات السامية الأخرى.

والدراسة الصوتية للبنية التركيبية لأصوات الهمزة والعين والغين تشير إلى أن الغين صوت احتكاكي، ومجهور، ويتم نطقه برفع مؤخرة اللسان حتى يتصل بالطــبق(أقصى الحنك= الحنك الصلب)اتصالاً لا يسمح للهواء بالمرور، فيحتك باللسان والطبق في نقطة تلاقيهما، وفي الوقت نفسه يرتفع الطبق، ليسد المجرى الأنفي، وتتذبذب الأوتار الصوتية أثناء النطق بهذا الصوت[٧٤]، وهو يتشابه مع صــوت العــين مــن حــيث الاحتكاك، والجهر، ولكنه يمثل انتقالاً من منطقة الحلــق(صوت العين) إلى الأعلى أي أقصى الحنك[٧٥]. وربما تكون هذه الصفة الوحــيدة التــي تــسوغ هذا الانتقال. وقد يتضح الأمر أكثر عند دراسة الأمثلة المتعلقة بهذا الموضوع.

<u>المُسمغد:</u>

مقاييس(١٦٢/٣): "(المُسمغِدّ): "الوارِم".

التعلــيق: عــد ابن فارس هذه الكلمة من الكلمات الموضوعة وضعاً.وذكر صــاحب اللسان[٧٦]:"(اسمعدّ) الرجل و(اسمغد): إذا امتلأ من الغضب"، ولم يشر إلــى علاقة بين الجذر:(سَمَدَ) و(اسمعدّ)، ولم يشر أحد إلى العلاقة بينهما وبين (اسمأدّ)(انظر سابقاً، ص١٣٤ من هذا البحث).

التحليل: التطور الصرفي لهذا الوزن هو:

سَـمَدَ> اسـمادَّ> اسـمَأَدَّ >اسمعدَّ> اسْمَغَدَّ (انظر سابقاً، ص١٣٤، ولاحقاً ص ٢٠من هذا البحث).

ولقـد تـوهم العلمـاء أن العـين أصـلية فـي هذا الوزن، فأعادوها إلى الـوزن(فعلل)، وواقع الحال يشير إلى أن الغين هنا متحولة عن العين المتحولة من همزة(افعألّ)، وأن وزن الكلمة هو(فعغل).

رابعاً: ما جاء في مقاييس اللغة على صيغة(افعهلّ).

إن التـبادل بين الهمزة والهاء أمر معروف في العربية، فيقال:"أرقت الماء وهـرقته، وأرحـت الدَّابة وهرحتها، وأجيج النَّار وهجيجها"[٧٧]. ولم يقتصر هذا الإبـدال علـى العـربية وحدها بل شاطرها في ذلك العديد من اللغات السامية الأخـرى، ففـي المؤابية(أ ر أ ن ي=هـ ر أ ن ي) بمعنى أراني[٧٨]، وفي اللغة العبـرية: (هـَ جْ جَ أ د أ ة) تساوي (أَ جْ جَ أ د هـ) بمعنى هفعل العبرية مع صـيغة افعـل العـربية[٧٩]. وفي السبئية (هـَ ذْ بَ ح) بمعنى أُسطورة دينية، خـرافة، حـديث؛ و(نأق) تساوي (نهق) بمعنى ناح، وصرخ. وتتساوى صيغة أذبـح[٨٠]، وفـي اللحيانـيَّة، تتـساوى صـيغة (هفعـل) مـع (أفعل)، ومن ذلـك:(أودق)=(هـودق) بمعنـى قدم شيء[٨١]، وفي السريانية، يقال:(هَيمِن بِه) بمعنى آمن به[٨٢].

إن حـدوث الإبـدال بـين هذين الصوتين- أي الهمزة والهاء-أمر ممكن الحـدوث، فالهمـزة مـن الأصـوات الشاقة. أما الهاء فهي صوت حنجري، واحتكاكـي، ومهمـوس. ويكون الفم أثناء النطق بها في الوضع الصالح لنطق الحركة(كالفتحة مثلاً)، فيمر الهواء من خلال الانفراج الواسع الناتج عن انفراج الوترين الصوتيين في الحنجرة، فيحدث نوع من الاحتكاك، ولا تتذبذب الأوتار

الصوتية أثناء النطق به[٨٣]. فالصوتان من حيث الموقع حنجريان، والانتقال من الهمـــزة إلـــى الهاء، يمثل الانتقال من الشدة إلى الرخاوة، ومن انحباس مجرى الهواء وانفراجه فجأة، إلى انفراجه في الهاء، ومن الانتقال من حالة عدم الهمس وعدم الجهر إلى حالة الهمس؛ لأجل التسهيل في نطق الهمزة.

يبقى القول إن علماء العربية القدماء قد أدركوا حدوث هذا الإبدال من خلال العديد من الأمثلة، ولكنهم لم يتنبهوا إلى انتقال همزة: (افعألّ) إلى الهاء لتتشكل صـــيغة(افعهلّ). وتضمن معجم مقاييس اللغة العديد من الأمثلة على حدوث هذه الظاهرة، وذلك مثل:

جَرهَد:

مقايـــيس(٥٠٨/١):" ومن ذلك قولهم للذاهب على وجهه(مُجَرهِد). فهذا من كلمتين: من جَرَدَ أي انجرد فَمَرَّ، ومن جَهَد نفسه في مُروره.

التعلـــيق: عـــد ابـــن فـــارس هـــذه الكلمـــة مـــن باب النحت، وردَّها إلى الجـــذرين:(جَـــرَدَ) و(جَهَـــدَ). ولكـــن التـــشابه في المعاني واضح بين(جَرَدَ) و(الجرهد):"(الأجرد): الذي يسبق الخيل وينجرد عنها لسرعته"[٨٤]. و:"(اجرهَدَّ) فـــي السير: استمر. و(اجرَهَدَّ) الطريق استمر وامتد؛ و(المُجْرَهِد): المسرع في الذهاب. و(الجَرهَد): السيار النشيط"[٨٥]، ويؤكد أن الهاء زائدة في هذا الوزن.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذا الكلمة، هو:

جَرَدَ> (اجْرادَّ)> (اجْرَأَدَّ) > اجْرَهَدَّ.

ولعـــدم وجود كلمة (اجرأدَّ) توهم[٨٦] العلماء أن الهاء أصلية في هذا الوزن فردوها إلى الوزن: (فعلل)، والصواب أن الهاء متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة:(افعالّ> افعألّ)، ووزن هذه الكلمة هو: (فعهل).

جمهر:

مقاييس(٥٠٦/١): "ومن ذلك قولهم(جُمهور).وهذا من كلمتين من جَمَرَ؛ وقد قلنا إن ذلك يدل على الاجتماع، ووصفنا الجمرات من العرب بما مضى ذكره. والكلمة الأخرى جهر؛ وقد قلنا إن ذلك من العلو. فالجمهور شيء متجمع عال".

التعليق: عدَّ ابن فارس هذه الكلمة من باب النحت، وأعادها إلى الجذرين(جَمَرَ) و(جَهَرَ). وعدَّ السامرائي الهاء مبدلة من الميم المشدَّدة في(جَمَّرَ) [٨٧]. الكلمة ليست منحوتة وإنما مشتقة من الجذر:(جَمَرَ) [٨٨]. ولم يشر أحد من القدماء، إلى وجود علاقة بين: (جَمَرَ) و(جَمْعَرَ)، انظر ص ١٣٠من هذا البحث، وإلى أن التطور يجسد فعلاً تحول همزة(افعألّ) إلى عين وإلى هاء.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

جمَرَ> (اجْمارَّ) > (اجْمَأرَّ) > (اجْمَهَرَّ).

ولقد توهم بعض العلماء[٨٩] أن الهاء أصلية في:(جمهر) وردوا الكلمة إلى الوزن:(فعلل)، والصواب أن الهاء زائدة، وهي متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة(افعالّ< افعألّ)، وتعود الكلمة إلى الوزن: (فعهل). (انظر سابقاً: جمعر).

زمهر:

مقاييس(٥٣/٣):"(ازمهرَّت) الكواكب، إذا لمعت. وهذا مما زيدت فيه الميم؛ لأنه من زَهَرَ الشيء، إذا أضاء". وفيه(٥٥/٣):"(الزَّمْهَرِير): البرد، يمكن أن يكون وضع وضعاً، وممكن أن يكون مما مضى ذكره، من قولهم ازمهرَّت الكواكب، وذلك أنّه إذا اشتد البرد زهرَت إذاً[و] أضاءت".

التعليق:

أولاً: عـدَّ ابـن فـارس(ازْمهـرَّت) الأولى مما زيد فيها الميم، فأعادها للجـذر(زَهَرَ). وعدَّ (الزَّمْهَرير) الثانية من الموضوع وضعاً، أو أن الميم زائدة كما في الأولى.

ثانـياً: هـناك صـعوبة فـي تقبل وجود علاقة بين الجذر(زَمَرَ):"(الزَّمْر) بالمـزمار، زَمَـرَ يزْمِـر زمـرا: غنَّـى فـي القـصب و غيـره"[٩٠] وبين(ازمهرَّ):"(ازمهرَّ) اليوم ازمهراراً، إذا اشتد برده".

و(الزمْهريـر): هـو الـذي أعده الله تعالى عذاباً للكفار في الدار الآخرة، و(زَمْهـرَت) عيـناه وازْمَهـرَّتا): احمـرتا من الغضب. و(المُزْمَهِرُّ): الشديد الغضب. وعيناه (ازْمَهرَّتا): احمرتا من الغضب. و(ازمهرَّت) الكواكب: زَهَرت ولَمَعَت. و(الازْمِهرار) في العين عند الغضب والشدة"[٩١].

ثالثاً: هناك إشارة في اللسان تقول:" (٣٢٩/٤) ورجل(زِمِر) كزبر :شديد"[٩٢]

رابعـاً: الملاحظـة الثالثة تدفع نحو البحث في الجذر: (زَبَر). فمعاني هذا الجـذر، هـي: " (الزُّبـرة): الـشعر المجـتمع للفحـل والأسـد وغيرهما. ورجـل(أزبر):عظيم الزُّبرة.و(الزُّبرة): كوكب من المنازل على التشبيه بزبرة الأسـد. قال ابن كِناسَة: من كواكب الأسد الخَراتان وهما كوكبان نيِّران بينهما قـدر سـوط، وهمـا كـتفا الأسد. وهي كلها ثمانية. و(زَبَر) الرجل: انتهره. و(الزِّبير): الشديد من الرجال، والداهية. أبو عمرو: (الزِّبر) من الرجال: الشديد القوي[٩٣].

خامساً: يشير صاحب اللسان إلى كلمة (زبأر) معتبراً أن الهمزة أصلية فيها، ومن معاني هذه الكلمة:" (ازبأرَّ) الرجل: اقشعر. و(ازبأرَّ) الوبر والنبات: طلع ونبت. و(ازبأرَّ) الشعر: انتفش، ويوم (مزبئِر): شديد مكروه"[٩٤].

خامساً: يستنتج مما تقدم أن العلاقة واضحة بين: (زَبَرَ) و(ازبأرَّ)، ومن النقطة الثالثة يمكن استنتاج أن الميم في: (ازمهرَّ) مبدلة من الباء[٩٥]، والهاء مبدلة من الهمزة.

سادساً: ومما تقدم تتضح العلاقة بين:(زَبَرَ) و(ازبأرَّ) و(ازمهرَّ).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

زَبَرَ> (ازْبارَّ) > ازْبأرَّ > مُزبَئر> مزمهر وزمهرير.

ولقد توهم العلماء[٩٦] أن الهاء أصلية في (ازمهرَّ) فأعادوها لصيغة (افعللّ)، والصواب أن الميم مبدلة من الباء، وهذا الإبدال بينهما معروف في العربية والسامية. وأن الهاء مبدلة من الهمزة المقحمة في صيغة: (افعألَ< افعالَّ)، وأن وزن الكلمة هو(افعهلّ) . وزمهرير من: (فعهليل).

سجهر:

مقاييس(١٦٢/٣):"(المسجهر): الأبيض".

التعليق: عدَّ ابن فارس هذا الوزن من الموضوع وضعاً. ولكن المعاني المشتركة بين(سَجَرَ) و(سجهر) واضحة، "(سَجَر) التَّنُّور: أوقده وأحماه، وعين سَجْراء: بيِّنَة السَّجَر إذا خالط بياضها حمرة، واختلفوا في السَّجرِ في العين، فقال بعضهم: هي البياض الخفيف في سواد العين"[٩٧]. و(سَجْهَرَ):" (المسجهر): الأبيض.و(اسجهرَّت) النار اتقدت والتهبت، اسْجَهرَّ: توقد حُسْناً بألوان الزَّهر" [٩٨].

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَجَرَ> (اسْجارَّ) > (اسْجَأرَّ) > اسْجَهَرَّ.

وتـــوهم بعض العلماء[٩٩] أن الهاء في:(سَجْهَر) أصلية فأعادوا الكلمة إلى الـــوزن:(فعلـــل)، والـــصواب أن الهاء مبدلة من الهمزة المقحمة على صيغة: (افعال> افعألّ) فيكون وزن الكلمة على ذلك، هو:(فعهل).

<u>سلهب:</u>

مقايـــيس(٣/١٥٩):"(المُسْلهِب) الطويل، والهاء فيه زائدة، والأصل السَّلْب، وقد مضى".

التعليق: عدّ ابن فارس هذا الوزن من المزيد، وأشار بصواب إلى أن الهاء زائدة. وأجاز ابن جني زيادة الهاء[١٠٠].

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَـــلَبَ> (اسْـــلابَّ) > اسْـــلأَبَّ> اسْلَهَبَّ(انظر أيضاً:ص ٤٤٥من هذا البحث).

ومـــن هنا توهم بعض العلماء[١٠١] أن الهاء أصلية في هذا الوزن فأعادوها للجذر(فعلل)، والصواب أن الهاء زائدة فيكون وزن هذه الكلمة هو (فعهل) وهي مشتقة من الجذر(فعل/سَلَبَ).

اسمهدّ(افعالّ):

مقايـــيس(٣/١٥٩):"(اســـمهَدَّ) الـــسنام، إذا حسن وامتلأ. وهذا منحوت من مهدت الشيء إذا وثّرته....،ومن قولهم سَهْد مَهْد".

التعليق: عدَّ ابن فارس الكلمة منحوتة من:(سهد ومهد). ولم يشر اللسان إلى وجـــود علاقـــة بين(سمد، واسمهدّ). الكلمة مشتقة من الجذر:(سَمَدَ) ويبين هذا الاشـــتقاق العلاقـــة الوثيقة بين هذه الكلمة:(واسمادَّ، واسمأدّ، واسمعدَّ، واسمغدَّ،

واصمعدَّ، واصمغدَّ)(حول هذه الكلمات، انظر سابقاً: اصمعدَّ، واسمغدَّ). ويمثل ذلك صورة متكاملة للسياقات المختلفة للجذر: (سمد).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَـمَدَ> اسْـمادَّ > اسْمَأدَّ > اسْمهدَّ= اسمعدَّ=اسْمَغَدَّ> اصمَعَدَّ = اصْمَغَدَّ(انظر سابقا، ص ١٣٤من هذا البحث).

ومن صيغة(اسمهدَّ) اعتقد العلماء[١٠٢] أن الهاء أصلية في هذا الوزن فأعادوها للـوزن(افعلـلَّ)، والـصواب أن الهــاء في هذا الوزن زائدة، فتوزن الكلمة على :(افعهلَّ).

سمهر:

مقايــيس (١٥٩/٣):"(السمهريَّة) الرماح الصِّلاب، والهاء فيها زائدة، وإنما هي من السُّمرة". وفيه(١٦١/٣):"(اسمَهرَّ) الشوك: يَبِس ويقال للظلام إذا اشتد: اســمهر". وفــيه(١٦٢/٣):"(المُــسْمَهِر): المعتدل".اللسان:(٣٧٦/٤-٣٧٩) أن وسَمَرته أيضاً. وفيه(٣٨١/٤).

التعلـيق: عــدّ ابن فارس وبصواب الهاء زائدة في الكلمة الأولى، ولكنه عدّ الثانــية موضــوعة، وكــذلك الثالثة. والتشابه في المعاني واضح بين: (سَمَرَ) و(السمهريّ):"(السُّمرَة): منزلة بين البياض والسواد، و(سَمَرَ) يَسْمُرُ سُموراً: لم يــنم، و(السَّمَر): الظلمة، و(السَّمَر): الدهر. و(السَّمْرُ): شدُّك الشيء بالمسمار، وسَــمَرَه يَسْمِره سَمْراً وسَمَّرَه، جميعاً: شدَّه، و(المسمار):هو ما شد به الشيء". وامــرأة (مَــسمورة): معصوبة الجسد ليست برخوة اللحم، وفي النوادر: رجل (مَــسْمور): قلــيل اللحــم شــديد أســر العظــام والعــصب. و(سَمَّرَ) سَهمه: أرســله.و(المــسمار): واحــد مــسامير الحديد[١٠٣]، و:"(اسْمَهَرَّ) الشَّوك: يَبِسَ وصَــلُبَ.وشَــوكٌ(مسمَهِر):يابس. و(اسمْهَرَّ) الظلام: تَنَكَّر و(السَّمْهَريَّة): القناة الــصلبة[١٠٤]، و(الــسمهريُّ): "(الــسَّمهري): الــرمح الــصَّلب العُود. يقال:

وتَـــر (سَـــمْهَريٌّ) شديد كالسَّمهَري من الرماح.و(المُسْمَهِرُّ): المعتدل. و(اسْمَهَرَّ) الحَبْلُ والأمر: اشتدّ و(الاسْمهرار): الصلابة والشِّدَّة"[١٠٥].

التحليل: التطور الصرفي التاريخي للكلمة .

سَمَرَ> (اسْمارَّ) > (اسمأرَّ) > اسْمَهرّ.

ومن صيغة: (اسمهرّ) اعتقد العلماء أن الهاء أصلية في هذا الوزن، ووزنوا الكلمـــة علـــى: (افعللّ). والصواب أن الهاء زائدة كما أشار ابن فارس والوزن الأصلي لهذه الكلمة هو:(افعهلّ).

<u>الصَّلْهب:</u>

مقايـــيس(٣/٣٥٢):"(الـــصلهب). الـــرجل الطويل. فهذا له معنيان: الإبدال والـــزيادة أما الإبدال فالصاد بدل السين وإذا كانت الهاء زائدة فهو من السّلب، وهو الطويل".

التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة وبصواب من الباب الثاني أي مما دخلته زيـــادة، وهي حرف الهاء. وأشار – وبصواب أيضاً – إلى أن الصاد مبدلة من السين.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَلَبَ> (اسلابَّ)> (اسلأبَّ) ~ (اصلهبَّ) > صَلْهَبَ=سَلْهَبَ.

ومـــن صيغة:(صلهب) اعتقد العلماء أن الهاء أصلية في هذا الوزن فأعادوها للوزن(فعلل) والصواب كما أشار ابن فارس إلى أن الهاء زائدة، وأن الصاد مبدلة من السين وإبدال الصاد من السين أمر تعرفه العربية، واللغات السامية[١٠٦].

العزَاهيل:

مقاييس(٤/٣٥٧):"(العزاهيل) الإبل المهملة، واحدة عزهول" وهذا أيضاً إذا كان صحيحاً، أيضاً فالهاء زائدة، وكأنها أهملت فاعتزلت ومرت حيث شاءت".

التعليق: عدَّ ابن فارس وبصواب الهاء زائدة في هذا الوزن.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي له، هو:

عَزَلَ > (اعزالّ) > (اعزألّ) > (اعزهَلّ).

ومن كلمة(عزهل) توهم العلماء[١٠٧] أن الهاء أصلية في هذا الوزن فأعادوها للوزن(فعلل)، والصواب كما أشار ابن فارس هو أن الهاء زائدة في هذا الوزن، وأن الوزن الأصلي لها هو(فعهل).

العَلْهب:

مقاييس(٣٥٨-٤/٣٥٩):"(العلهب) التيس الطويل القرنين ويوصف به الثور وهذا مما زيدت فيه الهاء وإنما هو من العُلَب، والعُلَب: النخل الطوال".

التعليق: عدَّ ابن فارس هذه الكلمة من المزيد، وأشار بصواب إلى أن الهاء زائدة.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

علب> (اعلابّ)> (اعلأبّ) > (اعلهب) > علهَب.

ومن الوزن :(علهب) اعتقد العلماء أن الهاء أصلية في هذا الجذر[١٠٨] فأعادوها للجذر(فعلل)، والصواب كما أشار ابن فارس إلى أن الهاء زائدة في هذا الوزن وأن الكلمة تعود للجذر(فعهل).

المُعلهج:

مقاييس(٤/٣٥٧):"(المُعلهج) الرجل اللئيم. وهذا وإن كان صحيحاً فالهاء فيه زائدة". وفيه (٤/١٢٢)(العلج): الشديد من الرجال قتالاً وصراعاً".

التعليق: عدَّ ابن فارس هذه الكلمة من باب المزيد، وأشار وبنوع من التردد إلى أن الهاء زائدة، ووافق الجوهري على أن الهاء زائدة[١٠٩].

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

علج > (اعلاج) > (اعلأج) > (اعلهج) > مُعلهج.

ومــن كلمــة:(معلهــج) اعــتقد العلماء أن الهاء أصلية في هذا الوزن[١١٠] فأعادوها للوزن: (مفعلل) والصواب أن الهاء زائدة وتعود الكلمة للوزن:(مفعهِل < فعهل).

نتائــج البـــحث

إن الــتطلع إلى ما أقيم في هذا البحث، واعتماداً على الفرضيات التي أقيم عليها، يمكن تلخيص نتائجه كما يأتي:

١- إن صــيغة:(أفعــألّ) مــتطورة عن صيغة(افعالّ) القياسيَّة، للــتخلص مــن المقطــع الطويل المغلق(ص ح ح ص)، وهذه الصيغة قياســية، ولا يجوز الحكم على الكثرة لإقرار قياسيتها، وأنها لم تستخدم للــضرورة الــشعرية فقط، كما أشار معظم القدماء، ووافقهم المحدثون بــذلك، ولكــنها كانت متسعة لتشتمل جوانب أخرى من اللغة، فهذا أبو حــيان يقــول في البحر المحيط:" وقرأ السختياني(ولاالضألين) بإبدال الألف همزة فراراً من التقاء الساكنين".

٢- تأكد من خلال النماذج التي عرضت في هذا البحث أن العربية لغة اشـتقاقية في المقام الأول، وخاصة الاشتقاق الأصغر(العام)، وأن النحت وإن كان موجوداً فهو على قلة لا تبيح قياسيته. وتأكد أن الأوزان التي درست ترتد إلى أصول ثلاثية.

٣- أظهـرت الدراسـة أن حلقـات الـتطور التاريخي للصيغة الثلاثية (ف ع ل)>افعـالَّ> افعألَّ > افععلَّ وافعغلَّ وافعهلَّ ظهرت بشكل متكامل في بعض الأمثلة، ومن ذلك:

سَـمَدَ> اسـمادَّ> اسـمَأَدَّ؛ وسَـمَدَ> اسـمادَّ> اسمَأَدَّ > اسمعدَّ >اسْمَغْدَّ؛ سَـمَدَ > اسْـمَادَّ>اسْمَأَدَّ> اصمَعَدَّ> اصْمَغَدَّ؛ سَمَدَ> اسماد > اسمأدَّ> اسمهدَّ> سـمهد؛ ويـستنتج مـن ذلك أنَّ: اسمادَّ، واسمَأَدَّ، واسمعدَّ، واسْمَغدَّ، واصمَعَدَّ، واصْمَغَدَّ، واسمهدَّ، مشتقة جميعا من الجذر:(سَمَدَ).

٤- أظهـرت الدراسـة صـيغة جديدة منبثقة من صيغة (افعألَّ)، وهي صيغة(افعغلَّ) التي ظهرت في مثالين فقط:(اسمغد)و(اصمغدَّ).

٥- أظهرت الدراسة أن هناك حلقات مفقودة في حلقات التطور التاريخي لهـذه الصيغة، ولكن هذا لا يمنع من وجودها في مرحلة من مراحل العربية، وهـذه الحلقات المفقودة متباينة، ومن الأمثلة على ذلك: جَمَرَ، > ....> ...> جمعـر، جَمَـرَ> ...> ....> جمهر، وطَمَنَ(في العبرية والسريانية)> اطمانَّ > اطمأنَّ.

٦- أفـادت الدراسة أن من الظواهر الصوتية في العربية تفسير بعض الأوزان وردهـا إلـى جذورها الثلاثية الحقيقيَّة، وقد أشار أحمد بن فارس إلى بعضها، وكذلك ابن منظور، وخفي عليهما بعضها الآخر، ومما أشار إليه أحمد بـن فـارس:(سقل=صقل)، و(سلهب=صلهب)، ومما أشار إليه صاحب اللسان

إضافة إلى ما تقدم(اسمعدَّ=اسمغدَّ)، ومما لم يُشر إليه:(اسمعد=اسمغد=اصمعد=اصمغد=اسمهد).

وردَّ ابن فارس(زمهر) و(زمهرير) إلى الجذر (زهر)، وتبين من خلال البحث أن الكلمتين:(زَمْهَرَ) و(زَمْهَرير) مشتقتان من الجذر (زبر) وأن الميم مبدلة من الباء. ومن ذلك أن كلمة(ادرعفَّ= اذرَعَفَّ) مشتقة من الجذر (زرف) وليس من (الاندراع) و(الذريع). ومن ذلك ردّ ابن فارس(صمعر) إلى(صَمَرَ) و(مَعَرَ)، وبين البحث أن الميم مبدلة من الباء وأن جذر الكلمة هو(الصَّبْر).

٧- فيما افترضه ابن فارس أنه منحوت، أصاب في أحد الجذرين، ومن ذلك:(جمعر)> (الجَمْر) و(الجَمْع)، وأضاف أيضاً (الجَمع) و(المعْر)، و(جمهر) من(جَمَرَ) و(جَهَرَ)، والصواب أنهما مشتقان من الجذر:(جمر). كما تبين من خلال البحث أن بعض ما عدَّه منحوتاً لا ينتمي بصلة إلى أي من الجذرين، ومثال ذلك:(جذأر) من (جذا) و(ذئر)، والصواب أنه من: (جَذَر)؛ و(صقعب) من(صَقَبَ) و(صَعَبَ) والصواب أنه من: (سَقَبَ). و(صَمعَرَ) من (صَمَرَ) و(مَعَرَ) والصواب أنه من (صَبَرَ). و(اسمَهَدَّ) من (سَهْد) و(مَهْد) والصواب أنه من (سَمَدَ).

٨- عدّ ابن فارس العديد من الأوزان مما دخلتها زيادة وقد أشار وبصواب إلى عدد منها: الهمزة في: (ازرأمَّ) و(اصمألَّ) و(اطمأنّ)؛ والعين في:(جَلْعَد) و(صَقْعَن)؛ والهاء في: (سلهب) و(سمهر) و(صلهب=سلهب) و(العزاهيل) و(المعلهج). وهناك بعض الأوزان التي أشار إلى وجود زيادة في موضع وأشير في هذه الدراسة إلى موضع آخر، ومن ذلك: الميم في (اصمعدَّ) و(ازمهرّ) والصواب هو العين.

٩- عدّ بعض الأوزان من الموضوعة وضعا: (اضفأدَّ) و(المسمغد) (المسجهر)، وأشير في هذا الدراسة إلى أنها مشتقة.

١٠- التقييم الشامل للأوزان كما وردت في معجم مقاييس اللغة، من خلال موازنتها بنتائج البحث العامة يمكن تلخيصها بالجدول الآتي:

معجم مقاييس اللغة		الدراسة
المنحوت		
جذأر	جذا/ذئر	الهمزة زائدة< جذر
جَرْهَد	جرّ/جَهَدَ	الهاء زائدة< جرد
جمعر	الجمع/الجَمْر	العين زائدة=جمهر(الهاء زائدة<جَمَرَ
جمهر	جَمَرَ/جَهَرَ	الهاء زائدة= جمعر(العين زائدة)< جَمَرَ
سمهد	سهد/مهد	اسمهدّ=المسمغد= المسمعد=اصمعد=اصمغد=< سَمَدَ
صقْعَب	سقَب/صَعَبَ	العين زائدة< سقب
صَمْعَرَ	صَمَرَ/مَعَرَ	الميم مبدلة من الباء، والعين زائدة< صَبَرَ
المزيد		
ازرأمَّ	الهمزة	الهمزة
اصمألَّ	الهمزة	الهمزة
اطمأنَّ	الهمزة	الهمزة
جلعد	العين	العين
ادرعف=اذرعف	الفاء	الذال مبدلة من الزاي والعين زائدة >زرف
صقعل	العين	العين
اصمعدَّ	الميم	السين زائدة، المسمغد= المسمعد= اصمعد=اصمغد=اسمهد< سَمَدَ

زمهر	الميم زائدة	الميم مبدلة من الباء والهاء زائدة< زَبَرَ
سمهر	الهاء	الهاء< سمر
سلهب=صلهب	الهاء زائدة	الهاء زائدة< سلب
صلهب=سلهب	الصاد بدل السين والهاء	الصاد بدل السين والهاء زائدة=سلهب
العباهل	الباء زائدة	الباء مبدلة من الزاي والهاء زائدة =عزاهل< عزل
عراهم	الراء زائدة	عراهم=جراهم والهاء زائدة< عرم
العزاهيل	الهاء زائدة	العزاهل=العباهل< عزل
العلهب	الهاء زائدة	الهاء زائدة< علب
المعلهج	الهاء زائدة	الهاء زائدة
الموضوع وضعاً		
اضفأدَّ		الهمزة زائدة< ضفدَ
المسمغد		المسمغد=المسمعد=اصمعد=اصمغد=اسمهد< سَمَدَ
المسجهر		الهاء زائدة< سجر

الهوامش

١. انظر في موضوع النحت، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ط٢، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين. طبعة عيسى البابي الحلبي (١٩٥٨).

٢. انظـــر: عـــبد الـــتواب، رمضان، فصول في فقه اللغة، ط٢، مكتبة الخانجي: القاهرة (١٩٨٢)، ص٣؛ الـــصالح، صـــبحي، دراســـات فـــي فقـــه الله، بيـــروت (١٩٧٠)، ص٢٤٥؛ ابـــن جني، أبو الفتح عثمان، التصريف الملوكي، تحقيق: البدراوي زهران: الشركة العالمية للنشر: القاهرة (٢٠٠١)، ١٢٢- ١٢٣.

٣. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، بغداد (١٩٦٧)، ج١، ص٦٩.

٤. ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، ط٢، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل: بيروت(١٣٨٩هـ)، ج١،ص٢٧٠؛ الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: مصطفى الشويمي، القاهرة،(١٩٦٣)، ص٢٧١.

٥ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(انظر هامش ٤)، ج١،ص٣٢٩.

٦ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (انظر هامش٤)، ج١،ص٥٠٥.

٧ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(انظر هامش٤)، ج١، ص٣٣٣.

٨ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (انظر هامش٤)، ج٢، ص٣٣٩.

٩ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(انظر هامش ٤)، ج٢،ص٣

١٠ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(انظر هامش٤)،ج٢،ص١٤٦.

١١ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(انظر هامش ٤)، ج١،ص٣٢٩.

١٢ . الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة(انظر هامش ٢)، ٢٦٦-٢٦٧؛ وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، دار نهضة مصر: القاهرة(١٩٤٥)، ص١٨٢؛ علي مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق، معهد الدراسات العربية: القاهرة(١٩٥٥)، ص٨٥- ٨٦؛ الزيدي، كاصد ياسر، فقه اللغة العربية، وزارة التعليم العالي: الموصل(١٩٨٥)، ص٢٣٦-٢٤٤.

١٣ . عبد التواب، رمضان، فصول في فقه اللغة،(انظر هامش ٢)، ص٣٠٥-٣٠٦؛ التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي: القاهرة، ص٩٤-٩٥؛ لحن العامة والتطور اللغوي، دار المعارف: مصر، ص٥٠-٥٣.

١٤ . عمايرة، إسماعيل، دراسات لغوية مقارنة، دار وائل للنشر: عمان(٢٠٠٣)،ص٢٣٢.

١٥ . السامرائي، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، ط٣، دار الرسالة، بيروت(١٩٨٣)، ص١٤٢

١٦. السامرائي، إبراهيم، تاريخ العربية، جامعة الموصل: الموصل(١٩٧٧)، ص١٠٠-١٠١ وانظر رد عمايرة على ذلك، دراسات لغوية مقارنة،(انظر هامش ١٤)، ص٢٣١-٢٣٣

١٧ . انظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر: إسماعيل، خالد، فقه لغات العاربة المقارن، مسائل وآراء، مؤسسة روعة للخدمات الأكاديمية: إربد(٢٠٠٠)؛ كمال، ربحي، الإبدال فـي ضـوء اللغات السامية، دراسة مقارنة، جامعة بيروت، بيروت(١٩٨٠)؛ العمايرة، دراسات لغوية مقارنة(انظر هامش ١٤)؛ اللغوي، أبو الطيب، الإبدال في كلام العرب، تحقـيق: عـز الدين التنوخي، دمشق(١٩٦٠)؛ ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب، القلب والإبـدال، تحقـيق: حـسين محمد شرف وعلي النجدي ناصف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة(١٩٧٨).

١٨ . يصل هذا العدد إلى المئات في معجم مقاييس اللغة، وأكثر من ألفي كلمة في معجم لسان العرب.

١٩ . انظر في بعض هذه الطرق لدى: عمايرة، دراسات لغوية مقارنة(انظر هامش١٤)، ص١٧٣-٢٥٣؛ عبد التواب، فصول في فقه اللغة(انظر هامش٢)، ص١٩٣-٢٢٦، ٣٠١-٣٠٧.

٢٠ . الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة(١٩٧٠)، ج١٥، ص٦٨٢؛ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ط٤، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية: العراق:(١٩٩٠)، ج٣،ص١٢٦، ١٤٧؛ ابن عصفور، أبو الحسن الإشبيلي، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية: حلب (١٩٧٠)، ج١،ص٣٢٠.

٢١. ابن جني، الخصائص(انظر هامش٢٠)، ج٣،ص١٢٦.

٢٢. ابن جني، الخصائص(انظر هامش٢٠)، ج٢، ص٥٠-٥١؛ سر صناعة الإعراب، ط٢ تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم: شق(١٩٩٣)، ج١، ص٧٣؛ ابن عصفور، أبو الحسن الإشبيلي، الممتع في التصريف(انظرهامش٢٠)، ج١،ص٣٢٢.

٢٣ . حول البنية المقطعية للغة العربية، انظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية؛ ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة(١٩٨٤) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، تونس(١٩٦٦)، ص١٩١؛ عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي: القاهرة(١٩٨٠)، ص١٠٣-١٠٤؛ عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة(١٩٧٦)، ص٢٥٧؛ عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة:بيروت (١٩٨٠)، ص٣٨-٤٢.

٢٤. انظر إسماعيل عمايرة، دراسات لغوية مقارنة(انظر هامش ١٤)، ص٢٢٨-٢٣٠.

٢٥. الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر: بيروت(١٩٨٣)، ج١، ص٣٠. وانظر أيضاً: ابن جني، التصريف الملوكي(انظر هامش ٢)، ص٩٢-٩٣، ١٢٠-١٢٢؛ سر صناعة الإعراب(انظر هامش ٢٢)،ج١،ص٧٢.

٢٦ . إسماعيل عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، ط٣، دار وائل للنشر: عمان(٢٠٠٢)، ص١٤٣؛ دراسات لغوية مقارنة، ص٢٢٦-٢٣٠؛ فلش، هنري، العربية الفصحى، ترجمة: عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثولكية: بيروت(١٩٦٦)، ص٤٤، كانتينو، جان، دروس في أصوات العربية(انظر هامش ٢٣)، ص١٥٢؛

Fischer,W.D,.Silbenstrukturen und Vokalismus im Arabischen.In:ZDMG 123:227:237;Noldeke,T. Grammatik des Klassischen Arabisch,Noldeke, T.,Zur Grammatik des Klassischen Arabisch(Im Anhang:Die handschriftlichen Erganzungen in dem hrandexepler Theodor Noldeke, bearbeitet ind mit Zusatzen versehen von Anton Soitler. Darmstadt, (1896),p.8.

٢٧ . ويقتضي الإنصاف الإشارة إلى أن القدماء قد أدركوا هذا وقالوا به، يقول ابن عصفور، في الممتع في التصريف(انظر هامش ٢٠)، ج١، ص٢٠٨:" الضمة بعض الواو، والكسرة بعض الياء، والفتحة بعض الألف". ولكنهم لم يستخدموا ذلك بشكل حاسم عند تناولهم للمسائل الصوتية والصرفية والنحوية. وما زالت العديد من الدراسات العربية في العصر الحديث لا تفرق بين الهمزة كحرف صامت، وبين الفتحة الطويلة كصوت صائت، ولا مجال هنا للتعرض إلى هذه الدراسات فهي كثيرة.

٢٨. حول أسباب الإبدال، وعلله، وظواهره، انظر: المغربي، عبد القادر، الاشتقاق والتعريب، لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة(١٩٤٧)، ص١٢؛ ابن جني، الخصائص(انظر هامش ٢٠)، ج٢، ص٨٣_٨٧، أبو الطيب اللغوي، الإبدال(انظر هامش١٧)؛ ابن السكيت، القلب والإبدال(انظر هامش ١٧).

٢٩. يشير ابن جني، سر صناعة الإعراب (انظر هامش٢٢)، ج١، ص١٠٧-١٠٨، أن الهمزة إن كانت وسطاً أو آخر فيجب القضاء أنها أصل حتى تقوم الدلالة على كونه زائدة، فالأصل أن يقال اطمأن، وأزبأرَّ.

٣٠ . عبد التواب، فصول في فقه اللغة(انظر هامش ٢)، ص٢٠٩؛ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق، عبدالله الكبير وآخرين، دار المعارف: القاهرة(د.ت.)ج٤، ص٢٦٤، مادة:(ضَفَدَ).

٣١ . ابن منظور، اللسان، (انظر هامش ٣٠)، ج٣،ص٢٦٤.

٣٢ . الأزهري، تهذيب اللغة،(انظر هامش٢٠)، ج١٣،ص٣٧٧.

٣٣. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، ط٣، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب: بيروت(١٩٨٣)، ج٤، ص٣٨١، وانظر ابن جني، الخصائص (انظر هامش ٢٠)، ج٢، ص٧٤.

٣٤. M.H.Goshen-Gottstein, M.H., A Syriac-English Glossary, Wiesbaden:Otto Harrassowitz(1970),P.31.

٣٥. فوجمان، ي، قاموس عبري- عربي، مكتبة المحتسب: عمان(١٩٧٠)،ص٢٩٤.

٣٦ . عبد التواب(انظر هامش٢٠)، فصول في فقه اللغة، ص٢٠٩-٢١٠.

٣٧ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج١٣، ص٢٩٥،(٢٩٥/١٣)مادة:(عنن)، وانظر أيضاً: ابن السكيت، القلب والإبدال(انظر هامش ١٧) ص٢٤؛ السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الاقتراح، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد حمد قاسم، القاهرة (١٩٧٦)، ص٨٣، و المزهر، ج١، ص٢٢١؛ الخليل بن أحمد ، العين(انظر هامش ٢)، ج١، ص١٤٠.

٣٨ . أنيس، الأصوات اللغوية(انظر هامش ٢٣)، ص٩٠، في اللهجات العربية، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة(١٩٩٢)، ص١٨٥؛ هلال، عبد الغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطور، مكتبة وهبة: القاهرة(١٩٩٣)، ص١٦٨-١٧١.

٣٩ . Tompack, R.S.,A Comparative Semitic of the phonician and punic Languages, Scholars press: Miionia, Montana(1978),p.217.

٤٠ . ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش١٧)،ص١١٦،

٤١ . ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش ١٧)، ص١١٦؛ عمايرة، دراسات لغوية مقارنة(انظر هامش١٤)، ص٢٣٧.

٤٢. ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش١٧)، ص١١٦؛ وانظر كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض: السعودية(١٩٧٧)، ص٤٨، ٧٥.

٤٣ . عمايرة، دراسات لغوية مقارنة(انظر هامش١٤)، ص٢٣٧.

٤٤. هذا رأي إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية(انظر هامش٢٣)، ص٩٠، وتابعه في ذلك كمال بشر، علم اللغة العام(الأصوات)، دار المعارف:مصر (١٩٨٦)، ص١١٢، ولم يأخذ عبد الرحمن أيوب، في أصوات اللغة، ط٢، مطبعة الكيلاني: القاهرة(١٩٦٨)، ص١٨٣ بهذا الرأي وعدها صوتاً مهموساً؛ وانظر رأي سيبويه في الهمزة، الكتاب(انظر هامش٣٣)، ج٤، ص٤٣٤، إذ عدها من الأصوات المجهورة. وانظر حول ذلك في عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة(انظر هامش٢٣)،ص٧٧-٧٨.

٤٥. أنيس، الأصوات اللغوية(انظر هامش٢٣)، ص٩٠؛٣، عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة(انظر هامش٢٣)، ص٧٧-٧٨؛بشر، كمال، علم اللغة العام(انظر هامش٤٤)، ص ١١٢؛ السعران، محمود، علم اللغة، دار المعارف: القاهرة:(١٩٦٢)،ص١١٧؛

AL-Ani,S.,Arabic Phonology, Arabic Phonology, Acoustical and Physiological Investigation. Indiana (1979),p.31.

٤٦. يشير سيبويه، الكتاب(انظر هامش ٣٣)،ج٤، ص٤٣٥، إلى أن العين صوت متوسط بين الأصوات الرخوة والشديدة.

٤٧. سيبويه، الكتاب(انظر هامش٣٣)،ج٤،ص٤٣٣-٤٣٦؛ كمال بشر ، علم اللغة العام (انظر هامش ٤٤)، ض١٢٢، ١٣١؛ الزبيدي، فقه اللغة العربية(انظر هامش١٢)، ص٤٤٩- ٤٥٠؛. AL-Ani, Arabic Phonology, (see note 45), p. 62-63

٤٨. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطيوي، شركة الكتاب اللبناني: بيروت(١٩٦٨)، ج ان ص٤٨.

٤٩. وازن ذلك بما ورد عند ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج٣، ص١٢٥، ١٢٨.

٥٠ . إبراهيم السامرائي، الفعل وزمانه(انظر هامش ١٥)، ص١٤١.

٥١. ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٤،ص١٤٤-١٤٦، ١٤٨، مادة: (جَمَرَ).

٥٢ . ابــن مــنظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج٩،ص١٠٣؛ ابن السكيت، القلب والإبدال (انظر هامش١٧)، ص١٤٠.

٥٣. ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج٩،ص١٠٩، مادة:(ذَرَفَ).

٥٤ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٩، ١٠٣.

٥٥. ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج٩،ص١٣٣، مادة :(زرف).

٥٦ . حول إبدال الدال والذال، ابن السكيت، القلب والإبدال(انظر هامش١٧)، ص١٤٠.

٥٧. حــول إبــدال الــذال والــزاي،، ابن السكيت، القلب والإبدال(هامش ١٧)، ص١٤١ (ذرق،زرق)؛ص١٤١(ذبر، زبر)؛ وفي اللغات السامية، ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش١٧)،ص١٢٧.

٥٨. صــوت الصاد كما يشير العلماء هو النظير المفخم لصوت السين، والانتقال من الترقيق إلى التفخيم بتأثير تقدمي من صوت القاف. والإبدال بين السين والصاد أمر معروف في العــربية. انظر: سر صناعة الإعراب(انظر هامش ٢٢)، ج١، ص٢١٢. وفي اللغات الــسامية، انظــر: ربحــي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش ١٧)، ص١٣٤.

٥٩. وانظر أيضاً، ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج١١، ص٣٨٠-٣٨١، مادة(صقَلَ).

٦٠. ابن منظور، اللسان(انظرهامش٣٠)،ج١١،ص٣٨٠.

٦١ . ابن منظور، اللسان،ج٢، ص٢٥٩- ٢٦٠.

٦٢ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٣،ص٢٢٠،مادة ص(صمعد).

٦٣ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٣، ص٢٢٠، مادة ص(صمعد).

٦٤ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج٣،ص٢٢٠، مادة ص (صمد).

٦٥ . انظر: سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)،ج١، ص٢١٢؛ ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج١١، ص٣٨٠- ٣٨١، مادة:(صقَلَ)؛ وفي اللغات السامية، انظر: ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش ١٧)، ص١٣٤.

٦٦. ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٤،ص٦٦٨.

٦٧ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج٤،ص٤٦٦.

٦٨ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٤، ص٤٦٨.

٦٩ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج٤،ص٤٤١.

٧٠ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٤،ص٤٦٦.

٧١. ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج٤،ص٤٤٢، مادة:صَبَرَ:(الصمر): الصبر، أخذ الشيء بأصماره أي بأصباره حول ذلك انظر، ابن السكيت، القلب والإبدال(انظر هامش ١٧)، ٧٤، ٧٦؛ ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش ٢٠)، ج١، ص٣٩٣؛ ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش١٧)، ص١١٩.

٧٢ . ابن السكيت، الإبدال(انظر هامش١٧)، ص١١-١١٢.

٧٣. عبابـنة، يحيـى، اللغة الكنعانية، دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية، دار مجدلاوي: عمان(٢٠٠٣)،ص١٥٥-١٥٦.

٧٤. سـيبويه، الكتاب(انظر هامش٣٣)، ج٤، ص٤٢٣-٤٢٤؛ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة(انظر هامش٢٣)، ص٧١.

٧٥. الشايب، فوزي، محاضرات في الألسنية، وزارة الثقافة: عمان(١٩٩٩)،ص ١٩٢-١٩٣ ؛ كمال بشر، علم اللغة العام(انظر هامش٤٤)، ص١٢١.

٧٦ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٣،ص٢٢٠.

٧٧. إبـــراهيم أنـــيس، فـــي اللهجات العربية(انظر هامش٣٨)، ص١٨٤؛ أبو الطيب اللغوي، الإبـــدال(انظر هامش١٧)،ج٢،ص٥٦٩؛ ابن السكيت، القلب والإبدال(انظر هامش١٧)، ص٢٥-٢٩؛ ابـــن يعـــيش، شرح المفصل، عالم الكتب: بيروت(د.ت)ج١٠،ص٥؛ابن جنـــي، التـــصريف الملوكـــي(انظر هامش ٢)، ١٥٦-١٥٧؛ وحول مواقع زيادة الهاء وإبـــدالها، انظر ابن جني، سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)،ج٢، ص٥٥١-٥٥٤ ؛ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش٢٠)، ج١،ص٣٩٧-٤٠٠.

٧٨ . عبابنة، يحييى، اللغة المؤابية في نقش ميشع، جامعة مؤتة: الأردن(٢٠٠٠)،ص٤٠.

٧٩ . يحيـــى عبابنة، اللغة المؤبية(انظر هامش٧٨)، ص٤٢؛ ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش١٧)،١١٣.

٨٠ . عمايـــرة، دراســـات لغوية مقارنة(انظر هامش ١٤)، ص١٦٦؛ لمزيد من المعلومات حول صـــيغة:(هفعـــل-صيغة أفعل في العربية) في السبئية انظر: A.F. L.Beeston, A.F.L., Sabaic Grammer, Louvain: University of Manchester (1984) P.12-13.

٨١. Werner Caskel , Lihyan und Lihyanisch, (Arbeitgemeinschaft fur Forschung des Laneds Nordhein- Westfalen, (1957)nos.19,87.

٨٢ .ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش١٧)، ص١١٤.

٨٣ . الخليل بن أحمد، العين(انظر هامش٣)، ج١، ص٦١، سيبويه، الكتاب (انظر هامش ٣٣)، ج٤، ص٤٢٣- ٤٢٤؛ الشايب، فوزي، محاضرات في الألسنية، (انظر هامش٧٥)، ص ١٨٨-١٨٩؛ كمـــال بشر، علم اللغة العام (انظر هامش٤٤) ص١٢٢؛ محمود السعران علم اللغة (انظر هامش ٤٥)، ص١٩٥.

٨٤ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج٣، ص١١٥-١١٧، مادة جرد.

٨٥. أحمـــد بـــن فـــارس، مقايـــيس(انظـــر هـــامش٤)، ج١،ص٤٥٢؛ ابن منظور، اللسان (انظر هامش٣٠)،ج٣،ص١٢٠.

٨٦. ابـــن عصفور، الممتع(انظر هامش ٢٠)، ج١، ص٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)، ج٢، ص٥٥١-٥٥٤.

٨٧. السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته(انظر هامش١٥)،ص١٤١.

٨٨ . ابن منظور، اللسان،(مادة:جَمَرَ)(انظر هامش٣٠)ج٤،ص١٤٤-١٤٦، ١٤٩.

٨٩. ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش٢٠)،ج١،ص٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)، ج٢،ص ٥٥١- ٥٥٤.

٩٠ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج٤،ص٣٢٧،مادة:زَمَرَ.

٩١ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)،ج٤،ص٣٣٠.

٩٢. ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٤،ص٣٢٩، مادة:زَمَرَ.

٩٣ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٤،ص٣١٦، مادة:زَبَرَ.

٩٤ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٤،ص٣١٦، مادة:زَبَرَ.

٩٥. ابـن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج٤، ص٤٤٢، مادة: صَبَرَ:(الصمر): الصبر، أخـذ الشيء بأصماره أي بأصباره؛ حول ذلك انظر، ابن السكيت، القلب والإبدال(انظر هـامش١٧)، ٧٤، ٧٦؛ ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش٢٠)، ج١،ص ٣٩٣؛ ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية (انظر هامش١٧)، ص١١٩.

٩٦ . ابـن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش٢٠)، ج١،ص٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)،ج٢،ص٥٥١-٥٥٤.

٩٧. ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٤،ص٣٤٦-٣٤٧.

٩٨. ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج٤،ص٣٤٦-٣٤٧،مادة: سحر.

٩٩ . ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش٢٠)، ج١، ص٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)، ج٢،ص٥٥١-٥٥٤.

١٠٠ . ابن جني، سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)،ج٢،ص٥٧٠.

١٠١. ابـن عـصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش٢٠)، ج١، ص٣٩٧- ٤٠٠؛ ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج١، ص٤٥٥ مادة سلب؛ وج١، ص٤٧٤.

١٠٢ . ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش٢٠)، ج١، ص٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جني سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)، ج٢،ص٥٥١-٥٥٤؛ ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج٣، ص٢١٩، مادة سمد؛ وج٣، ص٢٢٠، مادة سمهد.

١٠٣ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج٤، ص٣٧٦-٣٧٩.

١٠٤ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج٤، ص٣٨١.

١٠٥ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٤،ص٣٨١.

١٠٦. والإبدال بين السين والصاد أمر معروف في العربية. انظر: سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)، ج١،ص٢١٢. وفي اللغات السامية، انظر: ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش١٧)، ص١٣٤.

١٠٧. ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش٢٠)، ج١، ص٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)، ج٢، ص٥٥١-٥٥٤.

١٠٨. ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش٢٠)،ج١،ص٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب(انظر هامش٢٢)، ج٢، ص٥٥١-٥٥٤؛ ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)، ج١،ص٦٢٧-٦٣٠.

١٠٩. ابن منظور، اللسان(انظر هامش٣٠)،ج٢،ص٣٢٦.

١١٠. ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش٢٠)، ج١،ص٣٩٧-٤٤٠؛ ابن جنى سر صناعة الإعراب (انظر هامش٢٢)، ج٢،ص٥٥١-٥٥٤؛ ابن منظور، اللسان (انظر هامش٣٠)، ج٢، ص٣٢٨، ملاحظة ٢رأي الفيروز أبادي.

ثانياً: مع الكتب

قراءة دلالية في كتاب

"زكريا أوزون": "جناية سيبويه"

"الرفض التام لما في النحو من أوهام"

(القسم الأول)

د. ياسين أبو الهيجاء

كلية الآداب/ جامعة الإسراء

بــين الفينة والفينة يخرج علينا دعاة ينذرون بالويل والثبور وعظائم الأمــور إن اســتمررنا في هذا النهج اللغوي الذي يتجاهل كل دعوة عاقلة منصفة إلى نبذ العقلية اللغوية القديمة المتخلفة، والسير في ركب الحضارة، والأخــذ بأســبابها"، كمــا ينادون بإعادة النظر في القواعد الأساسية للغتنا "لتــصبح أداة فعالــة لتفجير طاقات العقل العربي المحتبسة في هيكل اللغة المقــدس"[١]. ويختلط ههنا الحابل بالنابل، فلكل نهجه وأسلوبه ومقدرته على جذب الأنصار وإن توحدت الغاية.

وما من داعٍ إلى هذا الإصلاح المزعوم أعلن عن هدفه دون مواربة، وأن غايته نسف العربية من أساسها، وإحلال العامية أو شبهها محلها؛ لتنبتّ الأمة من دينها وتراثها، بل نجده يداور ويحاور ليقنعنا أن هدفه نبيل، وحاديه

---

١. على حدّ قول شريف الشوباشي في كتابه"لتحيا اللغة، يسقط سيبويه":١٧.

إلـــيه محبته لهذه اللغة وأهلها، وحزنه على ما آل إليه حالهم من التخلف من جرّاء تمسكهم بهذا السبب الواهن ألا وهو العربية الفصيحة، التي هي أصل لكـــلّ مظاهـــر الـــتخلّف. والعقدةُ في منشار هؤلاء العلاقةُ الوثيقةُ بين اللغة والـــنص القرآني، لذلك نجدهم يعقدون الفصول لخلخلة تلك العلاقة، يوهمون القـــارئ أو السامع أنّ اللغة شيء والنصّ القرآني شيء آخر، فلا ضير على النصّ المقدس من نبذ اللغة الفصيحة.

وفـــي هـــذه السبيل نجد سبيتا(١٨٨٣م) وويلمور وويلكوكس مروراً بقاســـم أمـــين (ت١٩٠٨م) وأحمـــد لطفي السيد(ت١٩٦٣م) وسلامة موسى (١٩٥٨م) وأنيس فريحة(ت١٩٩٣م) ولويس عوض(ت١٩٩٠م) وسعيد عقل، والـــدرب بعـــد ذلـــك حافل. غير أننا هذه المرة مع داعٍ يختلف شيئاً ما عن هـــؤلاء، فكلهـــم أعلن صراحة أن الحلّ، أو جانباً كبيراً منه في التغلب على صـــعوبة العربية، ومداخلها العسيرة، وأنفاقها الملبسة، إنما هو العامية. أما الداعية موضوع البحث فهو من دعاة العامية ولكنه يراوغ، ويتناول الأبواب الـــنحوية والصرفية ليدلل على فسادها، ووهن نظريتها، عند النحاة بالدرجة الأولى، ولو أنه دعا كغيره إلى العامية صراحة لأراح، ولَكَان فيمن ردّ على هذه الدعوة ما يكفي مؤونة الردّ عليه، ولكنه آثر أن يلج الأمر من باب آخر، والرجل في داخله مِرجل يفور غضباً على العربية الفصيحة وتراثها، وعلى الـــرغم من أنه يحاول أن يخفي هذا الشعور إلاّ أنه يخور دونه، فيتجلّى في صور الاستهزاء والسخرية والتسخيف التي لا يرمي بها اللغويين وحسب بل اللغة نفسها. ومع هذا فهو يظهر الاحترام للقرآن الكريم ولغته، تصنّعٌ يتجمّل بـــه الوالجون من هذا الباب، البضاعةُ نفسها بالمذاق نفسه، في غلاف جديد برّاق.

أمّــا هذا الداعية الجديد فهو كاتب يسمّى "زكريا أوزون"، وقد وسم باكــورة أعمالــه-كمــا يشير في الإهداء- بِسِمَة، كثيراً ما نراها على وجه المجلات الأسبوعية المثيرة، حتى يسارع المارة إلى اقتنائها، فوسم كتابه بـــ "جــناية ســيبويه" وهو مكتوب بخط أحمر قانٍ كبير، وأسفله عنوان صغير "الـــرفض التام لما في النحو من أوهام"، هكذا بكل بساطة، فهو يعلن الحرب على الأوهام التي تعلقت بالأذهان، ولم تجد مخلّصاً، وقد ضل المتعلمون في بيدائها، فهو ينذر نفسه لهذا الغرض السامي. وعلى ظهر الكتاب فقرة منمقة يقول فيها: "قواعد العربية شكل بلا مضمون، وتعلمها مضيعة للوقت وتشتيت للفكــر، وهي معطيات متخبطة خالية الدلالة، مليئة بالوهم والحشو، لذلك لم ولن يتعلمها معظم الشعب العربي لاستخدامها في الحياة اليومية والعملية...". يتهم ويصدر الأحكام، فهو الخصمُ والحكمُ، ومن عجبٍ أنه ككلّ الدعاة أمثاله كتبوا ونظّروا وعُرفوا باللغة التي ينادون بوأدها!!.

ومــن الجدير بالذكر ههنا، أنني وقعت بعد تمام البحث على كتابين آخــرين لـــــ" أوزون" تــناول فيهما إمامين جليلين، الأول وسمه بـــ"جناية الشافعي" وتلاه بعنوان صغير "تخليص الأمة من فقه الأئمة"، والثاني "جناية البخاري" وتلاه بـــ" إنقاذ الدين من إمام المحدّثين"، وقد نهج فيهما منهجه في الكــتاب الذي نتناوله ههنا، والرجل -كما يبدو- يؤدي رسالة سامية، فهو مخلّــصٌ، لا يلقي على عاتقه تخليص الأمة من عربيتها الفصيحة، بل ومن فقهها أيضاً.

بادئـــاً هــذه العــنوانات لم تَعد تَسمن أو تَغني من جوع[٢]، لا لأنا متعــبدون في محراب سيبويه، ولا لأنا نقدس كلّ قديم على علاته؛ بل لأنها تفرغ محتواها قبل أن تبدأ. فلئن كان سيبويه أعجمي الأصل فليس بأعجمي اللــسان، مَثَله في ذلك مثل البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والسيرافي وأبي عليّ الفارسي وابن جني والجرجاني ممّن شادوا هذه الحضارة العظيمة وقدموا للعربية خدمة جليلة جلّ نظيرها، لا يمكن لأي منصف إلا أن يعترف لهــم بالفضل، وخلوص النية في خدمة هذه اللغة الجليلة، وسيبويه بعد ذلك يصيب ويخطئ، فلم يَدّعِ لا هو ولا غيره من الذين اشتغلوا باللغة العصمةَ، ولا نــسبها إلــيهم أحد. والكاتب يضعه في مقام الجاني، ومصطلح الجاني مفهوم وتَبِعاته معروفة. وهو يُنصّب من سيبويه رمزاً للغة العربية الفصيحة ودعاتها، فلمَ هذه الإساءة إليه، وما الغرض منها؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ ما أتى به النحويون لا يخلو من التعقيد واللَّبس في كثيــر من المواضع، وينبغي أن يُتناول بالإصلاح والتشذيب والتيسير، ولا ينكر هذا إلا مكابر. ولكن أيّ إصلاح؟ إنه الإصلاح الحقيقي القائم على النقد البنّــاء، الــذي يــسعى إلــى أن تكون اللغة مُخَلّصة من الشوائب والهَنات، والتمــرينات العقلــية، لا إصلاح من يرفع راية تخلفها وقصورها، ويتعقّب سقطات النحويين واللغويين أو ما يُخيّل إلى القراء أنه سقطات، ليدفعهم إلى التخلي عنها ونبذها.

أمّا كتاب "أوزون" فيتألف من ست وسبعين ومئة صفحة، من القطع المتوســط، وعلــى ما فيه من التجاوزات، وإلقاء الآراء بلا روية، وعرض

---

٢. وقد وقعت أثناء كتابة هذا البحث على كتاب " لتحيا اللغة العربية، يسقط سيبويه" لشريف الشوباشي.

للمـــشكلات دون طرح للحلول، فإنه لا يمكن أن يُتَجاهل بحجة سخافة الكثير من الآراء التي يحفل بها، وأن إهمال مثل هذه الكتب أجدى من الردّ عليها، فالكاتـــب يتـــبع منهجاً لا مندوحة من الردّ على طروحاته. ولعل الذي يقوي الدافـــع إلـــى هذا الردّ أن الكتاب صادر عن دار نشر من أكثر الدور شهرة وهـــي دار ريـــاض الريّس، وهي تبوء بجزءٍ كبير من تبعات نشر مثل هذه الكتب.

ونحـــن لا ندعـــو إلى الحجْر على حرية الرأي، ولا مصادرة حق الكاتـــب فـــي إبـــداء رأيه، ولكن كان يحسن بدار مثل هذه الدار أن تعرض الكتاب على بعض المختصين لتقويم المادة العلمية التي يطرحها الكاتب، فهو لا يكتب رواية، ولا يستعرض مذكراته وخواطره، بل يتناول موضوعاً من أكثـــر الموضـــوعات حساسية، بمنهج ولغة بعيدين عن الموضوعية، إلاّ إن كانت تدعم مثل هذه الاتجاهات وتغذيها، وذلك شأن آخر.

غيـــر أن الكـــتاب نُـــشر وخرج للناس في غلاف براق، ولا بد من مناقشته وتحليل ما فيه من طروحات وآراء، من وجهة نظر دلالية بالدرجة الأولـــى، وهي تهدف إلى التجلية الدلالية وراء الموضوعات والأبواب التي حاول "أوزون" نقدها، ورميها بالعبث؛ بتحريفها أو إيهام القارئ بمسلمات لا تمت إليها بصلة. وهذا المجال الدلالي ينبغي أن يستكثر منه الدارسون؛ لأنه آمـــن الـــسبل للرد على مثل هذه الدعوات، بل المغامرات، التي تستغلّ هذا الفراغ، فتملؤه بهذه البضاعة الرديئة.

وتجـــدر الإشارة ههنا أنني وقعت قُبيل فراغي من البحث على بحث فـــي مجلة" التراث العربي " للدكتور نبيل أبو عمشة[٣]، يتناول كتاب "زكريا أوزون" بالـــنقد، فـــوجدت كـــأن بيننا اتفاقاً على تناول هذا الكتاب، فمعالجة الدكـــتور نبـــيل في جلها موجّهة إلى جوانب أخرى من طروحات الكاتب، تظهـــر قـــصوره، واضـــطراب مذهبه، سواء أتناول موضوعات أخرى لم يتـــناولها الـــبحث أو تناول الموضوعات نفسها من جانب غير الجانب الذي عرضت له.

أمّا أوزون فيستهل كتابه بالإهداء، فهو يهدي باكورة أعماله إلى كل مـــن يحترم العقل ويقدره ويحتكم إليه، وإلى كل من أضاء شمعة الإبداع في ظلام التقليد والتبعية، وشمعة الفكر في ظلام القياس والآبائية.... وعلى هذا فخطابـــه للعقـــلاء من أبناء هذه اللغة، الذين يَتُوقون إلى الخلاص من قيود الموروث اللغوي، الذي آن له أن يرحل، على يد السيد "أوزون".

والكـــتاب يقـــع في مقدمة وستة فصول وينتهي بخاتمة، وهو يستهل حديـــثه في المقدمة بالهجوم على العربية؛ إذ يقول[٤]:" اللغة هي أداة تفكير، وأهـــم أســـاليب التواصل بين الناس، وقد شهدت لغات العالم المتداولة اليوم تطـــوراً في ألفاظها وتراكيبها وقواعدها وتمكنت بعض اللغات -كالإنجليزية مثلاً- من غزو معظم الأرض لتصبح لغة بديلة لكثير من اللغات السائدة. أمّا لغتـــنا العربية المقعّدة فبقيت جامدة لا بل تراجعت عالمياً، ولم يعد يهتم بها حتّى أهلها، والسبب في ذلك يعود – برأينا – إلى عنصرين أساسيين:

---

٣. مجلـــة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد٩٣-٩٤، السنة الرابعة والعشرون، آذار وحزيران، ٢٠٠٤، المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤هـــ.

٤ . جناية سيبويه:١١.

أولهما: علم النحو العربي.

وثانيهما: الاشتقاق اللغوي من جذور الكلمة العربية، لاستيعاب المفردات والمصطلحات الجديدة.

وفحوى كلام السيد "أوزون" واضح، فاللغة التي تسود وتغزو الأرض- كالإنجليزية - هي التي شهدت تطوراً في ألفاظها وتراكيبها وقواعدها، أمّا العربية فهي لغة جامدة، تراجعت عالمياً، وقد نبذها أهلها. وأقل ما يمكن أن يقال أن في هذا الكلام مغالطات وتجاوزاً للحقيقة، فنعت العربية بالجمود لا يمكن أن يتصف بالموضوعية، ولو كان الجمود من صفاتها لاندثرت منذ أن صدمتها العلوم الشرقية والغربية إبّان ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، ولكنها طوعتها جميعاً واستوعبت مصطلحاتها ومفهوماتها. وتراجُعُ العرب والمسلمين عن التأثير في الحضارة الحديثة، لاشك أنه ينعكس بشكل كبير على اللغة، بصفتها من أكبر المقومات لهذه الحضارة، أمّا أن نخلص من هذا إلى نعت العربية بالجمود وانتهاء الصلاحية، فلا يمكن أن يقول بذلك شخص ينتمي إلى هذه اللغة انتماء حقيقياً، فضلاً عن نعته بالبعد عن الإنصاف.

وأشدّ من ذلك ما انتهى إليه السيد" أوزون " من أنّ العربية نبذها أهلها لهذا الجمود الذي نسبه إليها، وهذا عسف منه بلا مراء، وجحود واستخفاف بمئات الملايين الذين تهفو أفئدتهم إليها. ولا ندري هل استند في ذلك إلى استبانة معروفة، أم طاف في البلاد العربية والإسلامية فلَقِن هذه الحقيقة؟ فلقد كان جبران خليل جبران- على سبيل المثال- يعيش في الولايات المتحدة قبل نحو قرنٍ من الزمان، وكان يجيد الإنجليزية كأهلها، وكتب بها كتابه"النبي" الذي يعد من أفضل ما كتب في الإنجليزية، ومع هذا

لم يجفُ لغته العربية، وكان شديد التعلّق بها، وسطّر بها جلّ كتبه، ولو وجد منها قصوراً لما احتفل بها أدنى احتفال. أمّا السببان اللذان يعيد إليهما هذا الجمود، وذلك الإهمال – على ما يكتنفهما من الغموض– فسنرى فسادهما.

ويستأنف كلامه قائلاً:"وقد قمت بنقد علم النحو معتمداً على تصنيف النحاة نفسه، فبحثت في أنواع الكلمة :الاسم – الفعل – الحرف"، ويردف قائلاً:"وأظهرت غياب المحاكمة السليمة في قواعد النحو العربي بأسلوب يختلف عن أسلوب القدماء وتراكيبهم ومصطلحاتهم، بعد توخي الإيجاز والتبسيط". ويختم المقدمة بتأكيد الغاية من هذا العمل:" فإنّ هذا الكتاب يمكن أن يكون كتاباً نقدياً وتعليمياً بآن واحد"[٥].

بعد ذلك يشرع الكاتب في عرض فصول الكتاب، ويَسِم الفصل الأول بـ"زبدة الكتاب في بدايته"، ومشكلة الأستاذ "أوزون" تتبدّى في كلّ فقرة من فقرات كتابه، فالرجل يطلق أحكاماً لا تستند إلى الواقع، وهو يرمي من وراء ذلك التمهيد إلقاء فكرته التي يلحّ عليها في كل الكتاب، وهي نبذ العربية الفصيحة، بل وتراثها، كما سنرى.

وهو يستهل الفصل بذكر مشاعر الخوف التي تنتابه؛ لأن السادة العلماء – هكذا – ومن بعدهم النحاة قد ربطوا النحو بالقرآن الكريم، فجعلوه كالقرآن لا يحق لأحد نقده أو معارضته"[٦]. ولا ندري من أين يستقي هذه المسلمات، وكيف لم يطلع على مئات بل آلاف المجلدات التي يتخذها النحويون ميداناً، يسجّل كلّ منهم رأيه ومذهبه؟ ولو قال إنّ بعض النحاة انتمى إلى القاعدة المطّردة أكثر من انتمائه إلى النص لكان صحيحاً،حتّى

٥. نفسه: ١٢.

٦. نفسه: ١٣.

وصل ببعضهم وهو المبرّد إلى أن يرفض قراءة سبعية لأنها تخالف تلك القاعدة، إذ يقول[٧]:" لو صلّيت خلف إمام يقرأ "ما أنتم بمصرخيِّ"[٨] و"واتقوا الله الذين تساءلون به والأرحامِ"[٩] لأخذت نعليّ ومضيت". بل بلغ بنحوي مثل الرضي أن يقول[١٠]:"لا نسلّم تواتر القراءات السبع". فهلاّ اطلع "أوزون" على هذا وأمثاله؛ ليرى موقع رأيه من هذه القضية؟ ثم فلننظر إليه حين يقول: العلماء، والنحاة، ما هذه المصطلحات، وما الفرق بين العلماء والنحاة؟ أم يقصد بالعلماء علماء الفقه. والقارئ يطالع إضافة إلى ذلك مصطلحاً يكرره كثيراً وهو أهل اللغة، وهذا جانب هامّ من جوانب إخفاق الكاتب وركاكته، في بسط أفكاره المشوهة أصلاً.

وهو يطرح تسعة أسئلة على مائدة البحث قبل الشروع في عرض فصوله، ومن المهم ذكر هذه الأسئلة، وتحليل مضمونها ومناقشتها لسببين؛ الأول لمعرفة فكر الكاتب بصورة واضحة، والثاني لأنه سيبني عليها كلّ آرائه اللاحقة[١١]:

الأول: هل قواعد اللغة العربية منطقية؟

الثاني:هل قواعد اللغة العربية عقلانية؟

الثالث: هل يتقن ناطقو اللغة العربية قواعد لغتهم؟

---

٧. تفسير القرطبي: ٢/٥.

٨ .إبراهيم: ٢٢، (الشاهد فيها كسر ياء مصرخيِّ).

٩ . النساء: ١،(الشاهد فيها عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور).

١٠. شرح الكافية:٣٢٠/١.

١١. جناية سيبويه:١٤.

الرابع: لماذا أخفق ويخفق الطلاب – على اختلاف مستوياتهم العلمية – بفهم وتطبيق قواعد النحو العربي؟ علماً أن منهم المتفوق في العلوم الرياضية والفيزياء الكيميائية.

الخامس: لماذا نشأت اللهجات العربية في مختلف أرجاء الوطن العربي، ولم تعتمد قواعد اللغة العربية؟

السادس: هل نجح سيبويه وأتباعه وكل أهل مدارس النحو في عقلنة قواعد اللغة العربية؟

السابع: هل مفردات أجدادنا العرب القدامى كافية؟ وهل استطاع نتاجهم الأدبي أن يعطي صوراً في الوصف تفوق صورنا اليوم؟ وهل يمكن لتلك المفردات أن تستوعب المسميات كافة في أيامنا المعاصرة؟

الثامن: هل اتّبع القرآن الكريم قواعد اللغة العربية؟ وهو – هكذا – سؤال هام جداً وخطير جداً وحساس جداً؟

التاسع: لماذا لم تنتشر لغتنا العربية في أيامنا المعاصرة، وتقهقرت لتبقى محصورة في معظم أهلها فقط؟

وهذه الأسئلة لو طرحها مستشرق يتلمس طريقه في العربية لما كانت مقبولة منه، فكيف برجل يزعم معرفة شعابها؟ ولكن "أوزون" يبغي من ورائها أن يصل إلى إقرار بتخلف اللغة العربية، وأن العصر تجاوزها، وهي تتجاهل حقائق عن قصد، لا بد من ذكرها قبل بهر القراء بهذه الأسئلة.

فالسؤال عن منطقية اللغة لإقامة الحجة عليها لا يخلو من الإجحاف، فاللغة في كثير من وجوهها كالدين، تستند إلى شيء من المنطق، ولكنه لا

يقـيدها، ولا يـشترط لوجودها وتداولها واشتهارها، أو خمولها واندثارها، فمنطقية الإنجليزية ليست هي التي وراء انتشارها في العصر الحديث، وبُعد العـربية عـن هذا المنطق المزعوم ليس سبب خمولها وتقهقرها، والعكس صـحيح في انتشار العربية وازدهارها في القرون الوسطى، وتقهقر غيرها من اللغات الغربية والشرقية. وللنظر إلى قول ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) (١٢): "فلما ملك التتر والمغول بالمشرق ولم يكونوا على دين الإسلام...فسدت اللغة العـربية علـى الإطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك ... وربما بقيت اللغة العـربية المـضرية بمصر والشام والأندلس... وأما في ممالك العراق وما وراءه فلـم يبق لها أثر ولا عين، حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي وكذا تدريسه في المجالس". فهل يرى"أوزون" أن هذا الذي يوثقه ابن خلدون من تقهقر العربية آنذاك لعجزها وبعدها عن المنطق؟

ومسألة العقلانية هي المسألة نفسها، وربما كان من السخف أن يقول الكاتـب:" إن سيبويه لم ينجح في عقلنة اللغة". وهذا السؤال على ما فيه من الغموض، فهو لا يخلو من الخلط والجهل بطبيعة اللغة، والذي يزيد المسألة بُعداً، إجابة " أوزون"؛ إذ يقول(١٣):" والسبب ببساطة يعود إلى أن سيبويه – كونه فارسي الأصل– قام بوضع قواعد لأمثاله في ذلك الوقت كي لا يلحنوا في لفظ كلمات اللغة العربية".

وعلى ركاكة هذا الأسلوب فإنه اجتراء لم نسمعه من غير "أوزون"، وهـو يـؤكد أن هذا الرجل لا يعرف سيبويه ولا كتابه. وهو يستخف بعقل القارئ حينما يدّعي بأن سيبويه صاغ قواعده على حين غفلة من أهلها، وأنه

---

١٢. مقدمة ابن خلدون:٣٥١-٣٥٢.

١٣. نفسه: ١٨.

كان يعلّم العربية للناطقين بغيرها. فلمن كانت عشرات الشواهد التي بين دفتي الكتاب؟ ألم يقرأ تعليق عبد السلام هارون في فهارس الأعلام؟ أنه لم يورد اسم الخليل بن أحمد، لكثرة وروده المفرطة(١٤)، وقد أحصاه غيره فكان أكثر من ٥٠٠مرة(١٥). وهو من أكابر شيوخ العربية، فضلاً عن العلماء الآخرين، الذي شادوا بناء العربية، وهم جميعاً الأساس الذي قام عليه "الكتاب". فسيبويه ينقل ويحلّل الظواهر اللغوية، ولا يبتدع لغة من عند نفسه، حتى يصوغها على قواعد العقل والمنطق. ولو اطّلع الكاتب على صراع النحاة في قضية الشواهد النحوية واللغوية، ومحاولة تطويعها لتتناسب والقاعدة، لعلم الإشكالية الكبيرة في تحديد طبيعة اللغة ووظيفة اللغوي.

إن الصراع الذي ترك الأثر الأبرز في المسار اللغوي هو صراع مَنْطَقَة اللغة، وقد قاومه كثير من اللغويين؛ لأنه ينقض طبيعة اللغة، ولعل موقف أبي علي الفارسي(ت٣٧٧هـ) من منهج الرماني(ت٣٨٤هـ) في هذا الصدد أوضح مثال، وقد كان الرماني يمزج كلامه بالمنطق، حتى قال أبو علي الفارسي(١٦):إن كان النحو ما يقول الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء". وكذا المناظرة التي سجّلها التوحيدي(ت٤٠٠هـ) في "الإمتاع والمؤانسة"، بين أبي سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) ومتّى(ت٣٢٨هـ) الذي انتهت إليه رئاسة المنطقيين في زمنه، وأنا هنا أسجّل وجهاً مهماً منها، "قال أبو سعيد السيرافي(١٧): حدّثْني عن المنطق، ما تعني به؟.. قال متّى:أعني به أنه آلة من آلات الكلام، يُعرف به

---

١٤. الكتاب: ١٧٦/٥.

١٥. علي النجدي ناصف في "سيبويه إمام النحاة": ٩٣.

١٦. ينظر: معجم الأدباء: ١٨٢٦/٤.

١٧. الإمتاع والمؤانسة:١٠٩/١.

صـــحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، كالميزان فإني أعرف بــه الرجحان من النقصان، والشائل من الجانح. فقال أبو سعيد أخطأت؛ لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف؛ إذا كنا نــتكلم بالعــربية؛ وفاســد المعنى من صالحه يُعرف بالعقل؛ إذا كنّا نبحث بالعقــل". وكـــلام السيرافي لم يتنكّب جادة الصواب. هذه هي الخلاصة، فلا يمكــن أن يحكـــم المنطقُ اللغةَ كما مرّ، وإن كانت اللغة كالدين في موافقتها الكثير من وجوه المنطق.

أمّـــا إتقـــان ناطقي العربية للغتهم فليس بحجة على من أراد نقضها والإزراء بها، وما من لغة في العالم يحسنها أهلها على المستوى نفسه. على أنـــنا لا ننكـــر أن مشكلة العربية أعمق من غيرها، لظروف عقدية بالدرجة الأولـــى، وليس هناك محلّ للزجّ بالعلوم الرياضية وغيرها في هذا المجال، ففــضلاً عـــن أن من يتقن هذه العلوم قليل، فمشكلات اللغة تختلف اختلافاً جذريا عنها.

أمّـــا لماذا نشأت اللهجات ولم تعتمد قواعد العربية؟ ففضلاً عما ذُكِر فمـــا أظن أن أحداً يتمتع بقدر من المعرفة اللغوية تفوته الإجابة. وهل يرى الـــسيد "أوزون" أنه من الممكن أن يتوحد الناس على العربية الفصيحة، في ظـــلّ مجـــتمع ممـــتدّ مـــن المحـــيط إلى الخليج؟ على ما فيه من الأعراق والانـــتماءات والصراعات، فضلاً عن تفشي الأمية والتخلف والفقر، وفوق ذلك كله غياب الإرادة الرسمية لتبني هذه القضية.

وســـؤال أوزون عـــن كفايـــة المفـــردات اللغوية القديمة لمعطيات الحضارة الحديثة، أشدّ غرابة ولا وجه له، فأي لغة حية في هذا العالم يمكن أن تكتفـــي بمفـــرداتها وتجتـــرها فـــي كل عصر؟ وأيّ لغة في العالم لديها

مـــسكوكات لغوية جاهزة عند الحاجة؟ ومن ذا الذي أنبأه بأنّ العربية تجترّ ألفاظهـــا وتراكيبها منذ العصر الجاهلي؟ ومن يطّلع على مؤتمرات المجمع اللغـــوي فـــي القاهرة، وما أفضت إليه من مناقشة مسائل كبرى في العربية وعلى رأسها القياس والتضمين[١٨]، وما أقرّته تلك المؤتمرات من الأساليب والتراكيب والألفاظ يرى حيوية هذه القضية، وموقف العربية منها. وثمة بونٌ شاسع بين التنويه بهذه الحقائق وبين الإقرار بأنّ العربية تفتقر إلى الكثير من الجهود في هذا الصدد.

ثـــم يطـــرح " أوزون " السؤال المهم والخطير والحساس وكلّ هذه الـــنعوت متـــبوعة بــــ"جداً"، "هل اتبع القرآن الكريم قواعد اللغة العربية"؟ ويعقّـــب قـــائلاً:[١٩]"ينبغي لفت النظر إلى أنّ القرآن الكريم معرب في علم النحو بشكل كامل في كثير من كتب اللغة، إلاّ أنه غير مفسّر بشكل متطابق ومطلـــق عـــند أهـــل الفقـــه وعلمـــاء الإسلام كافة"، وعلى ركاكة العبارة، وغموضـــها والعـــيّ الذي يتنبّه إليه من له أدنى حسّ لغوي، فقد تكفّل مثاله الآتـــي بتوضـــيح مقصوده؛ إذ يردف قائلاً[٢٠]:"فمثلاً الآية التالية من الذكر الحكيم[٢١]"ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا" يُعرب النحاة "ما" بعد " إذا " زائدة... إذاً نحوياً يمكن إسقاط "ما" بعد " إذا "، ويستدرك مستغفرا:" ولكن حاشا لله أن يكون في كلامه زيادة أو حشو، فهو الحقّ وكلماته الحق".

---

١٨. ينظر: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً.

١٩. نفسه: ٢٢.

٢٠. نفسه:٢٢.

٢١. البقرة: ٢٨٢.

وقـــد أفرد باباً للكلام على "ما" وزيادتها في الفصل الرابع[٢٢]، وممّا تـــناوله أيضاً قوله تعالى[٢٣]:"أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" وانتهى إلى قوله:"ألا يستحي أهل اللغة والنحاة من إعرابهم وتأويلهم عندما يعتبرون "ما" زائدة في كلام الله عزّ وجل"، وهو يعيد مصطلحي "النحاة وأهل اللغة" كثيراً، ولم يتحفنا بالفرق بينهما، ونحن لا نعرف للغة أهلاً غير المتكلمين بها. ومن عجب أن "أوزون" الذي يسعى إلى هدم بنيان هذه اللغة الشريفة، ويهتبل كلّ فرصـــة للنيل منها، ينفطر قلبه حزناً على ما يزعم من سوء أدب النحاة مع النصوص القرآنية.

ويـــبدو أنّ انـــشغال السيد "أوزون" بالكتابة يحول بينه وبين المطالعة والتقصّي، فهذه كتب النحو التي لا يستشهد بها استكباراً، تملأ رفوف المكتبات، فهلاّ نظر في معنى الزيادة فيها. الزيادة ههنا لا تعني الهذر والعبث، والكوفيون ينعـــتونها بمـــصطلح "الـــصلة"[٢٤]، ومن النحاة من ينعتها باللغو أيضاً، ولعل "أوزون" لـــم يقع على هذا المصطلح، وإلا لكان له عنده شأن. ويكفي أن أنقل قول الهروي(ت٤١٥هـ) وهو من أوائل من صنف في الحروف والأدوات؛ إذ يقول في قوله تعالى:[٢٥]" إن الله لا يستحيي أنْ يضرب مثلاً ما بعوضة"[٢٦]:" مـــا " صـــلة فـــي ذلك... ويسمّي بعض النحويين "ما" الصلة زائدة ولغواً، وبعـــضهم يـــسميها توكـــيداً للكـــلام، ولا يـــسميها صـــلة ولا زائدة، لئلا

---

٢٢. جناية سيبويه: ٩٩ وما بعدها.

٢٣. الإسراء:١١٠.

٢٤. ينظر على سبيل المثال:معاني القرآن، للفراء:٨/١، ٢١، ٢٢، ٤٦، ٥٧، ٥٨، ١٧٢، ١٧٦، ٢٠١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٧٦،٣٥٠، ٣٧٤، ٤٠٩، ٤١٥،٤٧٤. ومجـــالس ثعلـــب: ١٠٢/١، ١٥١، ١٩١، ٥٥١.

٢٥. البقرة:٢٦.

٢٦. الأزهية في علم الحروف:٧٨.

يظن ظانّ، أنها دخلت لغير معنى البتة، وإنما يُعرف أن الحرف صلة زائدة في الكلام بأن حذفه لا يخل بالمعنى".

هـــذا هـــو مفهوم الزيادة عند العرب قبل أن يكون لدى النحاة (٢٧)، فهـــي زيـــادة من قِبَل أن البنية التركيبية لا تحتاجها، لا البنية الدلالية؛ لأن دخولها من هذا الوجه ليس كخروجها. وقد رصد الدكتور محمد عبد الخالق عـــضيمة رحمـــه الله(ت١٩٨٤م) في سفره العظيم" دراسات لأسلوب القرآن الكـــريم" كماً كبيراً من مواضع زيادة "ما"(٢٨) و "لا"(٢٩). أمّا إن أراد إجابة أوسع مدى عن السؤال"هل اتبع القرآن الكريم قواعد اللغة العربية؟ فنقول له " نعـــم" ممتدة، فهناك فرق بَيّن بين القواعد والقاعدة المطردة، وهل اختلاف بعـــض وجوه القراءات عن القاعدة العامة المطردة، طعن في هذه القواعد، وإجازة لـــ"أوزون" وغيره للخروج عليها؟

ويجـــيب "أوزون " عـــن السؤال التاسع وهو تقهقر العربية وعدم انتشارها" بسببين:

أولهمـــا: الـــتخلف العلمـــي والفكـــري والاقتصادي الذي يعيش فيه مجتمعنا العربي.

ثانيهما: تعقيد قواعد لغتنا وجهل القائمين عليها.

---

٢٧. وقد ذكر الفراء ذلك كثيرا، في "معاني القرآن"، ومنه على سبيل المثال: ١/٨، ٢١، ٢٢، ٤٦، ٥٧، ٥٨، ١٧٢، ١٧٦، ٢٠١، ٢٤٤.

٢٨. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم الأول، الجزء الثالث:١٣٢وما بعدها.

٢٩. دراسات لأسلوب القرآن الكريم:القسم الأول، الجزء الثاني، ٥٦٩وما بعدها.

والأول حــقّ، أمّا الثاني فباطل ولا يخلو من المبالغة، بل الجحود، فــإذا كان التعقيد هو الذي يحول بين العربية وبين الانتشار، فكيف يفسر لنا "أوزون" أنهــا كانت لسان الحضارة في كل حواضر الأمة الإسلامية، ابتداء بالمديــنة المــنورة، ومــروراً بالحواضـــر العــراقية، والشآمية والمغربية والأندلــسية، حتـــى أقاصـــي آســـيا. وكيف ساغت لابن حيان، وابن سينا والفارابـــي، والخوارزمـــي، والإدريسي، وابن خلدون وآلاف أمثالهم، وقد أخـــذوا من كل علم. إن إعادة سبب تقهقر العربية وعدم انتشارها في العالم إلـــى تعقيدها، ومنافاتها للعقل فيه من الجهل والتغاضي عن أوضاع العرب والمــسلمين فـــي عصرنا الحاضر ما فيه، وهل – يا سيد أوزون– اللغة إلا انعكاس لحالة أهلها في مناحي حياتهم كافة؟ وهل رأيت كيف بعث الصهاينة العبرية من مرقدها، بعد أن علَو علواً كبيراً؟

ويريد " أوزون " من كلّ هذه الأسئلة إلى أن ينتهي إلى فكرة أقل ما يمكــن أن يقال فيها أنها هجينة، فقواعد العربية – كما يقول– لا تستطيع أن تــؤدي دورهـــا المطلوب، بينما استطاعت لغتنا العريقة والجميلة أن تنتشر لتختلف اللهجات فيها انطلاقاً من مفرداتها الغنية والكثيرة، ويضرب مثلاً فهمَ الـــناس فـــي الوطن لعربي الحوار في الأفلام والتمثيليات التي تتكلم اللهجة المـــصرية. وهـــو يستدرك قائلاً(٣٠):" وقد يقول أحدهم هل تريدنا أن نتكلم باللهجة العامية، ونترك اللهجة الأم واللغة الأم لغة القرآن الكريم، فأقول له: مهـــلاً يـــا سيدي فأنت تركتها في الواقع، والدليل على هذا وجود اللهجات.. وإن حوارك مع أفراد أسرتك أو مع نفسك هو بالعامية.. وهل ألغى رسولنا الكريم (صلّى الله عليه وسلم) لهجات القبائل بعد البعثة؟ .. لقد سمح الرسول الكــريم(صـــلّى الله عليه وسلم) بقراءة القرآن الكريم بقراءات مختلفة... إن

٣٠. نفسه: ١٧– ١٨.

القــرآن الكــريم نزل بلغة قريش حسب قول عثمان(رضي الله عنه).. ولا أظــنكم تطلــبون من كلّ مسلم أن يقوم بقراءة القرآن الكريم كاملاً، وبنفس لهجة قريش".

هــذا ما ينطوي عليه فكر "أوزون"، ولو تركنا انحراف هذه الفكرة، واســتخفاف صــاحبها بالقــارئ، وبعده عن الانتماء إلى الحضارة والتراث العربي الإسلامي لوجدناه يهرف بما لا يعرف، فكيف ساغ له أن يوازن بين اللهجات العربية التي هي لُحمة العربية الفصيحة وسداها، وهي بعدُ حجةٌ،كما قــال ابن جنّي(٣١)، ليسوي بها خليطاً مبتذلاً من اللهجات التي تستقي من كل وجه، وهل هذه هي عقلنة اللغة التي يدعو إليها؟

و" أوزون" يــسير على غير هدى، خبطَ عشواء، وكأنه معنيّ بالحطّ مــن العــربية ومــن ينتــسب إليها، فهو لا يدع سبيلاً إلى ذلك إلا ركبها، يقــول(٣٢):" فنقول إنّ لغة أجدادنا القدامى في الجاهلية والإسلام لم تعطِ ذلك النــتاج الــرائع فــي الشعر أو النثر، وإنما كان نتاجاً لا يزيد بأي حال من الأحوال عن نتاجنا، إن لم نقل إنه أقل منه في جوانب كثيرة. هكذا كما يقال بجرّة قلم ألغى كل فضيلة إبداعية ولغوية للقدماء بشعرائهم وناثريهم.

وكلام أوزون هذا يضاف إلى ما جاء في سؤاله السابع، وهو يرمي إلــى مــسألة الوصف، والكلام على قضية الموازنة بين القدماء والمحدثين بهــذه الــصورة لا وجه له، ويتجاهل أبسط مبادئ النقد الأدبي، فلكل أديب قدرتــه وملكته، التي تبلغ به المنزلة التي يستحقها بما أوتي من الإمكانات، وفــي ضــوء المعطيات المادية والمعنوية التي تكتنفه، قديماً كان أم حديثاً،

---

٣١. الخصائص: ٢/١٠-١٢.

٣٢. جناية سيبويه: ١٩.

ولكــن "أوزون" يرمي من هذه الموازنة الحطّ من قيمة التراث العربي وما يمثله من رموز.

ولننظــر كـيف اخــتار شاعراً من أكابر شعراء العربية، عند أهل الفــصاحة والبيان، قبل أن يكون لدينا؛ إذ يقول[٣٣]: فلنأخذ على سبيل المثال بيــتاً لطالما تغنّى به أساتذة اللغة العربية ولطالما عشقه هُواة الشعر العربي القديم، أنه بيت للشاعر الكبير امرِئ القيس من معلقته، وهو:

مِكَرّ مِفَــر مُقْبِــل مُدْبِر معــاً كَجلمودِ صَخْرٍ حَطّهُ السيلُ مِن عَــلِ

يقــول فيه:"فلو أننا رضينا معهم – مجاملةً – بقبول الشطر الأول من البيت سنجد بأن معنى الشطر الثاني قد فَرّغ معنى الشطر الأول من محتواه تماماً، ففي الشطر الأول حركة تقدم وتأخر، أما صورة الشطر الثاني... فهي باتجاه واحد فقط، لأن الصخرة لا يمكنها أن تتحرك تحت تأثير وزنها الذاتي وبفعل الــسيل إلا باتجــاه واحــد من الأعلى إلى الأسفل، فأين منطقية هذا البيت؟ صورة لا أرى فيها جمالاً، وهي الأجمل عند أهل اللغة.

ثم لنأخذ بيتاً تصويرياً آخر وهو:

له أَيْطَــلا ظبيٍ وساقا نعامــةٍ وإرخاءُ سَرحانٍ وتقريبُ تَتْفُــلِ

فــإذا نجــح القارئ في فك رموز ومعاني تلك المفردات والكلمات وجد نفسه أمام صورة رائعة من صور أفلام الكرتون.. والتي يمكن للكمبيوتر أن يرســمها لنا لإمتاع أطفالنا بها. تخيّل حصاناً له خاصرتا غزال وساقا نعامة

٣٣. نفسه: ٢٠.

وجــري الــذئب، ولعل في فلم "حرب النجوم" ما يوضح الفكرة التي نحاول شرحها".

ويبدو أن الرجل ماض في تسخيف كل ما في التراث من القيم، فإذا كانــت قــريحة رأس شعراء العربية تنتج كل هذه الهلوسات فكيف بمن هم دونه؟ وأقول لــ"أوزون": هل تنتظر منّا أن نهنئك على اكتشافك هذا، بعد أن عفــت القــرون، وتبلدت الأحاسيس وخار البلغاء وعجز الفصحاء، عن فهم لغتهم، فأبصرتهم بمواضع السخف والسذاجة؟ وما على من أفقد نفسه حاسة الشمّ، ألاّ يميز بين حامل المسك ونافخ الكير؟

لا نقــدس التراث، ولا ننــزهه، ولكنّا نحلّه حيث يستحق أن يحل، أرأيت لو أن شاعراً كامرئ القيس يبلغ حداً من هذا السخف الذي ترميه به، أيستحق المنزلة التي أحله بها النقاد والفصحاء ممن يبلغ منزلتك؟! وهل تظن بأن شاعراً يخصص من معلقته ثمانية عشر بيتاً؛ أي ما يوازي ربع المعلقة تقريباً لِوَصْف حصانه يبلغ هذا المدى من الجهل الذي تصفه به؟ أوَ تظن بأن هــذه الحركة الدائبة في الشطر الأول من بيته "مكرّ مفرّ ..." يعمد إلى قتلها فــي الشطر الثاني، لأنه يجهل فيزياء الطاقة، وقوانين الحركة؟ ألا تظن أن امــرأ القيس أراد أن ينعت حصانه بالصلابة والتماسك وسرعة وصوله إلى هدفــه فــي كل صورة رسمها له في الشطر الأول؛ في كرّه وفي فرّه وفي إقباله وإدباره... كما ينقضّ الحجر الصاد الذي حطه السيل من عل. فالشاعر لا يقــصد أن يــركم تشبيهاته لحصانه في الشطر الأول، ويضعها في مقابل الــصورة في الشطر الثاني، وامرؤ القيس يكرّر هذه الصورة لحصانه في الشطر الأول، في بيت آخر، قد يبدو أشد غرابة، وهو قوله[٣٤]:

---

٣٤. ديوانه: ١٦٦.

مِخَشٌّ مِجَشّ مقبل مدبر معاً   كَتَيْس ظباءِ الحُلّبِ العَدَوانِ

فكيف تستقيم هذه الصورة في ضوء فكر الأستاذ "أوزون"؟

أمّا بيته الثاني " له أيطَلا ظبي..."، فهو يشكّل صورة أسطورية لهذا الحصان رمز القوة والمنعة، وينعته بكل ما حسن، فهو مزيج بين التركيب والحركة، فيأخذ من الظبي دقة خصره ومن النعامة- وهي أسرع طائر في الركض على الإطلاق - صلابة ساقيها وقصرهما، مع طول فخذيها، وهي صفة محمودة في الخيل، ومن الذئب والثعلب الإرخاء والتقريب وهما صفتان مميّزتان لأحسن الجري، وهذه بمجموعها لوحة بلاغية ناصعة، وليست صورة لمسخ ولا دمية كرتونية، ثم لينظر الأستاذ أوزون إلى قوله تعالى: (طلعها كأنه رؤوس الشياطين)، فكيف يتخيل - على مذهبه - هذه الصورة؟

وهو في نهاية الفصل يطلب من القارئ أن يتهيأ للدخول إلى أبحاث الكتاب، وهو -كما يقول- لا يدعي العصمة ولكنه يبغض التقليد والنقل من دون إعمال العقل، وقد رأينا تجليات هذا العقل وثمرات هذا الإعمال!!

ويستهل الفصل الثاني "الكلمات والجمل"، بالكلام على أقسام الكلمة، إذ يقول[٣٥]:"تقسم الكلمة عند أهل اللغة إلى ثلاثة أنواع: اسم وفعل وحرف، وهنا علينا أن نصوّب قبل الدخول في التفاصيل بأن مصطلح الحرف يجب أن يستبدل بأداة حتماً، فمثلاً " عن " مؤلفة من حرفين وليست حرفاً واحداً، و" إلى " مؤلّفة من ثلاثة أحرف... وهكذا، وعليه يجب أن يصحح هذا النوع بالقول "أداة" عوضاً عن "الحرف"، وذلك كي يتم التطابق بين الدالّ والمدلول".

---

٣٥. جناية سيبويه: ٢٥.

وأقول ههنا كأن السيد أوزون يوحي بأن مصطلح " الأداة " من بنات أفكاره، وقد أطلَقَه الكوفيّون قبله على ما شاعَ عند البَصريّين بحروف المعنى[٣٦]، والفراء يستخدمه كثيراً في معانيه[٣٧]. والإشكالية أن النحاة لم يلتزموا هذا الاستخدام، ونجد الفراء يطلق "الأداة" على نوني المثنى وجمع المذكر السالم[٣٨]، وعلى اسم الفعل[٣٩]، كما يطلق الحرف على القراءة القرآنية[٤٠].

ومع هذا الخلط في استخدام النحاة، فإنّ مسألة اللَّبس لم تكن مطروحة؛ لأن استخدام الحروف والأدوات فيما بعد أصبح راسخاً ومفهوماً. وعلى الرغم من أن من النحاة من يعدّ حروف المعاني أدوات ربط[٤١]، ومن المحدثين من أطلق على أحرف المعاني "أدوات"[٤٢]، ومنهم من يطلق على ما يختلط فيه الحرف مع غيره "كلمات"[٤٣]، إلا أنه غدا واضحاً في الكتب المدرسية بشكل خاص، وعند بعض المدرسين، أن مصطلح الأدوات يستخدم، عندما يضم الباب كلمات تنتسب إلى أقسام مختلفة، فتجدهم يقولون أدوات الشرط؛ لأن فيها حروفاً وأسماء، وأدوات الاستثناء، لأن فيها حروفاً وأفعالاً وأسماء، والاستفهام لأن فيها حروفاً وأسماء، وهو اتجاه تعليمي حسن. والسؤال ههنا، هل ثمة داع ليتأبط السيد "أوزون" هذه القضية المنتهية

---

٣٦. ينظر: الإنصاف: ٤٥، ٤٨، ٢٧٨، ٣٦١، ٣٦٢.

٣٧. ينظر المعاني:١/١٠، ٥٢، ٥٨، ٢/١٢٢، ٢٠٧، ٢١٣، ٣٣٢، ٣٧١، ٣/٨٤.

٣٨. نفسه: ١/١٠، ٢/٣٩٦.

٣٩. نفسه: ٢/٢٣٥، ٢٣٦.

٤٠. نفسه، على سبيل المثال:١/١٦، ١٩، ٢٦، ٢٨، ١٩٢، ٣٠٠، ٣١٥، ٣١٨.

٤١. ينظر النحو الوافي: ١/٦٢.

٤٢. ينظر كلام المخزومي على أقسام الكلمة" في النحو العربي، قواعد وتطبيق".

٤٣. ينظر: التطبيق النحوي، الاستفهام، والاستثناء.

ضـــمناً، ويعـــدها من القضايا التي تؤكد تعقيد العربية، وما الغاية من وراء إثارتها؟

ويخوض في أنواع الجمل، ويقف على الجملة الاسمية، ويعرفها بأنها كلمات مؤلفة من أسماء تجتمع لتعطي معنى صحيحاً مفيداً[٤٤]، وعلى ما في هـــذا التعريف من ركاكة، فإننا نتجاوزه لنرى انعكاس هذا المفهوم على فكر الـــسيد "أوزون". فهو يَنقُض ما تواطأ عليه اللغويون من تعريفها، ويضرب مـــثلاً " الطفلُ سعيدٌ "، ويعقّب قائلاً[٤٥]:"لكننا نلاحظ أنّ العبارة السابقة تفيد الديمـــومة والثـــبات، ويغيب فيها تأثير الزمن ودوره، بمعنى أن الطفل كان ســـعيداً وهـــو سعيد الآن وسيبقى سعيداً في المستقبل، وهذا لا ينطبق على صـــفات البـــشر، لذا فإن مصطلح الجملة الاسمية إن صحّ لا يصلح إلاّ في المعتقدات والحقائق العلمية الثابتة، كقولنا "الأرض كروية"...، و"الله عظيم". ويخلـــص إلـــى قوله:[٤٦]" وعليه، فمصطلح الجملة الاسمية من حيث الدلالة والمعنـــى يحتاج إلى إعادة نظر، كما أن تركيب ما يُسمّى "الجملة الاسمية" يحـــتاج إلى إعادة النظر فيه...وأعترف هنا بأني بعد بحث طويل في قضايا المبتدأ والخبر أدركت معنى قول شاعرنا الكبير الراحل نزار قباني: سأهرب من لعنة المبتدأ والخبر".

والـــرجل يلقـــي رأيه بلا روية ولا تثبّت، ولا نراه يشير إلى مرجع نحـــوي واحـــد في تنظيره ذلك، ومع هذا فهو يفترض مفهوماً جديداً للجملة

---

٤٤. جناية سيبويه: ٢٦.

٤٥. جناية سيبويه: ٢٦.

٤٦. نفسه: ٢٧.

الاسمية، متأثراً – كما يشير – باللغة الإنجليزية[٤٧]. وهذا فهم ساذج ينفرد به "أوزون"، والذي يتجاهل أهم عنصر من عناصر الكلام، ألا وهو الدلالة.

على أنّ ثمة خلافاً في تحديد الجملة الاسمية بين البصريين والكوفيين لا داعي الآن لسرد تفاصيله، ولكنه يتلخص عند الفئتين في مثل جملة "محمد قام"، وهي عند البصريين اسمية، وعند الكوفيين فعلية، تقدم فيها الفاعل، وقد أضـــاف ابـــن هشام جملة ثالثة هي الظرفية، وهي المصدرة بظرف أو جار ومجـــرور، نحـــو: أعندك زيد؟ أو "أفي الدار زيد؟" ويقدر ههنا "زيد" فاعلاً بالظرف والجار والمجرور".

وعـــرّف الدكتور مهدي المخزومي الجملة الاسمية تعريفاً جديداً إذ هي عنده [٤٨]"التي يدلّ فيها المسند على الدوام والثبوت، أو التي يتصف فيها المـــسند إلـــيه بالمسند اتصافاً ثابتاً غير متجدد، أو بعبارة أوضح، هي التي يكـــون فيها المسند اسماً". ويبدو أنّ "أوزون" اطلع أيضاً على شيء من هذا الخـــلاف الدائر أيضاً، فظن أنّ مصطلح الجملة الاسمية يمكن أن يصلح في المعـــتقدات والحقائـــق العلمية الثابتة؛ لأنها تفيد الديمومة والثبات، وهذا فهم أبعد ما يكون عن الصحيح. ولننظر تعليل هذه المسألة عند الجرجاني، حينما يفـــرّق بين الخبر المفرد، والخبر الجملة الفعلية؛ إذ يقول [٤٩]:"... وبيانه أنّ موضـــوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء، وأمّا الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء فإذا قلت: " زيد منطلق "، فقد أثبتّ الانطلاق فعلاً له، من

٤٧. ينظر كلامه في الحاشية رقم(٤):٥٤.

٤٨. في النحو العربي نقد وتوجيه: ٤٢.

٤٩. دلائل الإعجاز: ١٧٤–١٧٥.

غير أن يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً... وإن شئت أن تحس الفرق بينهما من حيث يلطف فتأمل هذا البيت:

لا يألَف الدرهمُ المضروبُ صرّتنا   لكن يمرّ عليها وهو منطلق

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى، ولو قلته بالفعل:"لكن يمر عليها وهو ينطلق"، لم يحسن". هذا قوام المسألة التي التبست على السيد "أوزون"، ولا علاقة للجملة الاسمية بالحقائق الأزلية وغيرها. وهبنا جاريناه في ما ذهب إليه، فماذا نطلق على الجمل الاسمية ذوات الحقائق غير الثابتة؟ إلاّ إن كان مستحدثاً جملة جديدة يسمّيها "الجملة الأوزونية".

ويتناول قضية ثانية من قضايا المبتدأ والخبر؛ إذ يحمل على تعدد الخبر، ويضرب مثلاً "خالدٌ قائدٌ بطلٌ لا يهاب الأعداء"، ويقول معلّقاً(٥٠): "فإننا نرى أن المبتدأ الواحد في تلك الجملة قد أخذ ثلاثة أخبار، وهنا نتساءل كيف يتعدد الخبر؟ فقد أخبرنا عن المبتدأ "خالد" بقائد، والاسم بعده فقد وظيفته، فلم يعد يخبر عن المبتدأ...وهكذا فإننا نرى أنّ قبول مبدأ تعدد الخبر يساهم مع غيره في خلق أم المشاكل في أدبنا العربي –وبالتالي عقلنا العربي– وهي مشكلة الترادف في المفردات والألفاظ".

الحقّ نقول أن السيد أوزون لا تنقضي عجائبه، فبدايةً مسألة تعدد الخبر مستقلة تماماً عن مسألة الترادف، الذي يخشاه على عقولنا، فأي ترادف هذا الذي يتحدث عنه؟ وأين هذا من ذلك؟ فمسألة تعدد الخبر تتعلق بالدلالة التي يفضي إليها تعدد المسند(الخبر).

---

٥٠. نفسه:٢٨.

على أنّ أبا عليّ الفارسي ينكر تعدد الخبر مختلفاً؛ بالإفراد والجملة نحـــو قـــولهم:"زيد عالم يفعل الخير،" فالجملة عنده صفة للخبر[٥١]. واختار الـــصفّار مـــنع تعـــدد الخبر إذا اقترن بعاطف، نحو[٥٢]:" هو فقيهٌ وشاعرٌ وكاتب"، غير أن مناط المسألة الدلالة، وكان يمكن لـــ"أوزون" أن يتناول هذه الآراء وغيرها لو أراد مناقشة ذات جدوى.

فالخبـــر يتعدد كما تتعدد الصفة، ولا يمكن أن يكون تعدد الخبر إلاّ لأن القائـــل متيقن أن السامع محتاج إلى ذلك. والتعدد قد يكون لفظياً ويقصد فـــيه معنى واحد، كما تقول:" هذا حصان أبيض أسود"، أي أبلق، وقد يكون لفظاً ومعنى، نحو:" نشاطنا سياسيّ فكريّ ثقافي"[٥٣]، وهذه الأخبار المتعددة علـــى الجملة تخلص إلى دلالة قائمة على تقديم خبر شامل يتمثّل فيه المخبر عـــنه بهذه الأخبار جميعاً، وقد سجّل الدكتور عضيمة الكثير من الآيات التي تعددت فيها الأخبار[٥٤]. و"أوزون" على فكرته هذه لا يقدم – كعادته – تعليلاً لوجود الأخبار المتعددة، وعلى أي وجه يمكن أن تحمل؟

ويطـــرح قـــضية ثالـــثة فـــي هذا الصدد، ويستهلها بالمثال "المدينة شـــوارعها نظيفة"، ويعلّق قائلاً[٥٥]:"وفي تلك الجملة نرى أن هناك مبتدأين، فالمدينة مبتدأ – آمنّا وصدقنا – أما شوارعها فهي مبتدأ ثانٍ ... فكيف يكون الاســـم بعـــده مبـــتدأ ثانياً، وكيف نسمح لأنفسنا أن نسميه مبتدأ ولم نبدأ به؟

---

٥١. ينظر: حاشية الصبان: ٣٢٥/١، وأوضح المسالك: ٢٢٢/١، والهمع: ٣٤٦/١.

٥٢. ينظر الهمع: ٣٤٦/١.

٥٣. ينظر: شرح المفصل: ٩٩/١، وشرح الكافية: ١٠٠/١، وحاشية الصبان على شرح الأشموني: ٣٢٥/١.

٥٤. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم الثالث، الجزء الأول: ٢٩٢.

٥٥. نفسه: ٢٩.

والأغـــرب من ذلك أن الجملة الاسمية (شوارعها نظيفة) في محلّ رفع خبر للمبـــتدأ الأول، فكيف يتم التأويل هنا؟! هل نؤول الأسماء بالأسماء والأشياء بالأشـــياء ونغـــرب المعاني عن حقيقتها، وما الغاية من ذلك؟ أمور لا يصح المنطق إلا برفضها من أساسها".

وثمـــة معنـــى دقّ عن فهم الأستاذ "أوزون"، فبادئ بَدء، الجملة إذا نـــزلت منـــزلة الخبـــر لم تكن تسميتها جملة إلاّ من باب النظر إلى أصلها الـــسابق، بل أكثر من ذلك فهي ليست كلاماً، ذلك أنها لا تملك كياناً مستقلاً، وهـــذا ينطـــبق علـــى جملـــة صلة الموصول والنعت والحال. وهذه الجملة الإخبارية الكبرى لها وجه من الدلالة لا يتحمله الخبر المفرد. وأمّا اعتراضه علـــى تأويـــل الجملة، فقد يكون له وجه، ولكن المسألة هي تعليمية بالدرجة الأولـــى، وهـــي مظهـــر مـــن مظاهـــر الالتزام بتفسير النصّ، يقول ابن السراج[٥٦]:"لو وقع موقع الجملة اسم مفرد لكان مرفوعاً"، وهذا باختصار هو سرّ الحكم بتأويل كل الجمل، فليست القضية ببعيدة من المنهج التعليمي.

ثـــم يطرح مثالاً رابعاً وهو"الطفل في المنزل"، وينتقد مسألة التعلّق، فيقول:"لماذا لا يكون الجارّ والمجرور متعلقين بخبر محذوف تقديره مسجون مـــثلاً أو حـــزين أو سعيد.. أو غير ذلك من التأويلات التي تبقى احتمالاتها قائمة مثل كائن أو موجود.

ولا يـــسع القـــارئ الـــذي يلـــم بمبادئ لغته ههنا إلاّ أن يقول للسيد أوزون: "ما أجهلك بلغة قومك؟ وفيم اعتراضك، على اللغة أم على النحاة؟ فـــثمة قـــضايا فـــي الخبر شبه الجملة، يمكن أن تكون موضوع خلاف بين النحاة، إلاّ هذه المسألة، فهل يظن "أوزون" أن قائلاً يقول: محمد في المدينة"،

---

٥٦. الأصول: ٦٥/١.

وهــو يعنــي أنه مسجون، أو مريض، أو فرِح، أو غير ذلك من الأوصاف الخاصــة؟ وهل يظن أنّ لغة كائناً ما كانت، تحمل مثل هذه المعطيات يمكن أن تكون لغة صالحة للتفاهم، والاتصال؟ فالخبر هنا عند جمهرة النحاة متعلقٌ بكــون عــام، وسواء أرضينا بهذا التأويل أو رددناه، فالنصّ عربي فصيح مفهــوم الدلالــة، فــــ"محمد في المدينة" يعني هو مستقرّ فيها، و"الطفل في المنــزل"، لا يمكــن أن تنــصرف دلالته إلاّ على وجود هذا الطفل في ذلك المكــان، فــإن أراد القائل أن يزيد على ذلك، وهو الذي يسميه النحاة الكون الخاص، وجب عليه إظهار هذا المتعلق، إلاّ أن يكون في سياق يجليه، كقوله تعالى[٥٧] (الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد)؛ أي يُقتَل، فالدلالة هي الفيصل، وليست اللغة ضرباً من المبهمات.

ويتــناول الأفعال الناقصة، ويضرب فيها بلا وعي ودون مُسكة من علم، أو وقفة من فكر، فبعد أن يتناول تلك الأفعال يعرّج على حالة تمامها، ويذكــر بعض الآيات التي جاءت فيها تامة نحو قوله تعالى [٥٨](سبحان الله حــين تمــسون وحين تصبحون)، ويطرح سؤالاً ساذجاً "هل لنا أن نعرف الفــرق بــين الفعل التام والناقص؟ ويردف قائلاً[٥٩]:"وهنا قد نجد من يقول: مهــلاً فهــذا شذوذ، ولكل قاعدة شذوذها، وأنا أقول له: هذا خروج صريح ياســيدي وليس شذوذاً،... وإنه ليستوي عندي إذا قلت:"كان أحمدُ فائزاً، أو "كــان أحمدَ فائزٌ"، أو "كان أحمد فائزٌ"، فالمطلوب والمدلول وصل إلى العقل ولا حاجة بي إلى رفع أو نصب أوجرّ".

---

٥٧. البقرة: ١٧٨.

٥٨. الروم: ١٧.

٥٩. جناية سيبويه: ٣١.

وغايـــة الـــرجل التي يدور ويدور ليصل إليها هي الدعوة إلى إلغاء الإعـــراب، ولكن المشكلة في سبيله إلى الوصول إليها. وها نحن نراه يفتعل مـــشكلة، ويـــرد القول بشذوذ مجيء الفعل الناقص تاماً، ومجيئه تاماً مجمع عليه، من قبل الدلالة أولاً، لا التنظير. وهذه المعركة الدونكيشوتية وهمية لا يجاوز غبارُها رأسَه.

ثـــم يتناول الجملة الفعلية، وينْقَضّ ههنا على تسمية الأفعال، ويعلّق قائلاً[٦٠]:"وهنا يتضح من تسمية هذه الأنواع أن مفهوم تأثير الزمن وهو أهم ما يميز الاسم عن الفعل غائبٌ عند السادة النحاة، فالفعل المضارع هو حدث "فعل" يحدث في الزمن الحاضر، وقد سمَّوه مضارعاً لأنه يضارع الاسم في حـــركاته، فهو مرفوع مرة ومنصوب مرة ومجزوم أخرى، وعليه فالتسمية تتجاهل الزمن".

أمّـــا تسمية"المضارع" فلننظر قول سيبويه في علة تسميته[٦١]:"وإنما ضارعت أسماء الفاعلين أنك تقول: إنّ عبد الله ليفعل، فيوافق قولك: لَفاعِل، حتى كأنك قلت إنّ زيداً لفاعل فيما تريد من المعنى". ولا ندري كيف يجهل باحـــث يـــزعم أنه أشبع قضاياه بحثاً أن المضارع فعل يمتاز بالحيوية، وأن الـــنحاة لـــم يكونوا غافلين عن هذه الحقيقة، فالمضارع لا يحدث في الزمن الحاضـــر، وهـــذا ينبغي أن يكون فهم شداة النحو لا المصلحين أمثال السيد أوزون. علـــى أنـــنا لا ننكـــر أثر نظرية العامل في تسمية المضارع، كما نعتـــرف بمشكلة تقصّي دلالة الزمن في الأفعال العربية، وأنها حقلٌ خصب يفتقر إلى الكثير من الدراسات، لا التهويش والصياح.

60. نفسه: ٣٥.

61. الكتاب: ١/١٤.

ويتـناول الأفعـال الجامدة، ويردف قائلاً[٦٢]:" وما دمنا نتحدث عن الأفعـال الجامـدة(لاحظ ذلك المصطلح البشع: فعلٌ جامد) فإننا نتذكر أفعال الـتعجب... فلا يحقّ لنا عند أهل اللغة أن نتعجب إلا بإحدى الصيغتين: ما افعلـه! وأفعِـلْ بـ" فتأمل. إنك إذا شاهدت بيتاً جميلاً فإنه يتوجب عليك أن تقول: ما أجمَل البيتَ، أو أجمِلْ بالبيتِ! ما هذه الديكتاتورية اللغوية؟ ومتى كانـت قـواعد اللغة تدخل الأحاسيس البشرية، لتعلمنا كيف نتعجّب وكيف نهـوى، ألا يحـقّ لي أن أقول: يا لجمال البيت مثلاً، أو "يا لطيف شو حلو هالبيت"؟

والـرجل لا يـزال يخلـط الحق بالباطل، ومن ذا الذي يحجر على مـشاعره وأحاسيـسه؟ فهاتان الصيغتان ارتضى العرب الفصحاء أن تكونا الصيغتين القياسيتين للتعجب، وهم لم يصنعوا ذلك حجراً على المشاعر، ولا حبـساً للعواطف، بل أرادوا أن يجعلوهما صيغتين واضحتين مشهورتين لا لَبس فيهما، عَلَماً على هذا الشعور لمن أراد أن يستخدمهما، ولننظر فقه هذا الباب عند سيبويه؛ إذ يقول في " ما أحسنَ عبدَ الله "[٦٣]:" وزعم الخليل أنه بمنـزلة قـولك:شيء أحسنَ عبد الله، ودخله معنى التعجب، وهذا تمثيل ولم يُـتَكَلَّم بـه. ولا يجـوز أن تقـدّم "عبد الله" وتؤخر "ما" ولا تزيل شيئاً عن موضـعه". وكـل هذا الحرص من سيبويه-رحمه الله- من أجل أن تخلص الصيغة للتعجب. على أنهم بعد ذلك استخدموا ما لا يحصى من الصيغ التي يعرف أنها للتعجب بالقرينة، ومقدرة المتكلم على استجلائها.

---

٦٢. نفسه: ٤٠-٤١.

٦٣. الكتاب:١/ ٧٢-٧٣.

فهــلاّ حجــرت هاتان الصيغتان على شاعر بليغ في عصر البلاغة والفصاحة من أن يتعجب إلا بهما حين قال[٦٤]: "واهاً لسلمى ثم واهاً واها". وسأضــرب مــثلاً آخــر يقرب المسألة وإن كان يختلف شيئاً ما عن مسألة التعجب، فصيغ اسم الآلة القياسية ثلاث مِفْعل ومِفعال ومِفعلة، وثمة عشرات خارج هذه الصيغ، فهل سمعت ياسيد"أوزون" أن أحداً خطّأ من يقول جرّافة وأن صــوابها مِجــراف، أو نحو ذلك. فعلام هذا الضجيج وإيهام القارئ أن اللغــة لــيس فيها إلا ما تقول، حتى تَصِمها بالتخلف؟ أمّا "شو حلو هالبيت" فمجاله الشارع، وليس اللغة الفصيحة.

ثــم يعــرّج علــى نائب الفاعل، في نحو:" كُسِرَ الزجاج"، ويردف قــائلاً[٦٥]:"تأمّــل ذلك الإعراب العتيد والذي يفيد بأنه عندما لم نجد الفاعل (أحمد) جعلنا الزجاج ينوب عنه، فيكسر نفسه، فهو نائب فاعل، كيف يمكن أن نقــبل على مرّ أكثر من ألف عام على هذا الهراء؟ أن تنوب حركة آخر الكلمــة عــن موقــع الكلمــة الحقيقــي..." ويحمــل على البناء للمجهول، ويقــول:"كــيف نبنــي أمراً على المجهول، وهل يبنى شيء على ما يسمّى المجهول"؟

ولا بــدّ ههــنا أن نعترف أنه ليس من اليسير مخاطبة أوزون وهو يحمل هذا الفكر، فبادئاً لم يعرف سيبويه المبني للمجهول، ولا نائب الفاعل، وربّمــا أطلَــق علــيه "فُعِل"[٦٦]. كما تقضي الأمانة العلمية أن يَذكر أن ثمة مصطلحاً آخر شائعاً للمبني للمجهول، وهو "ما لم يُسَمَّ فاعله"، ونجده مبكراً

---

٦٤. البيت لرؤبة في ملحق ديوانه: ١٦٨، وهو أيضاً في: شرح المفصل: ٧٢/٤، المغني: ٤٨٣، وأوضح المسالك: ٨١/٤.

٦٥. نفسه: ٤٣.

٦٦. ينظر الكتاب: ٣٤٢/١، و ٤١/٤-٤٢.

عـند الكـسائي[٦٧] والفـراء[٦٨]. وممّا لا شك فيه أن إساغة المتأخرين لهذا المـصطلح كـــ "ابن جني، والعكبري، وابن عقيل وابن هشام"، إنما كانت لهـدف تعليمي بالدرجة الأولى، فالنيابة شكلية لا معنوية، ولا أظن أن عاقلاً يقع في نفسه أن النيابة عن الفعل نيابة حقيقية، وهذه حقيقة لا تتطلب الكثير من البحث. أما سؤال السيد أوزون كيف نبني شيئاً للمجهول؟ – في إشارته إلى الفعل– فلا محل له؛ لأن الفعل المبني للمجهول من الناحية الدلالية– على الأغلـب– يحمـل قـدراً من التعمية، حقيقياً كان أم بلاغياً، فهي تسمية لا تخالف دلالته.

ويتـناول الأفعال الخمسة، وإعرابها، ويقول[٦٩]:"فعندما تعرب الفعل "يكتـبان" فإنّك تقول فعل مضارع مرفوع، وتنتظر لترى الضمة أو الواو أو أية حركة تشير إلى الرفع، ولكنك تدهش عندما تجد أن علامة الرفع هي ثبوت النون".

وإننا لنعجب مرة أخرى، فمن ينتقد هذا الرجل اللغة أم النحاة؟ ولكن العجب سرعان ما ينقضي عندما يقول عمّا قليل:" أن أكثر من نصف ناطقي اللغة العربية المحكية(العامية) يقولون للفتاة عند مخاطبتها: " تلعبي" و" تكتبي "... شـاء ذلك النحاة أم أبَوا". والرجل يرى العيب في اللغة، لذلك لا يتورّع عن الدعوة إلى العامية صراحة ههنا.

وآخـر مـا يخـوض فيه الكاتب – في هذا الفصل – هو الفاعل، ويتـناول المثال الآتي:"الرجل جاء إلى البيت" ويحمل على من يجعل الفاعل

---

٦٧. ينظر معاني الكسائي: ٦٣.

٦٨. ينظر معاني القرآن، على سبيل المثال: ١١٢/١، ١٤٦، ٣٠١، ٣٥٧.

٦٩. نفسه: ٤٥

ههنا مستتراً، ويقول[٧٠]:"ما هذا التأويل الغريب؟ وما هذه القواعد الشاذة عن الفهم والإدراك؟ إن القائم بالفعل هو الرجل سواء جاء قبل الفعل أو بعده". والرجل لا يعرّج على كوفيين ولا بصريين، فضلاً عن تجاهل المحدثين، ولو أنه عرض لآراء النحويين في هذا الصدد ثم أفضى إلى شيء لهان الأمر، فهذه من أكثر القضايا الخلافية شهرة عند النحاة، والكوفيون يجعلون هذه الجمل من باب الجمل الفعلية، وهو خلاف يمكن أن يقع عليه كلّ قارئ للنحو فضلاً عن الباحثين، وقد مرّ آنفاً في الكلام على الجملة الاسمية.

ولا بدّ من الإشارة ههنا إلى أن السيد أوزون قد يكون اطلع على تقرير لجنة المعارف المصرية، وقرارت مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٤٥م. وتقرير اللجنة، وقرارات المؤتمر من أكثر القرارات جرأة في النظر إلى الكثير من إعراب الصيغ والتراكيب العربية، وهي تشكل منظومة متكاملة، وإن لم يحالفها النجاح. وقد تأثّر – على الأغلب– ببعض تلك الآراء وإن لم يُشر إلى ذلك.

ويعرض لقوله تعالى[٧١](وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة)، ويعرب " أنت " هنا الفاعل، ويَرُدّ استتار الضمير، والإشكال ههنا قد يحمل على رأي، ولكن سرعان ما تنقلب المسألة، ويظهر الرجل جهلاً مزرياً باللغة و فنونها، إذ يقول[٧٢]:" فهل يحتاج الخالق – عزّ وجلّ– أن يؤكد لآدم ما يتوجب عليه فعله، وأمره بين الكاف والنون". فهل يستحق مثل هذا الفكر أن ينصب من صاحبه مصلحاً للغة؟ وهل اطلع هذا الرجل على أساليب التوكيد في القرآن الكريم، وفقهها؟ وأي شيء يعرف عن سنن العربية وبلاغتها في

---

٧٠. نفسه: ٥٠.

٧١. البقرة: ٣٥.

٧٢. نفسه: ٥٣.

هـذا الباب؟ فالقرآن الكريم حافلٌ بهذا النمط من التوكيد[٧٣]، فقد نزل بلسان قوم من سنن بلاغتهم التوكيد والتكرار، فخاطبهم بما يحسنون. وأطرح ههنا سؤالاً على "أوزون" ومذهبه في التفسير، على أي وجه يفسّر البدء بالاستفهام في ست سور[٧٤]، وأولها قوله تعالى[٧٥](هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) وهو – جلّ وعلا – يعلم ما كان وما سيكون؟

ويتناول في مستهل الفصل الثالث الاسم، ويعرض منه للمعرفة والنكرة، ونتوقف عند بعض الآراء التي يطرحها؛ لنعرف مقدار فقهه لهذا الباب من العربية، ويبدأ بالمعرفة فيتوقف عند "العلَم" فيقول[٧٦]: يتألف عند الأشخاص من اسم وكنية ولقب، وقد استبدل اللقب في بطاقتنا الشخصية بالنسبة، وحتى يومنا هذا فإنه يتم الخلط بين اللقب والكنية، فلا يروق الأمر لأهل اللغة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن اسم الأشخاص لا يكون علماً (معرفة) بدون جزئين رئيسين هما الاسم واللقب(النسبة).

وأين النصوص المسمارية من هذا الذي يلقيه علينا "أوزون"؟ وأي شيء يريد هذا الداعية؟ غير أن هذه الغمغمة تفصح في آخر كلامه عن شيء مفهوم، إذ يقول[٧٧]:"فإذا سرت في الشارع السوري في دمشق وناديت "يا محمد" تجد عدداً من الأشخاص يلتفت إليك، بمعنى أنّ اسم محمد لم يعد معرفة بحدّ ذاته". والرجل يحسب بأنه ينبغي للناس أن تتقاذف بالحجارة حين

---

٧٣. ولو كلّف الأستاذ أوزون نفسه واطّلع على ما سطّره الإمام "الزَّرْكَشيّ(٧٩٤هـ) في "الخبر" و"التوكيد"، في كتابه " البرهان في علوم القرآن" تحت فصل "في أقسام معاني الكلام"، ٢/٤٢٤، وما بعدها، و٢/٤٨٥ وما بعدها، لرأى من هذه الأساليب الكثير.

٧٤. وهي إضافة إلى سورة الدهر: النبأ، الغاشية، الشرح، الفيل، الماعون.

٧٥. الإنسان:١.

٧٦. نفسه: ٥٨.

٧٧. نفسه: ٥٨.

ينادي بعضها بعضاً، حتى لا يلتفت من في السوق، وأن الرجل في الماضي كـان يقـف فـي شوارع مكة ويرفع عقيرته وينادي ياعَمرو فيسارع إليه المقصود.

إنّ العلـم يا أستاذ "أوزون" لا يضيره أن يشترك فيه مئات الملايين، لأن الـناطق لا يمكـن أن يـتحدث مع شخص عن علم لا يعرفه، فلو قلت لـشخص ما: صادفت محمداً هذا الصباح، فدلالة هذا العلَم تنعقد بين القائل والسامع، وإلا لغدت اللغة هراء، لا رابط لها، ولهذا ارتقت النكرة المقصودة بالنداء إلى مرتبة العلم، وبُنيت بناءَه. ونراه يسير على هذا النهج الساذج، في سائر المعارف، من دون أن يستند إلى حقيقة أو رأي أو استخدام لغوي.

فهو يرى أن الضمائر المتصلة(النون، التاء، الواو، الألف، الياء) لا يمكـن أن تكون معارف؛ لأنها أحرف، حتى ولو اعتبرناها في وهمنا -كما يقـول- فاعلاً قام بالفعل[٧٨]. كما يرى أن الهاء في أسماء الإشارة من بنية تلـك الأسـماء، وليست للتنبيه، فلا يوجد من ناطقي لغة الضاد المحكية من يقول ذان، و "تان" و "تي"، ويعقب قائلاً [٧٩]:"وأنا أرى أنّ أسماء الألغاز هذه ليست أسماء أصلاً، فهي أدوات والأدوات ليست معارف، وهل قولنا للشيء "هذا" يعني معرفته؟

وهـو يخرج الأسماء الموصولة من المعارف، ويعدها أدوات أيضاً، والدليل أنه يمكننا القول:"جاء الذي لا يعرفه أحد"، فيتضح تماماً أن الذي جاء غيـر معـروف من أي شخص[٨٠].ويردف قائلاً:"وهناك قاعدة غريبة عند

٧٨. نفسه: ٥٩.

٧٩. نفسه: ٦٠.

٨٠. نفسه: ٦٠.

السنحاة، فالاسم الموصول الواقع بعد الاسم المعرّف بـ(أل) يعرب صفة له،...قَبِلَها العقل أو رفضها، فنحن نطبق قرآن النحاة...، عندما أقول الشاب الذي فهل أنا أصفه؟ وعليه فيجب إعادة النظر بشكل كامل في ما يسمّى بالأسماء الموصولة" وينهي كلامه على المعارف دون التعرض للمعرّف بـ"أل" أو المضاف أو المنادى لأنها لا تقدم ولا تؤخّر، على حدّ قوله"، فالرجل نفض يديه من محاولة الشرح والتعليل دونما فائدة.

إن الضمائر المتصلة ظاهرة من الظواهر المشتركة في اللغات السامية، ولا يملك أوزون ولا غيره ردّها. ولو سلمنا بهذا الذي يقوله فيها، فكيف سنفهم مقاصد اللغة؟ ولم يتحفنا السيد أوزون بماهية هذه الأحرف التي تخلف الضمائر. أمّا أسماء الإشارة، فلا يدري، ولا ندري على أي شيء يستند في نفي زيادة هاء التنبيه فيها؟ وكأنه لم يسمع بقوله تعالى [81](ها أنتم أولاء)، ولا بالنصوص والأشعار التي لا يداخلها الشك[82]، فضلاً عن آراء اللغويين الذي حللوا هذه الأسماء، وزياداتها، ودلالاتها، وفصلوا القول فيها[83]. ولا أريد أن أذكره بالبيت المشهور لأبي الطيب المتنبي:

ما أبعدَ العيْبَ والنُّقصانَ عن شَرَفي   أنا الثُّريّا وذَانِ الشّيبُ والهرَمُ

وأمّا فيما يتعلق باللهجة المحكية فإذا أردنا أن نجاري "أوزون" فاللهجة العامية ليس فيها من العربية الفصيحة إلا اسم إشارة واحد هو "هذا"، وكل اللهجات تقريباً تنطقه بصورة تختلف عن العربية الفصيحة، فتتحول فيه

---

٨١. آل عمران:١١٩.

٨٢. ينظر في زيادة هذه الهاء "العربية الفصحى" لهنري فليش:١٦٥.

٨٣. ينظر على سبيل المثال: الكتاب، ١٩٧/٢، ٣٥٣. وأوضح المسالك، ١٣٩/١. والهمع: ٢٤٨/١. والنحو الوافي:٣٠٠/١.

"الـــذال" مرة مفخمة، وأخرى زاياً وثالثة دالاً، بل إن في اللهجة المصرية – التي يحبّ السيد أوزون أن ينصّبها نموذجاً– ما ينقض كلامه، فهم ينطقونها بلا هاء.

أمّـــا إخراجه اسم الإشارة واسم الموصول من المعارف؛ لأن قولنا للشيء: " هذا "لا يعني معرفته، وكذلك القول :"جاء الذي لا يعرفه أحد" فهو فهـــم ساذج. وثمة مسألة مشهورة من مسائل الخلاف، في ترتيب المعارف، وقـــد جعـــل البـــصريون الاسم العلم في مرتبة تسبق اسم الإشارة، وخالفهم الكوفـــيون، وجعلـــوا الإشارة أعرف، وقال ابن الأنباري(٨٤): أمّا الكوفيون فاحـــتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إن الاسم المبهم أعرف من الاسم العلم، وذلك لأن الاسم المبهم (اسم الإشارة) يعرف بشيئين: بالعين وبالقلب، أمّا اسم العلم فيعرف بالقلب وحده". ولعل هذه من المسائل المعدودة التي أيد فيها الكوفيين، بـــل يذكـــر أن أبـــا بكر بن السراج ذهب إلى أن أعرف المعارف هو اسم الإشارة(٨٥).

أمّـــا الاســـم الموصول، الذي أخرجه من المعارف أيضاً، بحجة أنه يمكنـــنا أن نقـــول:" "جـــاء الذي لا يعرفه أحد" فمردود إن لم يكن في سياق محـــدّد؛ لأنه يقتضي أن يكون مجهولاً جهلاً تامّاً من الجميع، وهو من قبيل المغالطـــة، وهـــذا الذي يلقيه ليس كلاماً؛ لأنه لا يفيد، ولكنه يغدو صحيحاً حيـــنما يكـــون في سياق مفهوم. وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة تسمّى المبهمات؛ لوقوعها على كلّ شيء عاقلاً كان أو غير عاقل، فكما يزول إبهام

---

٨٤. مسائل الخلاف:٧٠٨/٢، وينظر: شرح الكافية:٣١٢/١، وحاشية الصبان:٢٠٢/١.

٨٥. نفسه: ٧٠٨/٢.

أسـماء الإشـارة بما يصاحبها من إشارة حسية، فإن الاسم الموصول يزول إبهامه بالصلة، التي تجلي المقصود به.

فبين العلم من جهة واسم الإشارة والاسم الموصول من جهة أخرى فرق بُيّن، فالعلم معروف بطبيعة الوضع، وهو محدود من قَبْل الكلام عليه، وتعريفه مكتسَب، أمّا أسماء الإشارة والأسماء الموصولة فتعريفهما يفتقر إلى عنـصر خارج عنهما، وهذا العنصر هو المعنيّ بالتحديد في هذه المعرفة، فتعـريفهما من قِبَله لأنهما يفتقران إليه، وهي أسماء لا تمثّل إشارة إلى كيان أو هيـئة مـستقلة مـنوطة بها، كما في العلم، على اختلاف في المعنى بين الموصـولات والأسـماء الإشـارية، وغياب هذا المفهوم عن السيد أوزون يفضي إلى هذا الخلط.

أمّـا عجب السيد أوزون من وقوع الاسم الموصول نعتاً، فأعجب مـنه هـذا النهج الذي ينهجه. فلا أحد يقول:" الشاب الذي" كما يزعم، لأن الموصول بلا صلة -كما رأينا آنفاً- لا معنى له. وأمّا من حيث مفهوم النعت فالمعـروف أنـه ينقـسم بشكل عام قسمين؛ الأول الأسماء المشتقة العاملة، والقـسم الثانـي ما في معناها، والمعني به كل الأسماء الجامدة، التي تشبه المشتقات في الدلالة عليها، بعد تأويلها بما يناسبها، وعلى رأسها جلّ أسماء الإشـارة، وجـلّ الموصولات، وتؤكّد هذه التبعية في حالتي التثنية والجمع. ونجـد ابن الحاجب يقول[٨٦]:"إن معنى النعت أن يكون تابعاً يدلّ على معنى فـي متـبوعه، فإذا كانت دلالته كذلك صحّ وقوعه نعتاً، ولا فرق أن يكون مشتقاً أو غيره"، وهذا فقه دلالي للنعت.

(يتبع)

---

٨٦. شرح الكافية:١/٣٠٣.

ثالثاً: تعليقات ومناقشات

توقيعات البقاعي
على نسخة من كتابه أسواق الأشواق

د.محمد حسان الطيان
الجامعة العربية المفتوحة بالكويت

تمهيد لغوي:

جاء في اللسان:" والتوقيع في الكتاب: إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه، وقيل هو مشتق من التوقيع الذي هو مخالفة الثاني للأول. قال الأزهري: توقيع الكتاب المكتوب أن يحمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول، وهو مأخوذ من توقيع الدَّبَر ظهر البعير، فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكّده ويوجبه"(١).

وضرب الزبيدي في تاجه بعض الأمثلة للتوقيع فقال: " كما إذا رفعت إلى السلطان أو الوالي شكاة فكتب تحت الكتاب أو على ظهره: ينظر في أمر هذا، ويستوفى لهذا حقه. ورفع إلى جعفر بن يحيى كتاب يشتكى فيه بعامل فكتب على ظهره: يا هذا، قد قلَّ شاكروك، وكثر شاكوك، فإما عدلت، وإلا اعتزلت. ورفع إلى الصاحب بن عباد كتاب فيه أن إنساناً هلك، وترك يتيماً، وأموالاً جليلة لا تصلح لليتيم، وقصد الكاتب إغراء الصاحب بأخذها، فوقّع الصاحب فيه: الهالك رحمه الله، واليتيم أصلحه الله، والمال أثمره الله، والساعي لعنه الله"(٢).

---

(١) لسان العرب: (وقع)

(٢) تاج العروس:(وقع)

على أن من أطرف التوقيعات التي قرأتها توقيعا كتبه الخليفة العباسي الناصــر(٦٢٢ هـ) في ورقة كتبها إليه خادم له اسمه يُمْن يتعتّب، نصه: "يمن يمنٌ يُمن، ثمن يُمن ثمن ثمن" [٣]

ويقال إن الخادم أعاد الجواب وقد كتب فيه:" يمنٌ يمنٌ بِمن ثمَّن يُمن ثُمنَ ثُمن"[٤].

وقـد نظـم بعـضهم هذا في بيت جعله أرباب التعمية(الشفرة) من الأبيات التي يُعَمَّى بها للمعاياة أي للمعاناة والإجهاد في طلب الحل:

بِمنْ يَمُنُ يُمْنُ بِمَنْ　　　　ثَمَنُ يُمنِ ثُمْنُ ثُمَنْ[٥]

ومن هنا جاء مصطلح المخطوطات الموقّعة، إذ هي المخطوطات التي وقّع علـيها مؤلفوها بإجازات أو معارضات أو إضافات أو سماعات. على أن دلالـة المصطلح توسعت لتشمل المخطوطات التي كتبها مؤلفوها بخطهم، أوغيـر ذلـك مما اشتملت عليه محاور مؤتمر المخطوطات الموقعة الذي عقد في مكتبة الإسكندرية ٢٦- ٢٨ إبريل ٢٠٠٥.

ويقـدم هـذا البحث واحدة من المخطوطات الموقعة بالمفهوم الأول لمعنى التوقيع.

---

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٠٠، والوافي بالوفيات ٦/٣١٥

(٤) الوافي بالوفيات٦/٣١٥

(٥)علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب٢/٢٢٥،٢٨٧

١ - ترجمة البقاعي:

لابد لنا قبل الوقوف على توقيعات البقاعي على مخطوطه هذا من الإلمام بترجمة الرجل حتى نتبين مكانته ومنزلته، فما أهمية توقيع لمن لا أهمية له ؟! ومامكانة توقيع لمن لا مكانة له؟!

والحـــق أن المتتبع لذكر الرجل في كتب التواريخ والسير والتراجم يروعه ما تبوأ من منزلة، ويذهله ما احتلّ من مكانة. وحسبنا أن نقدم هنا نـــبذة عـــنه مـــشفوعة بأمثلة من الفنون التي برع فيها، وطائفة من أقوال العلماء فيه، لنقف على حقيقة ذلك كله:

هو إبراهيم بن عمر بن حسين الرُباط – بضم الراء وتخفيف الباء – بـــن علـــي بـــن أبي بكر البِقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب ومقرئ مفسر محدث، ولد في البقاع سنة٨٠٩هـــ=١٤٠٦م، وسكن دمشق ورحـــل إلى بيت المقدس والقاهرة، أخذ العلم عن طائفة من علماء عصره أشـــهرهم ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري، وتخرج به خلق كثير، ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٨٨٥هـــ=١٤٨٠م.

خلـــف البقاعـــي عـــشرات المؤلفات في فنون شتى تشهد بعلو كعبه ومَكِنَتِه.

فلـــه فـــي التاريخ: "إظهار العصر لأسرار أهل العصر " و " عنوان الـــزمان في تراجم الشيوخ والأعيان " و " مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وثلاثة من الخلفاء الراشدين ".

وله في التفسير: " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " و " الفتح القدسي في آية الكرسي ".

وفي القراءات و التجويد:" ضوابط الإشارة إلى أجزاء علم القراءة " و" القول المفيد في أصول التجويد لكتاب ربنا المجيد ".

وفي الحديث: "الإعلام بسن الهجرة إلى الشام " و "النكت الوفية بما في شرح الألفية ".

وفـــي الأدب: " أســـواق الأشـــواق من مصارع العشاق " و"إشعار الواعي بأشعار البقاعي".

وفـــي الحـــساب: " السباحة في علمي الحساب والمساحة ". وغيرها وغيرها كثير. فقد بلغت مؤلفاته خمسة وخمسين كتاباً وفق الإحصاء الذي صنعه الأستاذ خير الله الشريف في مقاله القيم " الإمام البقاعي ومؤلفاته " ثـــم أوصـــلها الأستاذ محمد مجير الخطيب إلى سبعة وخمسين في تقديمه لكتاب الإعلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام. ثم أوصلها أخيرا د.عبدالحكيم الأنـــيس إلى ستة وستين مؤلفاً، وذكر أنه طبع منها اثنا عشر كتاباً. ولعل من وراء ذلك كله كتبا أُخرى لم يبلغنا علمها [٦].

---

٦ . انظر الأعلام للزركلي ٥٦/١ ، ومقال " الإمام البقاعي ومؤلفاته " للأستاذ خير الله الـــشريف فـــي مجلـــة آفـــاق الـــثقافة والتـــراث العـــدد التاسع المحرم ١٤١٦- يونـــيو(حزيران)١٩٩٥ ص٧٧-٨٨ ، وكتاب الإعلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام ٦٤-٧٠ ، والفتح القدسي في آية الكرسي ص ٤٤ .

ومن أمعن النظر في الكتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والـــسور علـــم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول المنقول.

أما أقوال العلماء فيه:

فيقول عنه السيوطي (٩١١هـ) في نظم العقيان في أعيان الأعيان ص ٢٤: "العلامة المحدث الحافظ.....مهر وبرع في الفنون ودأب في الحديث ورحل......وله تصانيف حسنة"

ويقول فيه داود الأنطاكي (١٠٠٨هـ) في تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ص٩ : "وحيد زمانه ورئيس أقرانه ،وواحد عصره ،ونادرة دهره..".

ويقول عنه ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) في شذرات الذهب: "المحدث المفسر الإمام العلامة المؤرخ .. برع وتميز وناظر.. وصنف تصانيف عديدة من أجلِها المناسبات القرآنية.. وبالجملة فقد كان من أعاجيب الدهر وحسناته".

ويقول الشوكاني (١٢٥٠هـ) في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: "الإمام الكبير...برع في جميع العلوم وفاق الأقران" ثم يرد على معاصره السخاوي الذي أساء إليه فيقول: " بل تصانيفه شاهدة بخلاف ما قاله، وإنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف، ولكن هذا من كلام الأقران في بعضهم بعض بما يخالف الإنصاف، لما يجري بينهم من المنافسات تارة على العلم وتارة على الدنيا، وقد كان المترجم له منحرفاً عن السخاوي والسخاوي منحرفاً عنه، وجرى بينهما من المناقضة والمراسلة والمخالفة ما يوجب عدم قبول أحدهما على الآخر(٧).

---

٧ . انظر الترجمة الضافية التي كتبها د. عبد الحكيم الأنيس للبقاعي في تحقيقه لكتابه "الفتح القدسي في آية الكرسي" ص١٧ــ٤٦ وقد أحسن كل الإحسان حين تتبع حياة الرجل مراعياً التسلسل الزمني لأبرز أحداثها، وختمها بمصادر ترجمته التي بلغت ٢٨ مصدراً.

٢ - مخطوط أسواق الأشواق من مصارع العشاق:

هـــذا مخطـــوط نفيس من المخطوطات الموقعة، وهو إلى ذلك يندرج تحـــت قائمـــة ما له نسب عريق من مخطوطات تراثنا العربي الإسلامي، فناسخه تلميذ المؤلف علي بن حسين بن علي بن أحمد السروي، نسخه من نسخة الأصل في حياة شيخه، ثم عارضه على هذا الأصل بقراءة صاحبه وهـــو المؤلف نفسه، لم يكتف بذلك وإنما وثقه بأن يوقع المؤلف بخطه في آخر كل مجلس من مجالس تلك المعارضة بعبارة:

"بلغ معارضة على أصله بقراءتي. كتبه مؤلفه إبراهيم البقاعي".

ثم ختم هذه المجالس. بتوقيع جاء فيه:

"بلـــغ معارضـــة على أصله بقراءتي في مجالس آخرها حادي عشر شوال سنة ثلاث وسبعين وثماني مئة. وكتبه مؤلفه إبراهيم البقاعي".

فـــإذا علمـــنا أن أول هـــذه المجالس قد أرّخ في رمضان سنة ٨٧٣ وآخرها قد أرّخ في الحادي عشر من شوال سنة ٨٧٣ تبين لنا على وجه اليقـــين أن هـــذه المعارضة وقعت في نحو شهر من عام ٨٧٣ وهو العام نفسه الذي وقع فيه الفراغ من نسخ المخطوط فقد جاء في قيد الفراغ:

" وافق الفراغ من كتابته في سابع عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وســـبعين وثماني مئة على يد الفقير إلى الله تعالى علي بن حسين بن علي بـــن أحمد السروي الأزهري الشافعي غفر الله له ولوالديه ولكل المسلمين أجمعين آمين آمين آمين"

أمـــا النسب العريق فأعني به عناية مؤلفه بذكر سنده في روايته لأصل كتابه، وهو كتاب مصارع العشاق لأبي محمد السراج جعفر بن أحمد القارئ

(٥٠٠ هــ) ذلك أن كتابه هذا – أسواق الأشواق – مبني على ذلك الكتاب ومــستخلص مــنه ومن ثم كان المؤلف حريصاً على ذكر سنده إليه وفيما يأتي نصه:

".. وســميته **أسواق الأشواق من مصارع العشاق**. وقبل الشروع في شــيء مــن الأبــواب أذكر **سندي بهذا الكتاب** فأقول مستعيناً بالله الجليل ضارعاً إليه في التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل:

أخبرني بجميع مصارع العشاق لأبي محمد السراج قاضي القضاة شيخ الإسلام حافظ العصر علامة الدهر أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن الإمــام نــور الدين بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر الكناني العــسقلاني الأصل المصري الشافعي، والشيخة الصالحة الكاتبة الأصيلة عائــشة بنت قاضي القضاة علاء الدين علي بن محمد بن عبد الله بن علي بــن أبي الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانية العسقلانية الأصل المصرية الحنبلية إجازة منهما.

قــال الأول: أنبأنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزي عن أبي النور بن يونس بن إبراهيم بن عبد القوي الدبابيشي، عن العلامة أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة المعروف بابن بنت الجميزي.

وقالت الثانية: أخبرنا جدي لأمي أبو الحزم فتح الدين محمد بن محمد ابن محمد ابن أبي الحزم القلانسي الحنبلي إجازة عن الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المعروف بابن البخاري عن شيخ الإسلام موفــق الــدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي، بإجازتهما من الجهة العالمة الكاتبة فخر النساء شهدة بنت أحمد بن الفرج بــن عمــر الإبــري قالت: حدثنا المصنف أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج من لفظه وكتابه سنة ثلاث وتسعين وأربعمئة فذكره.

بقـــي أن أشير إلى أن هذا المخطوط يتألف من ٢٨٥ ورقة من الحجم المتوسط وهو من محفوظات مكتبة بشير آغا رقم ٥٥٢، وقد صوره معهد المخطـــوطات تحت رقم ٢٧ أدب كما ذكر المرحوم فؤاد السيد في فهرس المخطوطات المصورة[٨].

وقـــد حـــصلت علـــى مصورة عنه من الأخوين الكريمين والباحثين الفاضـــلين المهـــندس محمد الزمامي والأستاذ وائل الرومي، فلهما شكري وتقديري.

وســـأورد فـــيما يأتي ثلاثة نماذج من هذا المخطوط، يبدو في **الأول** عنوانه واسم مؤلفه، وفي **الثاني** بدايته(أو الورقة الأولى منه) وفي **الثالث** سند المؤلف في روايته لأصله وهو مصارع العشاق:

---

٨ . فهرس المخطوطات المصورة ١ / ٤٢٢ - ٤٢٣ .

كتاب أسواق [illegible]

من مصارع العشاق

تأليف سيدنا ومولانا الشيخ الإمام

العالم العامل العلامة برهان الدين

أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن

حسن الرباط البقاعي

الشافعي نفعنا الله

ببركته

آمين

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر يا اكرم الاكرمين

قال الشيخ الامام العالم العامل العلامة الحبر البحر الفهامة ابو الحسن ابرهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي الشافعي نفعنا الله تعالى والمسلمين بعلومه وبركاته

الحمد لله المبين الخلاق الذي جعل مصارع العشاق عبرة للعين المعتبرة وسببا هاما من عجائب القلوب الرقيقة والافئدة الشفيقة عبرة الدمع المنهمرة واشهد ان لا اله الا الله المتصرف في قلوب عباده بغير الانفاق واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالود والعفاف صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الجلة اولي الصفاء وعلى انصاره واحبابه التابعين لهم في الخلة جميل الوفاء ما حن الف الى مألوفه وقتل مشغوف بسهام الشوق وسيوفه اما بعد فان كتاب مصارع العشاق لابي محمد جعفر بن احمد السراج نزل من انس القلوب المنزلة منزلة الغني من المحتاج فكان له بسبب ذلك القبول التام والرواج الا عند كثيف الطبع مضطر الى العلاج جعله المصنف في اثنين وعشرين جزءا وكتب ابياتا من نظمه على ظهر كل جزء تحت اسمه فكتب على الجزء الاول

هذا كتاب مصارع العشاق	صرعتهم يوما نوى وفراق
تصنيف من لذع الفراق فؤاده	وتطلب الراقي فعز الراقي
... ذا تصحبه اللبيب رقى لمن	اسرى هوى ايسوا من الاطلاق

وكتب على الثاني

مصارع العاشقين صرعهم	هوى الظباء الفواتر الحدق
تصنيف من صلة تقسو به	عن كشف ما في الفؤاد من حرق
نوديت الهوى ويكتمه	والقلب قد تاه منه في طرق

وكتب على الثالث

مصارع العشاق مجموعة	فيها لمن يقرأ وها عبرة
جمع عفيف لم يطو الهوى	لولم تكن تنشره العبرة
غرامه ثاو ومقيم وان	اعدمه يوم النوى صبره

وكتب على الرابع

كتاب مصارع اهل الهوى	ومن ذكرت فيه ايدي النوى
تكلف تصنيفه عاشق	عفيف الضمائر جم الجوى
احل رسل الهوى قلبه	فمل تا نسد قلبه با لهوى

وكتب على الخامس

مصارع قتلى من العاشقين	لهم خاب فيهم فا لت
تكلف جمع اخاديثهم	عفيف هوى وحلى عالم
سقاه الهوى صرف صهبائه	فاصبح سكران الشاربه

اخبرني بجميع مصارع العشاق لابي محمد السراج قاضي القضاة شيخ الاسلام حافظ العصر
علامة الدهر ابو الفضل شهاب الدين احمد بن الامام نور الدين علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن حجر الكناني
العسقلاني الاصل المصري الشافعي والشيخة الصالحة الكاتبة الاصيلة عائشة بنت قاضي
القضاة علاء الدين علي بن محمد بن عبد الله بن علي بن ابي الفتح بن هاشم بن اسماعيل بن ابراهيم الكنانية العسقلانية
الاصل المصرية الحنبلية اجازة منهما قال لنا الاول انبانا ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن المبارك
الغزي عن ابي النون يونس بن ابراهيم بن عبد القوي الدبابيسي عن العلامة ابي الحسن علي بن هبة الله
بن سلامة المعروف بابن بنت الجميزي وقالت الثانية اخبرنا جدي لامي ابو الحرم فتح الدين محمد بن محمد
بن محمد بن ابي الحرم القلانسي الحنبلي اجازة عن الفخر علي بن احمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المعروف
بابن البخاري عن شيخ الاسلام موفق الدين ابي محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي
الحنبلي باجازتهما من الحرة العالمة الكاتبة فخر النساء شهدة بنت احمد بن الفرج بن عمر الابري
قالت حدثنا المصنف ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج من لفظه وذلك في سنة
ثلاث وتسعين واربعمائة فذكره المقدمة في ذم العشق وحده وما يتصل بذلك
من الفول وحده قال بعض الحكماء لا يخلو احد من صبوة الا ان يكون جافي الخلقة او منقوص
البنية او على خلاف تركيب الاعتدال وعزاه مغلطاي لابن ابي طاهر عن علي بن عبيدة
انتهى وقال المصنف رحمه الله اخبرنا ابو طاهر احمد بن علي السواق رحمه الله اخبرني ابو الفتح
محمد بن احمد بن ابي الفوارس نا ابو الحسين عبد الله بن ابراهيم بن بيان نا محمد بن خلف نا زكريا بن يحيى الكوفي
نا محمد بن جعفر بن ابي حريث الشيباني عن ابيه عن ابن ابي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال من عشق فعف فمات دخل الجنة اخبرنا ابو بكر احمد بن علي الحافظ يعني الخطيب رحمه الله انا ابو
الحسن علي بن ايوب القمي نا محمد بن عمران حدثني محمد بن احمد بن محمد وحدثني الحسن بن علي الاشناني
واحمد بن محمد بن مسروق قالا نا سويد بن سعيد نا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فظفر
فعف فمات مات شهيدا اخبرنا احمد بن علي نا محمد بن عمران نا محمد بن داود ابن محمد البغاني
واحمد بن محمد الجوهري قالا نا احمد بن محمد بن مسروق نا سويد بن سعيد نا علي بن مسهر عن ابي يحيى
القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عشق فعف وكتم ومات مات شهيدا قلت قال الحافظ مغلطاي هذا حديث اسناده
صحيح وان كان جماعة من اهل العلم بالحديث علله بسويد منهم الحافظ ابو احمد الجرجاني يعني
ابن عدي فانه لما ذكره في الكتاب الكامل قال هذا الحديث احد ما انكر على سويد وكذا ذكره
الحافظ ابو بكر البيهقي وابو الفضل بن طاهر في كتابه الذخيرة وتذكرة الحفاظ وقال ابو الفضل
الحاكم في تاريخ نيسابور انا اتعجب من هذا الحديث فانه لم يحدث به غير سويد وهو وداود
والد محمد يعني المذكور في الطرق المذكورة في باب الزهد من غير شيء في الفلان ثقات وهو داود
الظاهري قال مغلطاي وذكر الحافظ ابو محمد بن السمعاني التاريخي حديث ابي يحيى القتات

٣ - مواضع توقيعات المؤلف على النسخة:

تتبعت مواضع التوقيعات التي وقعها المؤلف على نسخة المخطوط هذه بغية إحصائها فوجدتها قد بلغت ستة عشر توقيعاً بعدد المجالس التي تمت فيها معارضة المخطوط بأصله، وفيما يأتي جدول يبين أرقام الورقات التي حملت هذه التوقيعات مرتبة وفق ورودها في المخطوط وإلى جانبها رقم المجلس الذي يفترض أن التوقيع قد تم فيه:

رقم المجلس المتسلسل	رقم الورقة في المخطوط
١	٩/ب
٢	٤٠/ب
٣	٦٤/أ
٤	٦٦/أ
٥	٧٥/أ
٦	٨٩/أ
٧	١١٠/أ
٨	١١٣/ب
٩	١٣٤/ب
١٠	١٧٠/ب
١١	١٨٩/ب
١٢	٢٢٠/ب
١٣	٢٢٤/ب
١٤	٢٤٥/ب
١٥	٢٦٢/أ
١٦	٢٨٥/ب

وسأورد فيما يأتي ثلاثة نماذج من هذه التوقيعات:

يبدو في **الأول** التوقيع الأول في الورقة (٩/ب) وهو يشتمل على تاريخ أول مجلس تمت فيه معارضة المخطوط (رمضان سنة٨٧٣).

ويبدو في **الثاني** توقيع آخر وقِّع في المجلس التاسع على الورقة (١٣٤/ب).

ان كانت وجدا او ما ناسب ذلك من الامور التي كان في غنى عنها ولا يمكن الصبر عليها وما احسن ما قاله

ويمنعني من بعض انكار ظلمها ... اذا ظلمت يوما وان كان لي عذر

مخافة اني قد علمت لئن بدا ... لي الهجر منها ما على هجرها صبر

واني لا ادري اذا النفس اشرفت ... على هجرها ما يبلغن بي الهجر

انتهى

وقال السراج وجدت بخط احمد بن محمد بن علي الابنوسي في تعليقه من خطه نا علي بن عبد الله
ابن العيص ابو محمد الجوهري نا ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد نا عبد الرحمن نا عمي قال سمعت
اعرابيا يقول اشد نحوا الراي عند الهوى وافطموا النفوس عند الصبا ولقد تصدعت
كبدي للعاشقين من لوم العاذلين ولوعات الحب نيران في اكبادهم من دموع في العيون
كغروب السواني اخبرنا ابو تغلب عبد الوهاب بن علي قراءة عليه نا ابو الفرج المعافى
بن زكريا الجريري املاء نا ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي قال استنشدني ابو سليمان داود بن علي
الاصبهاني يعقوب قصيدة انشدته مدحته بها وسالته الجلوس فاجابني وقال لي ما شيء يهنا
لو بدلت مكانه فقلت له هذا كلام العرب فقال احسن الشعر ما دخل القلب بلا اذن
هذا بعد ان بدلت الكلمة فقال لي انسان بحضرته ما اشد ولعك بذكر الفراق في شعرك
فقال ابو سليمان واي شيء ابغض من الفراق ثم حدثني عن محمد بن حبيب عن عمارة بن عقيل بن بلال
بن جرير انه قيل له ما كان اول ما قاله جدك فقال

لو كنت اعلم ان اخر عهدكم ... يوم الفراق فعلت ما لم افعل

قال كان يتلو هذه ولا يرى [illegible] اخبرنا ابو بكر احمد بن علي الحافظ بالشام نا علي بن ايوب
هو ابو الحسن القمي الكاتب نا ابو عبيد الله محمد بن عمران اخبرني محمد بن يحيى قال انشد علي بن الله

نوب الزمان كثيرة واشدها ... شمل تحكم فيه يوم فراق

يا قلب لم عرضت نفسك للهوى ... او ما رايت مصارع العشاق

وبه الى ابن عمران اخبرني المظفر بن يحيى قال قال بعض الفلاسفة لم ار حقا اشبه بباطل
ولا باطلا اشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل اوله لعب واخره عطب اخبرنا
ابو بكر احمد بن علي الحافظ بالشام نا رضوان بن محمد الدينوري سمعت سعد [illegible]
الصوفي بالري يقول سمعت ابا بكر الرقي يقول سمعت ابراهيم بن الفضل يقول سمعت يحيى
بن معاذ يقول لو كان الامر لي ما عذبت العشاق لان ذنوبهم ذنوب اضطرار لا ذنوب
اختيار وقال وجدت في مجموع سماه جامعه زهر الربيع قال انشدت عبد الله بن المعتز

مساكين اهل العشق حتى قبورهم ... عليها تراب الذل بين المقابر

فقال لي من انه صاحب هذا الشعر لا والله ما اذل الله تراب قوم عاشوا [illegible]
وشرفه ونضره وحسنه فقال ابن المعتز في هذا المعنى اعلم من قول هذا البارد
وانشدني لنفسه

ضريح بشرقي وسط رومه ... عليه من الانوار مثل الشعائر

فقلت لمن هذا فقال لي ابن الشرك وختم عليه انه قبر عاشق

بلغ مقابلة على اصل المؤلف كتبه مؤلفه ابراهيم البقاعي في رمضان سنة ٨٦٧

من الروايات انه لما باع زوجها الراحلة وعثر عليها شكى امره الى ابن ابي عتيق ففعل ما مر من
تطليقها ونقلها الى المدينة وسواله ابيها في اعادتها وهذا لم يشك فيه لتيسر حصول تزاد بانتفاء
الموانع بموجبه لذلك ولذلك جزم من جزم باعادته لها لظنها انه تحين انه تشرف على تمام الامر والله
اعلم وذكر صاحب المصارع قال محمد بن المرزبان ونقلته من خط ابن حيويه عن بعض
بعض اصحاب المدايني انا المدايني انا هشام بن محمد بن السايب الكلبي قال مغلطاي وذكر ذلك
في كتاب اللباب قال كان بالمدينة رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف وكان شاعرا وكانت
عنده ابنة عم له وكان لها عاشقا وبها مستهترا فنالته ما بينه اضافة شديدة واراد المسير
الى هشام بن عبد الملك بالرصافة فمنعه من ذلك ما كان يجد بها وكره فراقها فقالت له يوما
وقد بلغ منها الضيق ما نرى الا تاتي الخليفة لعل الله ان يصنع لك فيكشف به بعض ما نحن
فيه فلما سمع ذلك منها نشط للخروج فلما تجهز ومضى حتى اذا كان من الرصافة على اميال خطر ذكرها
بقلبه وتمثلت له فلبث ساعة شبيها بالمغشي عليه ثم افاق فقال للجمال اصرف وجوه ابلك وانشا
يقول

بينا نحن من بلاكث بالقاع سراعا والعيس تهوي هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك اذ دعاني لك الشوق وللحاديين ردا المطيا
فكررنا صدور عيس عتاق مضمرات يطوين للسير طيا
ذاك ما ليس من دلج السير وقول الحداة بالليل هيا

ثم قال للجمال ارجع بنا فقال له سبحان الله قد لحقت وهذه ابيات الرصافة فقال والله
لا اخطو خطوة الا راجعا فرجع حتى اذا كان من المدينة على اميال لقيه بعض بني عمه فاخبره
ان امراته قد توفيت فشهق شهقة وسقط عن ظهر البعير ميتا قلت انشد الشهاب
محمود لبعضهم في المعنى اذا تطول عن حبيبك ثم تبكي عليه فما دعاك الى الفراق

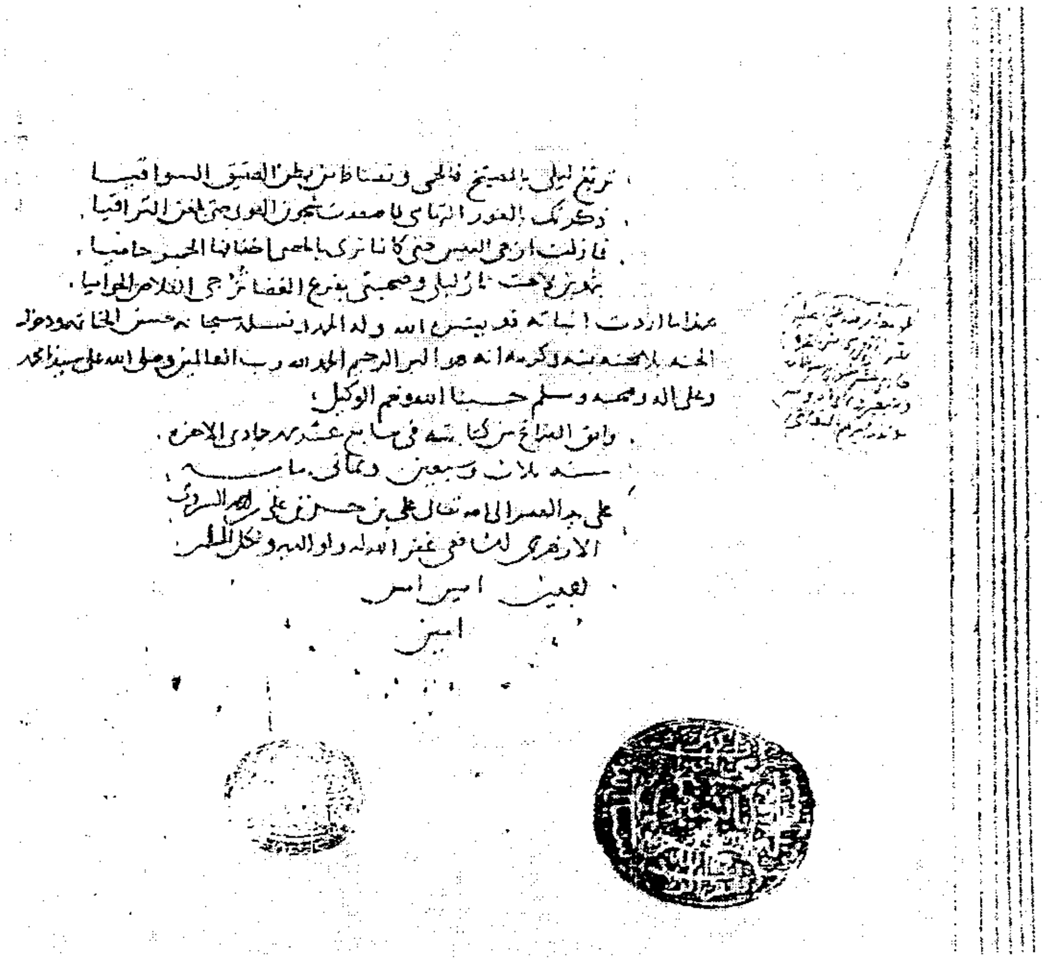
كانك لم تذق طعم البين فتعلم انه مر المذاق وللقرب الرقي
ومن حذر لا اسل الركاب والفراق وجدي باقيات كلما
ومن سال الركاب عن الغياب فلابد ان يلقى يسيرا ونادما انتهى

واخبرنا ابو محمد الحسن بن علي انا ابو عمر محمد بن العباس انا محمد بن الحسن بن دريد انا الرياشي عن
الاصمعي قال مررت انا وصاحب لي بجارية عند قبر لم ار احسن ولا اجمل منها وعليها ثياب
نظيفة وحلي كثير وهي تبكي على القبر فلم نزل نتعجب من جمالها وزينتها وحزنها فقلت يا امة الله
ما هذا الحزن بالشديد فبكت ثم انشات تقول

فان تسالاني فيم حزني فانني رهينة هذا القبر يا فتيان
واني لاستحييه والترب بيننا كما كنت استحييه حين يراني

فعجبنا منها ومن ظرفها وجمالها واستعفينا منها فتقدمنا قليلا ثم رجعنا نسمع ما تقول فاذا انا
ولا تعلم بانفسنا هاتقول يا صاحب القبر يا من كان يونسني وكان يكثر في الدنيا مواتاتي

ثم قال [illegible] ... [illegible]


وعلى آله وصحبه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل

ويـــبدو فـــي الثالـــث التوقيع الأخير الذي وقّع في آخر هذه المجالس على الورقة الأخيرة من المخطوط إلى جانب قيد الفراغ، وهو يشتمل على تاريخ هذا المجلس (١١شوال سنة ٨٧٣).

٤ – خط البقاعي:

تسنى لي الوقوف على ثلاثة نماذج من خط البقاعي يمكن موازنتها بتوقيعاته التي عرض لها هذا البحث.

أما أولها فهو في نسخة من مخطوط تاريخ البقاعي المسمى "إظهار العصر لأسرار أهل العصر" الذي أراده ذيلاً على كتاب شيخه ابن حجر "إنباه الغمر بأبناء العمر".

وقد أشار العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني في مذكراته إلى أن في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة مسودة " تاريخ البقاعي " بخطه سنة ٨٥٥ – ٨٧٠ [٩]، وقد وقفت على مصورة عن هذه النسخة في مكتبة الأخ الحبيب الباحث المحقق الأديب الشيخ محمد بن ناصر العجمي جزاه الله عني خير الجزاء، بلغ عدد أوراقها ٣٠٠ ورقة تقريبا وفق ما جاء في بطاقتها التي عنونت بمعهد إحياء المخطوطات العربية، وهو الذي يحتفظ بأصلها. وسأثبت فيما يأتي نموذجين منها:

يمثل الأول الورقة الأولى من المخطوط ويبدو العنوان فيها مستدركا على الهامش .

ويمثل الثاني الورقة الأخيرة، ويبدو فيها قيد الفراغ وهذا نصه:

"وافق الفراغ من هذا الديوان سلخ سنة سبعين وثماني مئة على يد منشئه إبراهيم بن عمر البقاعي..."

---

٩ .الأعلام ١/ ٥٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن والهم الصواب يا كريم

الحمد لله الذي يبدئ ويعيد وينشئ ويبيد جعل الناس ومن نفس واحدة

المواراة دافع خصومهم صغارا او لفوق كبارا دالا على انه على الخير المراد

النهار العزيز الجبار واشهد ان لا اله الا الله ذو الجلال والكمال الباقي ملكه وملكوته

بلا زوال الدائم عظمته وجبروته ابد الآبدين ازل الآزال واشهد

ان سيدنا محمدا عبده الذي قام بحق العبود بالاقوال والافعال ورسوله الذي بعثه

بأعباء الرسالة فبلغ كل ما امر به وجاهد في الله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وصحبه

وآله وسلم وعظم وشرف وكرم على مر الايام وكر الليالي وبعد فهذا ما

ما يخبر شيخنا شيخ الاسلام ابي الفضل ابن حجر بعدما انه اعاد الله من بركاته علي

من ابتدائه الى ان المطلعين عليه للعيان فلا انكر التتبع للوقائع والفحص

تفتيش عن الغرائب والبدائع فاني كنت لا انقطع عن الناس الا عن الافاضل الاماجد

كالكياس فلما بعد الي من الاخبار الا ما شاع حتى ملا الافطار عن اني اعلمته في كثير ما بلغني

من النقل فوهم العقل فربما شنفت الخلل بذكر الاسباب والعلل واشرت

الى ما لها دعته العجائب من محاسن التجارب يستفيد الناظر لديه ما كان معروفا ما

الزمان بعدها وذا كان زانت وزينت اما عذري الا ستبل عليه ذيل العفو والا صفح

عني في اني كنت مقبلا عليه لا قبال على الاهم ويمنعني من الاكمال معلا للفكر فيه

لا عار ولكل ما اتاه الله اعدلي ونا منه على نبيان ما لم استبق اليه من اسرار

الشراد وهي بنظر لنا لو نظم الدرر من غناستيك في المستور دله على ذلك وما

حصل له وما الجدبه من دقيق المسالك وجليل المطالب والمدارك من ان

كان بعرفه للرجال بالحق المبين ولا مر الواضح اليقين واي كان انا يعرف الحق

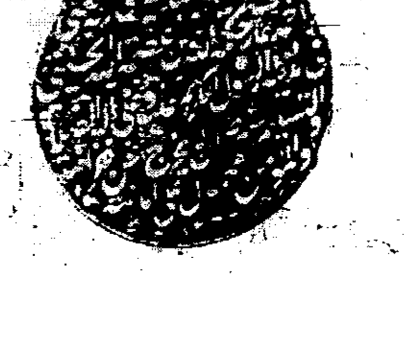
بالرجال فليستطر ما كتب عليه اجابه امل العصر وامل الكمال فهنالك فليتنافس

المتنافسون وليعمل العاملون ويعلم لابد العالمون والله المسؤول

في ابلاغ السؤال من كل مراد والوقوع فيه على الصواب والسداد بمنه وجوده

الرحمن فضل ومن يضلل الله فما له من هاد اللهم وفقنا لما يرضيك عنا من القول

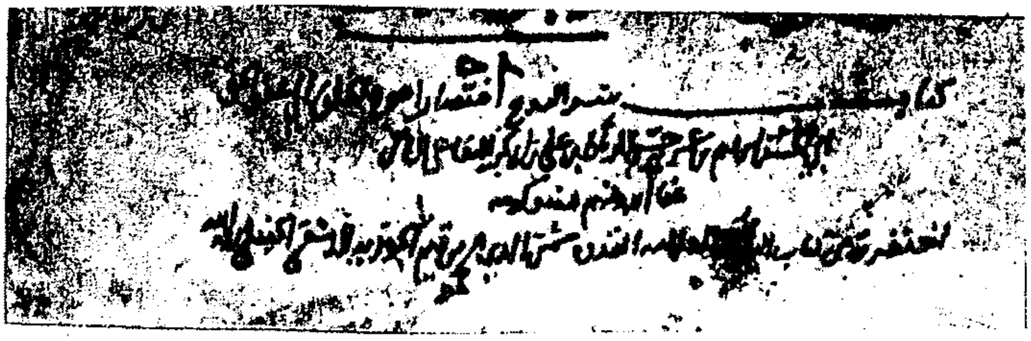
والعمل فانك انت حسبنا ونعم الوكيل



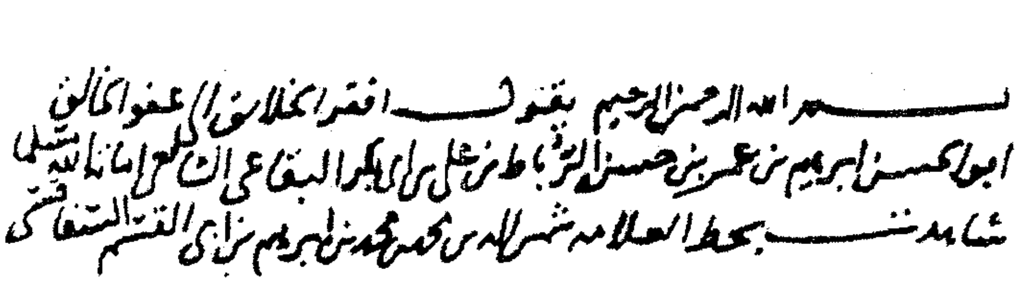
وبيوم الثلاثاء الخامس من ذي الحجة بعد العشاء فبلغ علمه من زيادة فيه الذراع السادس
عشر أصبعان أو في بها وأصبح فأراد السلطان نصره الله تعالى أن
يفتح السد وبذلك اليوم ... الى ان ... الاكبر يوم الاربعاء فاستهل
العام ... جاء ... جعل الله فيه
الخير ومن نفعه لما يرضيه عنه ويتم له بطائن الخير وابعد عنه بطائن
السوء وأصلح به البلاد والعباد لانه على كل شيء قدير امين
ووافق الفراغ من هذا الديوان ... سنة تسع ... على يد
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما



وأمـــا ثانـــيها- أي نماذج خط البقاعي - فهو في قطعة من مخطوط كـــتابه "ســـر الروح" تحتفظ بأصلها الكامل دار الكتب المصرية برقم ٨٥ غيبيات، تيمور. وقد أثبتها الزركلي في ترجمته لمؤلفها في الأعلام. وفيما يأتي صورة عنها:



وأمـــا ثالثها فهو في قطعة أخرى أثبتها صاحب الأعلام أيضاً ونسبها إلـــى مخطـــوطة فـــي مكتبة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي بتونس وفيما يأتي صورة عنها:



٥ - موضوع المخطوط ونماذج من طرائفه:

موضوع المخطوط هو أخبار المحبين والعشاق وأشعارهم، وقد توخى البقاعـــي مـــن تألـــيفه أن يهذب كتاب **مصارع العشاق** لأبي بكر السراج (٥٠٠هـــــ) مـــن جهـــة، وأن يجمع إلى ذلك ما تضمنه كتاب مغلطاي المـــسمى "**الواضـــح المبـــين لمـــن استشهد من المحبين**". وكتاب"**منازل الأحـــباب ومـــنازه الألـــباب**" للشيخ شهاب الدين محمود الحلبي. من جهة

أخــرى. وقــد بناه على مقدمة وعشرة أبواب[١٠]، وفيما يأتي نص كلامه الذي يوضح ذلك كله في مقدمته:

"... غير أن المصنف [يعني السراج صاحب المصارع] لم يتعب في تــرتيبه ولم يبالغ في تهذيبه، فيذكر في الباب غير مبوب عليه ويثبت من الحكايــات ما يمج أو لا ينتشون إليه. وأتىٰ في غضونه كثير من الأبيات الخالــية من النوادر والحكايات. علىٰ أن فيها ما ليس برائق وما يشكل إلا علــىٰ الأفكار والدقائق، وفرق بعض الحكايات في موضعين إلىٰ غير ذلك ممــا سواه...، فأردت أن أضع كل شيء منه في مكانه وأحذف الغث من خــلال ســمانه وزدتــه مــن نوادر الأخبار ولطائف الأشعار ما تحلو به الأسمار وتنبسط ببهجته الأعمار. وأدخل فيه جميع كتاب الحافظ مغلطاي "الواضــح المبــين في ذكر من استشهد من المحبين" وذكر جميع حكايات "منازل الأحباب ومنازه الألباب" لشيخه الشهاب وكتب أخرىٰ غيرها، فجاء في مقدمة وعشرة أبواب"[١١].

هــذا وقد تخيرت فيما يأتي نصوصا من هذا الكتاب تشتمل على طريف الأخبار وبديع الأشعار لتكون مَنْبَهَةً على ما وراءها:

---

١٠ . تــزيين الأســواق بتفصيل أشواق العشاق،بحث للأستاذين محمد الزمامي ووائل الرومي.

١١ . انظــر الباب الأول من المصدر السابق، وهو بعنوان : منهج البقاعي في أسواق الأشواق ومصادره. وانظر المخطوط الورقة ٢/ب.

• جاء في الورقة٥٧/أ:

وقال الشهاب محمود : وقيل لأعرابي خلا بامرأة يحبها: ما كان بينكما قال: أدنى ما حرم الله وأقصى ما أحل الله، وما زال القمر يرينيها فلما غاب القمر أرتنيه، ولئن كانت الأيام طالت بعدها لقد كانت قصيرة بها، ولا وجع أشد من الذنوب.

وقيل لبعض حكماء حمير:من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من تحلّى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى مالا يخاف.

• وجاء في الورقة ١٠٦/ب:

أنشدنا أبو عكرمة الضبي:

فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يسمع لهنّ هبوبُ

ولو أنني أستغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب علي ذنوبُ

ولو أن أنفاسي أصابت بِحَرّها حديداً إذاً ظلّ الحديد يذوبُ

وجاء في الورقة١٠٦/ب:

ومن شعره الجيد (أي العباس بن الأخنف):

نزفَ البكاءُ دموعَ عينك فاستعِر عيناً لغيرك دمعُها مدرارُ

مَنْ ذا يعيرُك عينَهُ تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

وقال الأصمعي: دخلت عليه وهو على فراشه ملقى وهو يقول:

يا بعيدَ الدار عن وطنِهْ مفرداً يبكي على شجنِهْ

كلما جدّ الحنين به زادت الأسقام في بدنِهْ

ثم أغمي عليه فأفاق بتغريد طائر على شجرة وهو يقول:

ولقد زاد الفؤاد شجىً هاتف يبكي على فننهْ

ثم أغمي عليه فظننتها مثل الأولى فحركته فإذا هو قد مات.

ومن جيد شعره:

إذا مـــــا شـــــئت أن تبصـــــــرشـــــيئاً يعجـــــب الـــــناس
فصـــــور هـــــا هـــــنا فـــــوزاً وصـــــــوِّر ثـــــمَّ عـــباســـــا
وقـــــس بيـــــنهما شـــــبرا وإن زاد فـــــــلا تـــــــاس
فـــــإن لـــــم يدنُـــــوَا حـــــتى تـــــرى رأســـــيهما راســـــا
فكذبهـــــا بمـــــا قالـــــت وكذبـــــه بمـــــا قاســـــا

- وجاء في الورقة ١٢٣/أ :

وعن الزبير بن بكار عن ظبية أن حبابة غنت يزيد يوماً فطرب ثم قال لهـــا: هـــل رأيت قط أطرب مني. قالت: نعم مولاي الذي باعني. فغاظه. ذلك فكتـــب فـــي حملـــه مقـــيداً فلمـــا عـــرف خبره أمر بإدخاله فأدخل يرسف في قيوده،وأمرها فغنت بغناء:

تشـــــطّ غـــــداً دار جيرانـــــنا ولَلـــــدارُ بعـــــد غـــــدٍ أبعـــــدُ

فوثـــب حـــتى ألقى نفسه على الشمعة فأحرق لحيته وجعل يصيح: الحريق الحـــريق يا أولاد الزنا، فضحك يزيد وقال لعمري إن هذا لأطرب الناس، وأمر بحل قيوده، ووصله بألف دينار، قال ووصلته حبابة ورده إلى المدينة.

• وجاء في الورقة ٢٠٤/ب :

قال أبو السائب المدني كانت بالمدينة قينة وكانت من أجود الناس غـناء، فاشـتراها رجل من بني هاشم، وكانت تهوى غلاماً أسود من أهل المـ ، فقال لها مولاها يوماً: غنيني، فأنشأت تقول:

إذا شـابَ الغـرابُ نـسيتُ ليلى وهـيهاتَ المـشيبُ من الغرابِ
أحـبُ لحـبِّها الـسودانَ حـتى أحـبُ لحـبِّها سـودَ الكـلابِ

فقال المولى: والله ما أنا بأسود فمن عنيتِ؟ قالت: فلاناً, قال: أتحبينه؟ قالـت:إي والله، قال: فلا عذر لي في حبسك عنه، فهيئت بأحسن هيئة ثم بعثها إليه.

الخاتمة:

حـاول هـذا المـبحث أن يمـيط اللثام عن مخطوط غميس من مخطوطاتـنا العـربية، عورض على أصله بقراءة مؤلفه، وحظي بتوقيع المؤلف في كل مجلس تمت فيه المعارضة، حتى بلغت توقيعاته ستة عشر توقيعا، مع تأريخ أولها ومنتهاها، ثم عرض المبحث لثلاثة نماذج من خط المؤلـف كيما تسهل الموازنة بينها وبين تلك التوقيعات، وختم بتخيّر أمثلة من طريف الأخبار وبديع الأشعار التي اشتمل عليها هذا المخطوط ليشير إلى مضمونه ويدلل على أهميته.

مراجع البحث

١. أســواق الأشــواق من مصارع العشاق (مخطوط)لإبراهيم البقاعي، نسخة مصورة عن معهد المخطوطات، رقم ٢٧ أدب.

٢. إظهــار العصــر لأســرار أهل العصر (مخطوط) لإبراهيم البقاعي نسخة مصورة عن معهد المخطوطات، رقم ٢٠.

٣. الإعــلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام لإبراهيم البقاعي، تحقيق محمد مجير الخطيب، دار ابن حزم، بيروت،١٩٩٧ م.

٤. الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط.(١٤) -١٩٩٩م

٥. الإمــام البقاعي ومؤلفاته (مقال) للأستاذ خير الله الشريف في مجلة آفاق الثقافة والتراث العدد التاسع المحرم ١٤١٦- يونيو(حزيران) ١٩٩٥ م.

٦. تزييــن الأســواق بتفصيل أشواق العشاق، بحث للأستاذين محمد الزمامي ووائل الرومي، قدم في ندوة داود الأنطاكي التي أقامها معهد التراث العلمي بحلب ٢٠٠٤م

٧. سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة، بيروت ط.(١) ١٩٨٨ .

٨. تاج العروس للزبيدي، ط. المجلس الوطني للثقافة والعلوم بالكويت، ٢٠٠٠م.

٩. الفــتح القدســي فــي آية الكرسي لإبراهيم البقاعي، تحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، ٢٠٠١ م.

١٠. فهـــرس المخطوطـــات المصـــورة لفؤاد السيد، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٤ م.

١١.علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب د.محمد مراياتي د.محمد حسان الطيان د. يحيى مير علم. ط. مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الثاني، ١٩٩٧ م.

١٢. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط. (٢) ٢٠٠٣ م .

١٣. الوافي بالوفيات للصفدي، دار فرانز شتاينر بفيسباده، ألمانية ١٩٨٠م .

استدراك

جاءنا من الأستاذ صبحي البصام الاستدراك الآتي على مقالته "إصلاح كتاب الحيوان للجاحظ" الجزء الأول، المنشورة في العدد الحادي والسبعين، ص١٣١.

١- سقط في أثناء تبييضي لمقالتي (إصلاح كتاب الحيوان- الجزء الأول) المنشورة في العدد السابق من هذه المجلة سطرٌ وهو يلي الكلمة الأخيرة من المادة ٧١ (ص١٧٤) وهذا نصه: ولو كانت (ما) للسؤال وبعدها لغز في شيء لنبه الجاحظ على ذلك.

٢- جاء في المادة ٧٨ (ص١٧٨) بيت شعر لعلاج بن شحمة في ابنته ميّة، وهو:

إن تكُ قد بانت بميّة غربة　　　فقد كان مما لا يُمَلّ مزارُها

وأنا تاركٌ ما كنت علَّقت به عليه، ومثبت غيره وهو: وقول علاج (فقد كان)- والقول قبله في ميّة- مع تأخير اسم كان قد يسبب عثرة في مسار فكر القارئ أو توهماً، ولذلك هو مغموز بلاغة. ويجوز أن يكون الأصل في عجز البيت (لعمريَ كانت لا يُمَلُّ مزارُها) ثم وقع عليه في أثناء روايته ما جعله مغموزاً.

شفيلد:

صبحي البصام

رابعاً: أخبار مجمعية

إصدارات

مجمع اللغة العربية الأردني يصدر أول معجم عربي من نوعه "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن"

بعد جهد استمر سبع سنوات، صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني " معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن" الذي يشكل نواة وقاعدة يبنى عليها المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة. وقامت " مكتبة لبنان ناشرون " بطباعته وتوزيعه.

وقد جاء هذا المعجم ليسد نقصاً في المعاجم العربية، فالمعجميون التراثيون في معجماتهم الرائدة منذ معجم العين للخليل بن أحمد (المتوفى سنة ١٧٠ هـ)، مروراً بمعجم لسان العرب لابن منظور (المتوفى سنة ٧١٠) ، اتجهوا إلى العزوف عن إدراج ألفاظ الحياة العامة، لما تفرضه ظروف العيش من تغيرات وتطورات حضارية.

واقتصرت المعجمات التراثية على مفردات العربية عند فصحاء الأعراب، وعند من يوثق في فصاحتهم من القرن الرابع الهجري، مع توشيحها، على حد تعبير كثير من المصنفين، بجليل الأخبار، وجميل الآثار، مضافاً إلى ما فيها من آيات الذكر الحكيم. فيكون الاستشهاد بالآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار. ومن الواضح أن هؤلاء المعجميين قصدوا حفظ أصول اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية. ولم يكن من أهدافهم تسجيل ألفاظ الحياة العامة في الحواضر والأرياف والبادية. وإذا وجدت في المعجمات القديمة مفردات في هذا

المجال فهي قاصرة عن الشمول والاستقصاء، وقد تأتي، على قلتها، غامضة وغير دقيقة التعريف، ولا سيما عندما تتناول النبات والحيوان والأشياء المادية. وإن عدم تدوين المعجمات لمفردات الحياة العامة، لم يمنع استعمالها في كتب الأدوية والصيدلة والطب وكتب الرحلات وكتب الأدب، كما نجد في بخلاء الجاحظ وكتب الحسبة والفقه.. والنوازل.. إلخ.

فاختلاط الشعوب واللغات المختلفة وانصهارها في بوتقة الحضارة الإسلامية، قد أوجد ألفاظاً مختلفة لمدلولات الحياة العامة، فيما نطلق عليه أدب الحواس، في مختلف الأقطار والبيئات. ونحن ننبه، منذ البداية، إلى أن حديثنا عن ألفاظ الحياة العامة في الحواضر والأرياف والبادية، لا يعني الحديث عن العاميات الدارجة أو اللهجات المختلفة، وإنما يعني كل ما يتعلق بأدب الحواس، من مطعومات ومشمومات وملموسات ومسموعات ومبصرات.. إلخ من ألفاظ حية ومستعملة، وهذا يترجم لنا الحاجة الماسة إلى وضع معجم عربي موحد، يضم بين دفتيه ألفاظ الحياة العامة التي يستعملها المواطن العربي في حياته اليومية، في مختلف أقطاره، وفي جميع بيئاته البدوية والريفية والحضرية بشرائحها الاجتماعية والثقافية، وبين أصحاب مختلف المهن والحرف والأعمال.

إن لغة الحياة العامة في جميع الأقطار والبيئات العربية، على الامتداد الجغرافي، وبالعمق التاريخي، هي لغة حية ونامية ومتميزة ومستمرة استمرار الحياة ذاتها، وهي في الوقت نفسه، سريعة التأثر بالأحداث والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وربما كان لتمازج مفهوم " ألفاظ الحضارة" و " ألفاظ الحياة العامة"، باللغة المحكية في كل قطر عربي، وبالتالي باللهجات المختلفة ، تأثير كبير في

الإحجام حتى الوقت الحاضر، عن وضع " المعجم الموحد لألفاظ الحياة العامة".

إن ما تقتضيه أماني الأمة العربية في نهضتها العلمية ووحدتها، وضع معجم شامل وموحد لألفاظ الحياة العامة، ينشر على أوسع نطاق، لكي يمكن الدارسين والباحثين، والأدباء والكتاب والروائيين وكتاب القصة، وواضعي الكتب المدرسية، من التعبير عن أفكارهم بدقة ووضوح وسهولة، ويعينهم على استعمال هذه الألفاظ الموحدة، بمدلولاتها المحددة الموجهة للأدباء والمتعلمين والدارسين والقراء من أبناء قطرهم ، وأن يكون "المعجم الموحد لألفاظ الحياة العامة " سائراً بين جماهير الأمة، سائغ الاستعمال في جميع المؤسسات العلمية والتربوية، وفي الصحافة والإعلام المقروء والمرئي والمسموع، وعند أصحاب المهن وغيرهم من شرائح المجتمع في مختلف البيئات العربية.

وقد رأينا، منذ البداية، أن هذا المشروع لا يعنى بالتعابير والتراكيب العامية ولا باللهجات المحلية، وإنما يقتصر على وضع معجم لألفاظ الأشياء والأدوات والأجهزة المحسوسة، من حيث المبدأ، وهي التي يستعملها عامة الناس وخاصتهم في حياتهم العملية واليومية في الوقت الحاضر في مختلف مناحي الحياة، في البيت والشارع والمهن والمؤسسات..، وتفصيح ما يمكن تفصيحه، ولا سيما الألفاظ الدارجة التي تعود إلى أصول لغوية فصيحة.

وبعد سنوات من المبادرات الشخصية والمحاولات المحدودة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي دمشق وبغداد، وعمان ، طرح موضوع " المعجم الموحَّد لألفاظ الحياة العامة" على مجلس اتحاد

المجامع اللغوية العلمية العربية في جلسته المنعقدة في ١٩٩٧/٣/٣٠م، فوجد الترحاب من جميع أعضاء المجلس. واتخذ مجلس الاتحاد القرار رقم (٦) الآتي نصه: "تكلف المجامع ، أن يهيئ كل منها مشروع معجم لألفاظ الحضارة المتداولة في بلده، مع تعريف واضح لكل لفظ، وأن يعنى بضبط الألفاظ، مع ترتيبها ترتيباً هجائياً، ويقدم مشروع المعجم إلى إدارة الاتحاد في القاهرة".

وقد اتفق أن تكون التسمية "المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة" كي يصبح أكثر شمولاً، وأن يكون على مستوى الوطن العربي. فتقرر، أن يقوم كل مجمع عضو في الاتحاد، بوضع مشروع معجم لألفاظ الحياة العامة في قطره، على أن يرسل هذا المشروع إلى مركز الاتحاد بالقاهرة، حيث يخزَّن في الحاسوب. فتأتي هذه المشاريع من مصر والعراق وسورية والأردن والسودان والمغرب وليبيا، على أن تستكمل فيما بعد المشاريع من بقية الأقطار العربية، التي لمَّا ينشأ فيها مجامع للغة العربية . وتبدأ المرحلة الأولى، على وفق خطة الاتحاد، بوضع "المشاريع" وتخزينها في الحاسوب في مركز الاتحاد، يعقبها تشكيل لجان على مستوى الوطن العربي من العلماء واللغويين، لدراسة هذه المشاريع وتمحيصها وتبويبها والخلاص إلى وضع "المعجم العربي الموحَّد لألفاظ الحياة العامة"، وأن يكتفى بوضع لفظة واحدة أو لفظتين ، للمدلول الواحد، وفق مبادئ وقواعد يتفق عليها، وأن ينشر هذا المعجم العربي الموحَّد لألفاظ الحياة العامة، على نطاق واسع وشامل في جميع أقطار الوطن العربي، كي يكون مصدراً سهلاً وسائغاً أمام المهتمين والباحثين والدارسين والكتاب وواضعي الكتب المدرسية باللغة العربية.

وقد رأى مجمع اللغة العربية الأردني في هذا العمل مشروعاً قومياً ولغوياً مهماً، يغني اللغة العربية ويرسي لبنات مهمة وأساسية في قواعد إنشاء الوحدة بين الشعوب العربية في مختلف أقطارها ويعزز التفاهم بين مواطنيها. فقرر اتخاذ الآليات الكفيلة بإنجاز هذا المشروع في الأردن ، وقام بتشكيل هيئة تحرير من عدد من الأساتذة المتخصصين ، تكون مهمتها دراسة الألفاظ وجمعها ، وتصنيفها وتبويبها والتأكد من ضبطها وصحة التعريف ودقته علمياً ولغوياً. وتختار الهيئة للمدلول الواحد لفظة واحدة أو لفظتين، على وفق معايير ومبادئ يتفق عليها، مثل: الفصاحة والشيوع والسهولة... ويكون حصيلة ذلك مشروعاً أردنياً ، يطبع ويرسل إلى مركز اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في القاهرة، لإدخاله في الحاسوب، مع المشاريع التي من المفروض أن تقدمها المجامع الأخرى. وسيكلف الاتحاد خبراء متخصصين من مختلف الأقطار العربية لدراسة هذه المشروعات، وتمحيصها وتدقيقها وتبويبها، وإخراج "معجم عربي موحَّد لألفاظ الحياة العامة"، حتى يكون للمدلول الواحد لفظة واحدة أو لفظتان. وسيتم اختيار الألفاظ أو وضعها عند الضرورة، على وفق معايير ومبادئ يتفق عليها، ومنها الشيوع والفصاحة والسهولة، والإفادة من التراث الموروث ومن جميع الجهود السابقة في هذا المجال. وفي جميع المراحل ، ستكون وحدة الحاسوب ، وحدةً أساسية وفاعلة، تختصر الجهد والوقت.

آلية التحرير والمراجعة

وضعت هيئة تحرير المعجم نصب أعينها الأسس الآتية في اختيار ألفاظ المعجم:

١. الكلمة الواحدة في الدلالة الكافية خير من الكلمتين.

٢. الكلمة التي تحمل مدلولاً محدداً أولى من تلك التي تحمل مدلولات متعددة، واستعمالات لا تقتصر على مجال بعينه، وعلى هذا فكلمة " مِنْفَضَة" مثلاً أفضل من كلمة "صَحْن سيجارة".. وهي كذلك أفضل من كلمة "طفاية".

٣. الكلمة العربية أولى من الكلمة الأجنبية ، إذا كانت الكلمة الأجنبية يمكن الاستغناء عنها بالكلمة العربية. وعلى هذا فإن الكلمات السابقة تفضل كلمات "سَنْدرِيِّه" و"آش تري" و "سبِرسَه"..

٤. الكلمة التي تأخذ سمتاً فصيحاً وسهلاً، أولى من الكلمة التي قد تكون مغرقة في العامية، وعلى هذا فكلمة " مِنْفَضَة" مثلاً أفضل من كلمة " متكَّة" أو مقلوبها "مكتة". فالكلمة العامية قد تشيع في عامية ولا تشيع في أخرى. والمراد في هذا المشروع، على وفق قرار مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، أن نصل إلى "معجم عربي موحد لألفاظ الحياة العامة"، في جميع الأقطار العربي.

٥. الكلمة الأجنبية المكونة من كلمة واحدة أولى من الكلمة المكونة من كلمتين فأكثر. والمصطلح الأجنبي المتمشي مع قواعد الصوت العربي والوزن الصرفي العربي، أولى بالأخذ من ذلك المصطلح الذي يختلف مع نواميس العربية في أصواتها وأوزانها.

٦. الدقة في اختيار المقابلات العربية لنظائرها الأجنبية.

٧. اتباع أولويات في المقاييس العربية نفسها. فالمشتقة أولى من الكلمة المنحوتة أو المركبة ، والكلمة الأوسع اشتقاقاً أولى من الكلمة الأضيق اشتقاقاً. والكلمة التي تخص مدلولها وحده، أولى من الكلمة التي قد تدل على مدلولات متعددة.

وجملة القول: إن "معجم ألفاظ الحياة العامة، يعتمد الألفاظ التي يستعملها الناس جميعاً في حياتهم اليومية، على وفق فهمهم وتعريفهم إياها، ومن هذا المنطلق فهو معجم وصفي في تعريفه للمفردات، وفي اختيار المصطلحات المتداولة على ألسنة الناس. وهو معجم مِعْياري حين التدخل لإجراء تعديلات جزئية أو كلية على بعض المفردات، بما يتفق وقواعد الفصحى في أصواتها ومقاطعها، وأوزانها الصرفية، أو طرائق تراكيبها التعبيرية.

تقسيم المعجم

تم تقسيم المعجم على وفق الحقول الدلالية، ما يؤدي إلى سهولة وصول مستخدم المعجم، إلى اللفظ، إذا كان يجهله، وأن يحصل أيضاً على أكثر من معنى للفظ الواحد، باختلاف الحقل، فمثلاً " قلم " في موضوع "القرطاسية " ، يحمل تعريفاً مختلفاً عما يحمله إذا وجد تحت موضوع "الزراعة" ... وأن تُرتَّب الألفاظ داخل كل "موضوع" ترتيباً ألفبائياً. وفي الوقت ذاته، رأت الهيئة أن تضع "كشّافاً " ألفبائياً للألفاظ (بدون المعنى)، ويشار إلى الموضوع برقمه، إزاء كل لفظ.

وقد صنفت الموضوعات في ٤٤ باباً بدءاً من الأحوال المدنية والجنسية، وانتهاءً بالمواصلات: البرية، البحرية، الجوية.

الألفاظ الأجنبية

قامت هيئة التحرير بتعريب الألفاظ الأجنبية إلى الحروف العربية، وكتابتها كما تلفظ بالعربية. فقد تحدث تراثنا مثلاً عن اللغة "اللاطينية" ، وعن "أرسطو" و "أفلاطون" و"فيثاغورس" و"البطالسة". وقالوا: باريز ولندن ولندره، واستعملوا: "أرثماطيقا"، و"فيزيقا" ..إلخ.

إن اختيار هذه الطريقة في كتابة الألفاظ الأجنبية، تنسجم والهدف الرئيسي لوضع معجم عربي موحد، على مستوى الوطن العربي، والسعي إلى تفصيح ما هو عامي، في إطار خصائص العربية وتراثها الضخم، عبر التاريخ، وكذلك في إطار تجربتها الغنية، مع المولد والدخيل والمعرب والمستقرض، وتأثرها باللغات الأجنبية، وتأثيرها فيها.

وفي قضية اختلاف اللهجات في نطق بعض حروف الكلمات، مثل حروف القاف والكاف والظاء والجيم.. الخ، فإن النطق يختلف بصورة متعددة في المدينة وفي الريف وفي البادية واتفق على كتابة المصطلح على وفق النطق العربي الفصيح، وينسحب هذا على نطق الألفاظ التي تبدأ بهمزة الوصل، وينطقها المستعمل بالساكن ابتداءً.

هذا المعجم

- يشكل "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن" نواة وقاعدة يبنى عليها المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة.
- وتجدر الإشارة إلى أن الحديث عن ألفاظ الحياة العامة في الحواضر والأرياف والبادية، لا يعني الحديث عن العاميات الدارجة أو اللهجات المختلفة، وإنما يعني كل ما يتعلق بأدب الحواس من: مطعومات، ومشمومات، وملموسات، ومسموعات،

ومبـــصرات.. ولـــذلك اقتـــصر هـــذا المعجـــم علـــى ألفـــاظ الأشياء والأدوات والأجهـــزة المحـــسوسة.. التـــي يـــستعملها عامـــة الـــناس وخاصـــتهم فـــي حـــياتهم العملية واليومية، في مختلف مناحي الحياة، فـــي البـــيت والـــشارع والمهـــن والمؤســـسات .. وتفصيح ما يمكن تفـــصيحه، ولا ســـيما الألفـــاظ الدارجـــة التي تعود إلى أصول لغوية فصيحة.

- وقـــد تـــناولت ألفـــاظ المعجـــم الأحـــوال المدنية والجنسية، والإدارة، والأدب واللغـــة، والأراضـــي والعقـــارات، والإعـــلام.. والـــتجارة والاقتـــصاد والمعـــاملات، والتنمـــية الاجتماعـــية، والثقافة والتعليم.. والحاســـوب، والـــديانات والـــزراعة والـــصناعة والعلاقات الدولية.. والفـــنون والقـــضاء والمواصـــفات والمـــوازين والمقايـــيس.. والمواصلات البرية والبحرية والجوية.

أهداف المعجم:

يهدف هذا المعجم إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. إغـــناء اللغـــة العـــربية بألفـــاظ حـــضارية جديدة في مختلف جوانب الحياة اليومية.
٢. المحافظـــة علـــى اللغـــة العـــربية وتوظـــيفها توظيفاً سليماً في الحياة اليومـــية والعمـــل علـــى تفـــصيح الألفـــاظ العامـــية التي تعود إلى أصول فصيحة.
٣. توحيد مسميات ألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي.

٤. إفادة الباحثين والدارسين والكتاب والصحافيين وعلماء الاجتماع في دراسة الظواهر الاجتماعية والحضارية في الأقطار العربية.
٥. توحيد لغة وسائل الإعلام والصحافة على مستوى الوطن العربي.
٦. التقليل من الخلافات واللهجات المحلية المحكية بين أبناء الأمة العربية في مجال مسميات ألفاظ الحياة العامة.
٧. إصدار معجم موحد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي أسوة بما تقوم به الأمم الأخرى في هذا المجال.

إن مجمع اللغة العربية الأردني وهو يقدم إلى محبي العربية وعشاقها هذا العمل الرائد ليأمل أن تنهض المجامع اللغوية العربية في الأقطار الشقيقة بإنجاز معاجمها في ألفاظ الحياة العامة في أقطارها ليصار إلى إصدار المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة، ليكون إضافة نوعية إلى المعاجم العربية.

المؤتمرات والندوات والمحاضرات

ندوة (مشروع قاعدة بيانات حاسوبية للقرآن الكريم)

استهل مجمع اللغة العربية الأردني (عام اللغة العربية) بندوة عقدها يوم الثلاثاء ٢٠٠٧/١/٩م، عنوانها "مشروع قاعدة بيانات حاسوبية للقرآن الكريم" قدم فيها الأستاذ الدكتور محمد زكي خضر من كلية الهندسة/ الجامعة الأردنية والفريق المتعاون معه ما أنجزوه من قواعد بيانات للقرآن الكريم باعتباره أساساً للمعجم الآلي للغة العربية.

افتتحت الندوة بكلمة رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفة أشار فيها إلى أن افتتاح هذه الندوة يأتي في مستهل عام ٢٠٠٧م، العام الذي جعله المجمع عاماً للغة العربية بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على تأسيسه.

دعا الدكتور خليفة إلى العمل على تطوير الأجهزة التقنية والحاسوبية والمعلوماتية لخدمة اللغة العربية لبناء أجهزة تقنية وحاسوبية ومعلوماتية على وفق خصائص اللغة العربية وذلك في إطار سياسة لغوية عربية أصيلة واستراتيجية لغوية شاملة وموحدة. ومن هذا المنطلق نرى ضرورة تعريب أجهزة الحاسوب وشبكة المعلومات (الإنترنت)، بل تعريب المعلومات ونحن على أعتاب ثورة معلوماتية ستغير كثيراً من المفاهيم في حياة الإنسان الثقافية والاجتماعية في القرن الحادي والعشرين.

ثم قدم الدكتور محمد زكي خضر وفريقه مشروعه لتكوين قاعدة بيانات حاسوبية لغوية للقرآن الكريم، موسعة إلى أكبر حد ممكن، تصف بدقة كل دقائقه ابتداءً من أصغر المفردات وهي مقاطع الكلمة من ملصقات فالكلمة فالتراكيب فالجمل فالآيات فالسور بحيث تشمل الرسم واللفظ والنطق والصرف

والنحو والدلالة. وذلك خدمة للقرآن الكريم تحليلاً ودراسة وقيماً وتفسيراً الذي يــؤدي من دون شك إلى خدمة اللغة العربية لكي يستفيد منها أكبر عدد ممكن من الباحثين.

وقد توصل الدكتور خضر بعد سنوات من العمل والبحث والدراسة لوضع أســاس لقاعدة البيانات هذه اشتملت على كلمات القرآن الكريم مشكولة بالرسم الإملائــي الــشائع الآن والرسم العثماني، وبعض التغييرات التي طرأت على الكلمــات نتيجة عمليات الإلصاق وضرورات الوقف والابتداء، وتحديد بدايات الجمل القرآنية ونهاياتها بشكل مبسط. كما تضمنت أبحاث الندوة خطوات لاحقة لكي يضاف النحو والصرف والنطق والدلالة لقواعد البيانات.

وفــي خــتام المحاضــرة عقدت جلسة ناقش فيها الحضور من أساتذة اللغة العــربية في مختلف الجامعات الأردنية الدكتور خضر في مشروعه للوصول إلى مقترحات لعمل قاعدة بيانات حاسوبية متكاملة للقرآن الكريم، وتساعد أيضاً العاملين في المجالات اللغوية العربية كافة.

رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية:

- **في اللغة العربية:**

- رسالة مقدمة من الطالبة أسمهان العقيل بعنوان "تطور مفهوم الرواي في الرواية الأردنية بين جيلين"، بإشراف الدكتور إبراهيم خليل، وذلك يوم ٢٠٠٧/٣/٥م.
- رسالة مقدمة من الطالب غالب شريم، بعنوان: "حركة الشعر (دراسة موضوعية وفنية) في قبيلتي الأوس والخزرج في الجاهلية وصدر الإسلام"، بإشراف الدكتور ياسين عايش والدكتور حمدي منصور، وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/٣م.
- رسالة مقدمة من الطالب أحمد الرحاحلة، بعنوان: "توظيف الموروث الجاهلي في الشعر العربي المعاصر، مصر والشام نموذجاً"، بإشراف الدكتور حمدي منصور، وذلك يوم ٢٠٠٦/٤/٢٢م.
- رسالة مقدمة من الطالبة كفاح إبراهيم، بعنوان: "اتجاهات الرسائل الفنية في العصر الأيوبي"، بإشراف الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/٢٣م.
- رسالة مقدمة من الطالب أيمن علي العتوم، بعنوان: "تناوب معاني أبنية الصرف في لغة القرآن الكريم"، بإشراف الدكتور محمد حسن عواد، وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/٧م.

- رسالة مقدمة من الطالب بشير عقاب الحجاجحة، بعنوان "محمود سيف الإيراني، دراسة في آثاره الأدبية" بإشراف الدكتور محمد القضاة، وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/٣م.
- رسالة مقدمة من الطالب عائد فايز، بعنوان " المركب الإضافي في العربية، دراسة تقابلية في ضوء اللسانيات التطبيقية"" بإشراف الدكتورة فوز نزال، وذلك يوم ٢٠٠٦/٥/٩م.
- رسالة مقدمة من الطالب عمار إلياس بوالصة، بعنوان "المنصوبات في ضوء كتاب إحياء النحو لإبراهيم مصطفى" بإشراف محمد حسن عواد، وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٠م.
- رسالة مقدمة من الطالب سيف المحروقي، بعنوان "المظاهر الحضارية في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري" بإشراف الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٦م.
- رسالة مقدمة من الطالبة عريب عيد وعنوانها:"لغة الحركة: أُصولها، وشواهدها في الحديث النبوي الشريف"، بإشراف الدكتور جاسر أبو صفية، وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٣م.

- **كلية الشريعة:**

- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب علاء الدين محمد مصلح وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/٢م.

- **كلية الشريعة:**

- رســـالة دكـــتوراة مقدمـــة مـــن الطالـــب علاء الدين محمد مصلح وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/٢م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب أنس الجابر وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/١م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب علي الشرفات وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/١٨م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالبة حنان أبو مخ وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/٢٥م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب هياف المطيري وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/١٧م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب أيمن درادكة وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/٣م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالبة أم كلثوم يحيى وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٣م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب منصور العمرو وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/٦م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب أحمد جبر وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/٧م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب حمزة حماد وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٠م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب عبدالرحيم دراغمة وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٥م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب جمال مفلح وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٦م.

مجمعيون في ذمة الله

- انتقل إلى رحمة الله تعالى صباح الخامس عشر من آذار (مارس) ٢٠٠٧م، الأستاذ الدكتور سعدون حمادي العضو المؤازر في مجمع اللغة العربية الأردني.

ولد الفقيد في كربلاء، وأتم دراسته الثانوية والجامعية الأولى في العراق، ثم سافر في بعثة حكومية إلى لبنان عام ١٩٥٢م، وحصل على درجة الماجستير في الاقتصاد من الجامعة الأميركية في بيروت ثم أكمل دراسته العليا وحصل على الدكتوراة في الاقتصاد الزراعي من جامعة وسكونس في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٥٦م، وعاد إلى الوطن وعمل أستاذاً في كلية الزراعة بجامعة بغداد.

تنقل المرحوم في عدة مناصب حكومية في العراق، فعمل رئيساً لتحرير جريدة (الجمهورية) عام ١٩٥٢، ورئيساً لشركة النفط الوطنية العراقية عام ١٩٦٨م، ثم وزيراً للنفط، ثم تولى وزارة الخارجية في منتصف السبعينيات وحتى عام ١٩٨٢م، وفي عام ١٩٩٦م، انتخب رئيساً للمجلس الوطني العراقي وبقي كذلك لدورتين حتى الاحتلال الأميركي الاستعماري. وبعد الاحتلال أسرته القوات الأميركية. وأطلق سراحه بعد تسعة أشهر حين تردت حالته الصحية، وبدأ في مراجعة المشافي في الأردن ولبنان وألمانيا وقطر حتى توفي في ألمانيا في الخامس عشر من آذار (مارس) ٢٠٠٧م.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

- انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم السادس من أيار (مايو) الأستاذ حسن سعيد الكرمي، عضو الشرف في مجمع اللغة العربية الأردني.

ولد المرحوم في طولكرم، فلسطين عام ١٩٠٨م، وتلقى تعليمه فيها، ثم في دمشق فالقدس ثم في لندن.

عمـــل المـــرحوم معلماً للغة الإنجليزية، في مدارس حكومة فلسطين وفي الكلـــية العربية، ومساعداً للمفتش العام في إدارة المعارف الفلسطينية حتى عام ١٩٤٥، ثم مراقباً للغة العربية في الإذاعة البريطانية في لندن منذ عام ١٩٤٨م.

ترك المرحوم عدداً كبيراً من المؤلفات من أشهرها سلسلة "قول على قول"، والمـــنار قاموس إنجليزي- عربي، والمعاجم: المغني، والمغني الكبير والمغني الأكبر.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

Journal
Of The Jordan Academy Of Arabic

No. 72

Thu -ALhija 1427-Jumada 11 1428H

Vol XXX1

January - June 2007